٩٦/٧
ص ١٧٦
٨

الجامعة الأردنية
كليـــة الدراســـات العليـــا

٥٠١
٥٠٢

المصطلحات البلاغية والنقدية

بين

ابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني

كلية الدراسات العليا

إعـــداد
سليم سليمان حسن الأنصاري

المشـــرف

الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية.

كانون الأول ١٩٩٦م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ١٣/٥/١٩٩٧م بعد إجراء التعديل المطلوب

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢٢/١٢/١٩٩٦م.

أعضاء لجنة المناقشة:	التوقيع
الأستاذ الدكتور عبدالجليل عبدالمهدي / رئيساً	.....
الأستاذ الدكتور محمود السمرة / عضواً	.....
الأستاذ الدكتور نصرت عبدالرحمن / عضواً	.....
الدكتورة عصمة عبدالله غوشة / عضواً	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أتوجه للأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي، المشرف على إعداد هذه الرسالة، بالشكر والتقدير لقاء ما قدّمه من عون أثناء إعدادها، وما بذل من الجهد حتى انتهت إلى ما هي عليه.

ويقتضي الواجب أن أزجي الشكر أيضاً إلى كل عضو من أعضاء لجنة المناقشة، نظر في محتوى هذه الرسالة، فأضفى عليها من آرائه ما جعلها تخرج في صورة أفضل، وكان لملاحظاته تأثير في إغناء محتواها، وتبرئتها مما كان يلحق بها من أخطاء.

وما كان لهذه الرسالة أن تكتمل من دون تلك الرعاية العلمية التي أحاطني بها أساتذتي رئيس وأعضاء قسم اللغة العربية، وكثير من العاملين في الجامعة الأردنية، وإنه ليملأ صدري حبوراً أن أشكرهم جميعاً على ما أعانوا به، ولا أستثني منهم أحداً.

والحمد لله من قبل ومن بعد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
شكر وتقدير	جـ
فهرس المحتويات	د-هـ
ملخص باللغة العربية	و-ط
الفصل الأول	١-٢٨
١. التعريف بالعالمين	
ابن سنان الخفاجي	٢-٦
عبدالقاهر الجرجاني	٧-١٥
٢. المهاد الأوليّ للكلام في المصطلح	١٦-٢٢
المصطلح البلاغي والنقدي	٢٣-٣٠
الفصل الثاني	٣١-١٢٢
المصطلح البلاغي والنقدي عند ابن سنان	
الابتذال-الأديب-الارداف والتتبيع-الاستحالة والتناقض-الاستدلال بالتعليل-الاستدلال بالتمثيل-الاسهاب-الايطاء-البلاغة-البيان-التبديل-التجميع-التحرز-التذييل-الترصيع-التشبيه-التصريع-التضاد-التضمين-التفسير-التقسيم-التكرار-التمثيل-التناسب-التوشيح-الجائز والممتنع-الجرس-الحقيقة والمجاز-حمل اللفظ على اللفظ-السجع والازدواج والفواصل-السناد-الشعر-الصحة-صحة الاقسام-صحة الاوصاف-صحة المقابلة-صحة النسق-الغرابة-الغموض والوضوح-الفصاحة-القافية وعيوبها-القديم والحديث-الكلام-الكناية-لزوم ما لا يلزم-اللغة-اللف والنشر-اللفظ-المجاز-المساواة-المعاظلة-مؤلف الكلام-النثر-الوزن-الوصف.	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث	٢٠٩-١٢٣
المصطلح البلاغي والنقدي عند عبدالقاهر	
الابتذال-الاحتذاء-الاستخبار أو الاستفهام-الاستقصاء-الاشارة-الاعجاز-الايجاز-البديع-البلاغة-البيان-تتابع الاضافات-التجريد-التجنيس-التحليل-التخييل-التزاوج-التشبيه:الصريح، غير الصريح، المركب، المتعدد، تشبيه شيئين بشيئين، تشبيه المبالغة، التشبيه المقلوب، التشبيه التفصيلي، التشبيه الغريب-التطبيق-التعريض والكناية-التقديم والتأخير-التمثيل-الحذف-الحشو-الحصر-الحقيقة والمجاز-الخطاب بالجملة الفعلية-الذوق-الرمز-السجع-السرقة-الصدق والكذب-الصورة-الغموض-فرط الاستقصاء-الفصل والوصل-اللفظ والمعنى-المعاني-المعقد والملخص-معنى المعنى-المغالطة-الملاحن-المماثلة-الموازنة-النظم-النمط-الوزن.	
الفصل الرابع	٢٣٦-٢١٠
الموازنة بين المصطلحات البلاغية والنقدية لدى كل من:	
ابن سنان الخفاجي وعبدالقاهر الجرجاني.	
جدول المصطلحات عند ابن سنان الخفاجي	
جدول المصطلحات عند عبدالقاهر الجرجاني	
الفصاحة-البلاغة-النظم-الاعجاز-معنى المعنى-الفصل والوصل-الفروق في الخبر-التقديم والتأخير-التشبيه-التمثيل-المجاز-الاستعارة-الكناية-البديع-الجناس-السجع-الطباق-الحشو-حسن التعليل-التوشيح.	
مصادر البحث ومراجعه	٢٥٦-٢٣٧
ملخص باللغة الانجليزية	٢٦٠-٢٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

المصطلحات البلاغية والنقدية بين ابن سنان الخفاجي وعبدالقاهر الجرجاني

إعداد: سليم سليمان حسن الأنصاري

المشرف: الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي

تناولت هذه الرسالة جهود كل من ابن سنان الخفاجي وعبدالقاهر الجرجاني في المصطلحات، فرجعت إلى آثار كل منهما، البلاغية والنقدية، أُمعن النظر فيها، وفي غيرها من آثار مطبوعة تعين على معرفة ما قدّمه كلّ منهما، إضافة إلى ما أمكنني الوقوف عليه من دراسات وبحوث عنهما، وقد قرأت كثيراً لكنني لم أوظّف ما قرأته جميعه في كتابة هذه الدراسة، لأن منه ما هو مفيد لها، ومنه ما هو بعيد عن موضوعها، وإن كانت فيه جوانب مضيئة في حياة كلّ منهما.

وعمدت الدراسة إلى تعريف موجز بكلٍ من العالمين المتعاصرين خلال القرن الخامس للهجرة، وإلماحٍ إلى ثقافة كلّ منهما وصلته بمعاصريه، فأظهرت تباين التكوين المعرفي لكلّ منهما، فابن سنان تلميذ أبي العلاء المعرّي وأحد أتباع مدرسة الاعتزال، عربي الأرومة ويرى رأي الشيعة الإمامية، وكان للأحداث السياسية في حياته تأثير، إذ أوفد رسولا إلى القسطنطينية ليعرض على الحكّام الروم فيها تظلّم محمود بن نصر من عمّه، ثم إنه تولى إمارة قلعة عزاز من أعمال حلب ولقب بالأمير. ومات عن نحو أربعين عاما ونيّف، وهذا يفسّر لنا ضآلة إنتاجه الأدبي قياساً إلى معاصره عبدالقاهر الذي لم يرد في المصادر التي أوردت سيرته أنه كان من أهل السياسة، بل إنّها وصفته بالمتبرم من الحياة لأنه كان يعيش عيشة الكفاف، ولم يشفع له شعره الذي مدح به ذوي السلطان في أن يجد ما يلبي به مطالب حياته، بينما ابن سنان يمتلئ شعره بالمديح لذوي الجاه والسلطان، وبه كان يتكسب، ولكن عبدالقاهر تفرغ للتدريس والتأليف، أو لم يجد غيرهما، فكان في العلم أغزر نتاجاً من ابن سنان، وعاش قريباً من سبعين عاماً، وكان ما يفرق به عن ابن سنان أنه فارسيّ الأرومة شافعي المذهب متكلّماً على مذهب الأشاعرة، ومات بجرجان حيث كان يقيم فيها ولم يبرحها، وكانت خاضعة للسلاجقة الذين احتلّوها قبل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفاته بأربعين عاماً، فعاش ما يقرب من نصف عمره في ظلّ أحتلالهم. كلّ هذه الفروق جعلتني أنتهي إلى أنه لم تكن ثمة صفات مشتركة في حياة الرجلين، اللهمّ إلاّ في ميدان العلم، إذ أقبل كلّ منهما على تحصيله فأثر في تكوينه الثقافي والعلمي، وكتب عن الإعجاز القرآني، تلك المسألة التي شغلت أهل ذلك الزمان. ولم يعرف أحدهما الآخر، بل لم تذكر المصادر أنهما إلتقيا، وكثير من المصادر رجّح أن الرجلين لم يتصل أحدهما بصاحبه بأيّ لون من الاتصال!.

وكان يجمل بعد التعريف بالرجلين أن تُعنى الدراسة بمهاد أوليّ عن المصطلح إطلاقاً، والبلاغي والنقدي على وجه الخصوص، فتتناول ما له من أهمية باعتباره الدماء الذي تغذي أي علم، وأي فوضى فيه تؤدي إلى اضطراب ذلك العلم، فلا بد من ضبط مسائله واتفاق أهل الاختصاص على وجوده وتداوله بينهم، وإتاحة المجال للاحتكاك معرفيا بما لدى الأمم الأخرى من مصطلح بلغاتها حتى يزدهر المصطلح ويكتب له الذيوع والنماء. فإذا عمَّر يعاود النظر فيه للتأكد من استمرار الانتفاع به، وهكذا. ثم توجهت الدراسة نحو المصطلحات البلاغية والنقدية، فتبيّن أن المصطلح أصلاً مما للبلاغة عناية به، أليس هو خروج اللفظ عن المعنى الأصلي إلى معنى آخر يكتسبه على يد المشغلين بالعلم؟ فهو فن بلاغي! يوضع في علوم البلاغة في إطار علم المعاني مثلاً أو ربما اجتهد الباحثون فجعلوه في علم البديع. ومهما يكن من أمر، فقديماً اصطلحوا، ولم نجد المصطلح البلاغي والنقدي طارئاً علينا، وقد أشارت الدراسة إلى هذا وأخذت به.

ودقّت الدّراسة أبواب القول في المصطلح عند ابن سنان وعند عبدالقاهر، وحينما فتحت الأبواب على مؤلفات كل منهما، استقصيت تلك المصطلحات فانتهت إلى أن لابن سنان إسهام في بعض المسائل عنه، فهو يتنبه إلى التطور التاريخي للألفاظ، ويدرك أن لأهل كل حرفة ألفاظهم المخصوصة المتولدة عن طبيعة ما يعملون فيه، ويذكر لفظاً كلمة "اصطلاح" بمعناها العرفي، ولكن لم يكن خوض ابن سنان في المصطلح شافياً كافياً، بيد أنه تمثّله تمثّلاً صحيحاً، أمّا عبدالقاهر فلم تتوصل الدراسة إلى ما يبعث الاطمئنان لتزعم أنه دوّن شيئاً عن المصطلح بمفهومه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العرفيّ، مع سعيها وتنقيبها ومحاولتها الوصول إلى شيء ينبئ عن أن عبدالقاهر له محاولات -ولو يسيرة- للكتابة فيما يمسّ المصطلح أو حتّى التلميح إلى ما يقاربه.

وحوت الدراسة ما لدى ابن سنان من مصطلحات بلاغية ونقدية إستقصتها، وما لدى عبد القاهر منها، والطريقة التي تناول كل منهما المصطلح عليها. فرتبت المصطلحات ترتيباً ألفبائياً، ودوّنت كلام كل من العالمين في تلك المصطلحات التي وردت في مؤلّفاتهما. وعلقت في بعض المواطن على تناول ذلك المصطلح بما يساعد في تقريبه من الأذهان.

ثم توجّهت نحو ما لم تقم به دراسة قبلها، أعني المقارنة بين المصطلحات البلاغية والنقدية عند عالمين متعاصرين من علماء البلاغة والنقد، المشهود لهما بالتقدّم في ميدان البحث البلاغي والنقدي، فأجملت في جدولين منفصلين عناوين المصطلحات التي ذكرها كل منهما، ثم وازنت وأبانت ما التقيا عليه وما انفرد به أحدهما وما اختلف فيه عن صاحبه، وهذا كلّه في ميدان المصطلح البلاغي والنقدي.

وخلصت الدراسة إلى ما تبيّن خلال الموازنة بينهما، فكان أظهر ما انتهت إليه -في اطمئنان- أن ذلك المصطلح لم يستقر نهائياً على يد أحد منهما، بل إن بعض المصطلحات لمّا تأخذ شكلها النهائي بعد، فابن سنان -مثلاً- يطلق مصطلح (المطابق) على المتضاد، والمخالف، والمقابل، والسلب والايجاب، وعبد القاهر يطلق (المذيّل) على ما يعرف عند غيره بمسمى آخر مثل: الناقص أو الزائد أو المتوّج. وعبد القاهر يعتبر (التخييل) مصطلحاً بلاغياً ونقدياً معاً. بل قد يتداخل المصطلح عنده تداخلاً محيّراً مثل مصطلح: اللفظ والمعنى ومعنى المعنى وهو لا يفرّق مثلاً بين مصطلحات: البلاغة والفصاحة والبراعة والبيان. هذا عند الواحد منهما، ومما عندهما معاً من اختلاف مثلاً: مصطلح حسن التعليل فابن سنان يسميه: الاستدلال بالتعليل، وعبد القاهر يسميه التخييل، وابن سنان -مثلاً- يعارض الألغاز وغموض المعنى بينما عبد القاهر يستحسنه! صحيح أن كثيراً من المصطلحات التي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أوردها كل منهما لم يضعها بنفسه بل انتهت إليه من سابقيه، لكن بعضها كان عليه كانت فوقه بصمات أحدهما.

وإنّ هذه الدراسة، تأسيساً على ما حوته من إحصاء وتبويب وموازنة للمصطلحات، تخلُص إلى أن أكثر الذي رصدتْه من مصطلحات بلاغية ونقدية لدى كلا العالمين، لم يتحدد مفهومه بدقة كما حُدد فيما بعد عند اللاحقين، فلم تكن قد تشكلت، حتى ذلك العصر، صورة نهائية للمصطلح البلاغي ولا للمصطلح النقدي، بحيث يأتي جامعاً مانعاً وتستكمل أدوات البحث فيه. وما انتهت إليه هذه الدراسة من رصد للمصطلحات وهي -في مجملها- لا تكوّن معجماً مصطلحياً وافياً مستوعباً معظم ما عرفناه من مصطلحات بلاغية ونقدية، ولكنها استطاعت أن تقف على جهود العالمين في هذا المضمار، وانتهت إلى أن معجمنا البلاغي والنقدي، يحتاج إلى مثلها لتضع أمام الباحثين سيرة كل مصطلح وأهميته في الدلالة على مسمّاه. فيرصدوا -في اطمئنان- أول مصطلح بلاغي بقي على مرّ الأيام وتطوّر ونما معها، وأيّ اتجاه نقدي -مثلاً- أو قضية ما، شغل حيزاً أكبر من غيره على مدى تاريخنا النقدي.

هذه هي نتائج الدراسة التي نهضتُ بها، ومنحْتُها ما وسعني الجهد لتخرج في صورة علمية مرضيّ عنها. ولست ازعم أنني بلغْتُ الغاية، فهي أول خطواتي على الطريق.

والحمد لله الذي أعان، وسبحانه بكرة وعشيّاً على أنه أراد لهذه الدراسة أن تكون، وباسمه ابتدأتُ وإليه المنتهى.

قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا، هو خير مما يجمعون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأوّل

١. التعريف بالعالميْن.

٢. المهاد الأوّلي للكلام في المصطلح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن سنان الخفاجي: ٤٢٣ - ٤٦٦ هـ

هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي(١). يتحدر نسبه من سلالة بني حزن أحد أحفاد خفاجة بن عمرو بن عقيل، إحدى بطون قبيلة هوازن(٢)، وموطنها الأصلي جزيرة العرب، غير أن موجات منها تدفقت نحو جنوبي العراق ثم صعدت منه حتى بلغت الجزيرة الفراتية، وانتهت إلى حلب.

ولد ابن سنان نحو عام ٤٢٣ للهجرة في مدينة حلب(٣)، وتلقى العلم على يد أبي العلاء المعري وأبي نصر المنازي(٤)، ولقب بالشيخ لأنه كان قارئا للقرآن الكريم(٥).

وكان ابن سنان الخفاجي شيعياً إمامياً يرى رأي المعتزلة(٦)، وتأثر بأعلام المعتزلة فيما كتب، وممن تأثر بهم القاضي عبدالجبار الاسترابادي والجبائيان: الكبير أبو علي، والصغير أبو هاشم(٧).

وتفيأ ظلال دولة بني مرداس الكلابيين العامريين(٨)، إذ ولد ابن سنان في عهد شبل الدولة أبي كامل نصر بن صالح(٩)، وشهد الحقبة التي سيطر فيها

---

(١) السمعاني، الأنساب: ٥/٧٠.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٦٩. وابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب: ١: ٣٨١.

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان: (حلب). وفصلت القول في ولادته في أطروحتي للماجستير بعنوان: كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، تحقيق ودراسة:٧.

(٤) ابن شاكر، فوات الوفيات: ٢/٢٢٠.

(٥) تعريف القدماء بأبي العلاء: ٢٥١.

(٦) ابن شاكر ، فوات الوفيات: ٢/٢٢٠.

(٧) سليم الأنصاري، كتاب سر الفصاحة: ١٧.

(٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ: ٩/٢٢٧، وابن خلدون، العبر: ٤/٥٨١، سهيل زكار، إمارة حلب: ٥٧، ١٠٥.

(٩) سهيل زكار، إمارة حلب: ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدزبري عامل الفاطميين في الشام على المنطقة(١)، ثم عاد حكم المرداسيين لحلب عام ٤٣٤هـ واستمر هذا الحكم في اضطراب سياسي ونزاعات بين المرداسيين والفاطميين. وانتدب ابن سنان عام ٤٥٣ هـ إلى القسطنطينية رسولاً لمحمود بن نصر بن صالح أمير بني مرداس في حلب(٢).

كان ابن سنان شاعراً، مدح أمراء بني مرداس وغيرهم، وترك ديوان شعر متوسط الحجم، طبع مرتين في بيروت(٣)، ورتّبت قصائده على حروف الهجاء، وقد شملت معظم أغراض الشعر العربي في المديح والرثاء والغزل والهجاء والاخوانيات التي من بينها مراسلات شعرية. وهو أحد أعلام شعراء القرن الخامس للهجرة، ومنهم ابو العلاء المعري الذي وقف على قبره أربعة وثمانون شاعراً يرثونه(٤)، منهم ابن حيّوس وابن أبي حصينة وابن الخياط وهؤلاء بالاضافة إلى ابن سنان "يؤلفون طبقة تتميز عن غيرها بخصائص الشعر"(٥).

وترك ابن سنان، غير ديوان شعره، كتاباً عنوانه سر الفصاحة، طبع مرة بتحقيق علي فودة(٦)، وأخرى بطبعات متكررة صححه فيها عبدالمتعال الصعيدي(٧)، ولم يصل إلينا غيرهما. أمّا آثاره المفقودة فمنها: كتاب عنوانه "العادل في الامامة"(٨)، وكتاب ألّفه في "الصرفة"(٩)، وكتاب بعنوان "عبارة المتكلمين في أصول الدّين"(١٠)، وآخر "في رؤية الهلال"، و"حكم منثورة" و"الحكم بين النظم والنثر"

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٣١/٩. وابن العديم، زبدة الحلب: ٢٢٣/١.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب: ٢٨٢/١.

(٣) المرة الأولى: مطبعة جريدة بيروت عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، والثانية: بتحقيق عبد الرزاق حسين، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٣٠٣/١ (إحسان عباس).

(٥) عبد الكريم الأصيل، الشعر في بلاد الشام خلال القرن الخامس للهجرة: ٢٩.

(٦) الطبعة الأولى على نفقة مكتبة الخانجي بمصر، المطبعة الرحمانية- القاهرة:١٣٥٠هـ/١٩٣٢م.

(٧) الطبعة الأولى، مطبعة محمد علي صبيح بمصر:١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م. وأصدرت دار الكتب العلمية في بيروت مصورة عنها كتبت عليها الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٢م.

(٨) ابن شهر آشوب، معالم العلماء: ٦٨.

(٩) ياقوت الحموي، معجم الأدباء: ٣٢٥/١. وابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٢٢٢/٢.

(١٠) ابن شاكر الكتبي فوات الوفيات: ٢٢٢/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتاب "العروض" المجدول(١).

وتوفي ابن سنان الخفاجي في قلعة عزاز، من أعمال حلب، مسموماً كما نقلت المصادر التي ذكرته(٢) ، وكان ذلك سنة ست وستين وأربعمئة للهجرة، فحمل إلى حلب، وصلى عليه الأمير محمود بن صالح حيث دفن فيها.

ومن شعره قوله: [الكامل]

يا صاحبيَّ وما وثقت بصاحب إلاّ تغير ودُّه وتنكرا

أرأيتما مثلي يرام قياده من بعد ما نشط العقال وجرجرا(٣)

وقوله: [البسيط]

إذا هجوتكم لم أخش سطوتكم وإن مدحت فما حظي سوى التعب

فحين لم ألف لا خوفاً ولا أملا رغبت في الهجو إشفاقاً من الكذب(٤)

سر الفصاحة:

كتاب ابن سنان هذا هو الأثر الوحيد بين أيدينا المتضمن جهود ابن سنان البلاغية والنقدية، ولا سبيل إلى دراسة ابن سنان من خلال ديوان شعره، لالتقاط مصطلحات نقدية وبلاغية منه، لأن هذه الدراسة تعنى بالمصطلح الذي أوضح مفهومه، ومثّل له، وعالج قضاياه، وهو ما لا نجده في أبيات شعرية ضمها ديوانه، والكتاب هو الحضن الذي اكتنف نتاجه البلاغي والنقدي، وأفكاره فيه أصبحت أصولاً ثابتة، خاصة في دراسته للفصاحة وشروطها في الألفاظ المفردة والمؤلّفة،

---

(١) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٢/٢٢٢. وقد فصلّت القول في الضائع من مؤلفات ابن سنان في مقدمة تحقيقي كتابه سر الفصاحة ص٣٢.

(٢) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٢/٢٢٠.

(٣) ابن سنان الخفاجي، ديوانه: ٣٩.

(٤) نفسه: ١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما لا نجد مثيلا له عند غيره. بل إنه عرض مستويات نقدية متعددة مثل الصوت، والحرف، والكلمة المفردة وفصاحتها، وعلاقة اللفظ بالتركيب، وشروط نظم الكلام وتأليفه، ومسائل أخرى في البلاغة والعروض واللغة. ويمكن القول إن كتاب سر الفصاحة بمثابة نقطة التقاء البلاغة بالنقد الأدبي، في نزعة علمية تتفوق على الأحكام الذوقية التأثرية، إذ شفع مسائله بشيء من التعليل والمناقشة. ويتميز كتاب سر الفصاحة بقابليته لتعدد قراءاته ومعاودة النظر فيه، إغناء لقضايا البلاغة والنقد الأدبي. فصاحبه ينقل عن الجاحظ والرماني والآمدي والصولي والسيرافي وابن جني والقاضي الجرجاني وغيرهم. ورأى محمد زغلول سلام أنه "تأثر بفلسفة أرسطو وآرائه، وحاول تطبيقها على دراسته للفصاحة"(١). وأن كتابه "يجيء جامعاً لما تفرّق من مذاهب المتكلمين وأصحاب النحو وأهل نقد الكلام، سادّاً ما فيها من نقص"(٢) وأن جهود ابن سنان "منها نرى أنه عالم يحكم عقله، وليس ناقداً يحكّم ذوقه وخبرته بالنصوص، وتلمسه لأسرار الجمال فيها، وإن كنا لا ننفي جهده في الكتاب، ولا ننكر فضله في أنه وضع به الأساس العلمي لاتجاه أصحاب البديع، وبذلك صار سر الفصاحة حجتهم في الاهتمام بالألفاظ، كذلك كان كتابه عمدة علماء البلاغة في مصر والشام، فقد كشف عن فلسفتهم في البديع"(٣).

ويجمل شوقي ضيف ما عالجه سر الفصاحة بقوله: "وواضح أن الكتاب عالج فنون البلاغة والبديع في ثنايا حديثه عن سر الفصاحة، إذ هي عنده تشمل حسن اللفظ وحسن المعنى... وقد جمع فيه كل محاسن الكلام في رأيه، مع تحليلات لبعض الأبيات، ومناقشات دقيقة لمن سبقوه في عرض بعض وجوه البديع، ولعلنا لا نُبعد إذا قلنا إن صور البديع الأساسية ضبطت ضبطاً دقيقاً منذ القرن الرابع الهجري، بخلاف صور علمي المعاني والبيان، فقد كانت لا تزال تفتقر إلى ضبط أدقّ، أمّا علم المعاني فكل ما جاء فيه إنما كان نظرات جزئية متفرقة أو متناثرة، لا

---

(١) محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي: ٢/٢٥٣.

(٢) نفسه: ٢/٢٥٤.

(٣) نفسه: ٢/٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجمع بينها نظرية عامة ولا ما يشبه نظرية. وأمّا علم البيان فتحددت حقّاً صوره من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية، ولكنها كانت لا تزال تنتظر من يرسم حدودها وشُعبها رسماً دقيقاً بحيث تتألف منها نظرية متشابكة، تعمُّها وحدة متناسقة"(١).

ويقول علي مهدي زيتون "كان ابن سنان في مقدمة مفكري عصره الذين أحسوا بعبقريته الواعدة، فاعترفوا له بمقامه الفكري والأدبي وانتظروا الكثير منه، لكن المنون التي عاجلته لم تسمح له إلا بإعطاء القليل مما كان بمقدروه أن يعطيه..."(٢).

---

(١) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ: ١٥٨-١٥٩.

(٢) في مقالته المجتزأة من أطروحته للماجستير المرقونة، وعنوانها: ابن سنان الخفاجي ناقداً وشاعراً، المنشورة في حوليات فرع الآداب العربية (معهد الآداب الشرقية) بجامعة القديس يوسف مج٣ ص١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد القاهر الجرجاني: ٤٠١-٤٧١هـ؟

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ويبدو أن أسرته لم تكن لها أصالة في جاه، فلم يعرف التاريخ من نسبه سوى جدّه محمد، ولا ندري من أمرها سوى أنها فارسية(١). ولم نهتد إلى السنة التي ولد فيها عبد القاهر، ولم يتحدث من ترجموا له عن عمره، "وإذا كان قد مات سنة إحدى سبعين وأربعمئة، في أرجح القولين، -ورواية أنه مات سنة أربع وسبعين وأربعمئة تُسبق بقليل دالّة على ضعفها- فربما كان ميلاده في أوائل القرن الخامس الهجري"(٢).

ولد عبد القاهر في جرجان، المدينة المعروفة بين طبرستان وخراسان من أعمال بلاد فارس، ونسب إليها وفيها نشأ وتلقى العلم على يد أبيْ الحسين محمد بن الحسن الفارسي النحوي نزيل جرجان(٣). وهو ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي وعن خاله أخذ العلم. ودحض أحمد أحمد بدوي رواية ياقوت الذي زعم فيها أن عبد القاهر أخذ العلم عن أبي الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، المتوفى (٣٩٢هـ). إذ لا يعقل أن يولد عبد القاهر في مفتتح القرن الخامس للهجرة، ويتلقى العلم من القاضي الجرجاني!؟ مما يرجّح أن أخْذ عبد القاهر كان عن كتبه لا شخصه(٤). فقد تتلمذ عبد القاهر على الكتب يقرؤها بفكر ويقف متريثاً أمام نصوصها. ولم يخرج من جرجان في طلب العلم(٥) "ولم يلق شيخاً مشهوراً في علم

---

(١) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٣٦٩/٢.

وأحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني: ١٦.

(٢) أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني: ١٨-١٩.

(٣) القفطي، إنباه الرواة: ١٨٨/٢.

(٤) أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني: ٦.

(٥) أبو البركات الأنباري، نزهة الالباء: ٣٦٣، وأحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني: ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية يأخذ عنه غير ابـي الحسين محمد الفارسي"(١) ولا يدل على حياته سوى القليل من شعره الذي ينبض بالسخط، كقوله: [مخلع البسيط]

كبّر على العلم لا تزمْهُ ... وملْ إلى الجهل ميْلَ هائم

وعش حماراً، تعش سعيداً ... فالسعد في طالع البهائم(٢)

وقوله: [مجزوء الكامل]

هذا زمانٌ ليس فيه ... سوى النذالة والجهالة

لم يرْقَ فيه صاعدٌ ... إلا وسلّمُهُ النذالة(٣)

وما وصل إلينا من شعره فيه شكوى من الزمان وأهله، ومدح لنظام الملك ذهب في غير موضعه(٤). ومنه يبدو أن معيشته كانت ضنكى.

غير أنه اشتهر بعلمه شهرة واسعة، وعرف عنه أنه كان شافعي المذهب متكلماً على طريقة الأشعريّ(٥) ولقب بالنحوي(٦) وشدّت إليه الرحال(٧)، يقرأ التلاميذ عليه كتبه ويأخذ ونها عنه. ويعدّون من صفاته تدينه الشديد وورعه، وكان معاصره صاحب دمية القصر شديد الاعجاب بعبد القاهر(٨) ويحمل له إجلالاً عميقاً. ويكفيه أنه عاش في عصر ورث فيه جهود أربعة قرون من العلم، أهمها القرن الرابع

---

(١) عبدالقادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي: ٣٥٨.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٣/٣٤٠.

(٣) الباخرزي، دمية القصر: ٢/١٣.

(٤) القفطي، إنباه الرواة: ٣/١٨٩.

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٣/٣٤٠.

(٦) السيوطي، بغية الوعاة: ٢٩٠.

(٧) القفطي، إنباه الرواة: ٢/١٨٨.

(٨) الباخرزي، دمية القصر: ٢/١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للهجرة الذي "كان من أوفر الأزمنة خطراً على السياسة الاسلامية، وكان على ذلك أعظمها أثراً في الثقافة والحضارة عند المسلمين، فهو من أعجب العصور، يتجلّى فيه التناقض بين الثقافة والسياسة"، كما نص سامي الدهان عليه(١) وفصّل القول فيه.

مهما يكن من أمر، فترجمة عبد القاهر عند الذين كتبوا عنه كانت موجزة، متشابهة، تدل على أن حياة الرجل ليس فيها شيء بارز غريب، وإنما هي حياة وهبها صاحبها للدراسة والانتاج، إلى أن وافاه الأجل سنة إحدى وسبعين وأربعمئة(٢) تاركاً آثاره العلمية تدلّ عليه.

٤٨٠٥٩١

ولا يتسع بنا المقام لسرد جميع مؤلفاته بين يديّ هذه الدراسة، فأكتفي بالاشارة إليها، وأرى من نافلة القول أن أذكر مظانّ ورودها، مكتفياً بالإلماح إلى أن الباحثين الذين كتبوا عن عبد القاهر في أيامنا هذه، سردوا مؤلفاته فيما قدّموا لتحقيقهم كتاباً له، أو دراسة عنه، ومنهم: أحمد أحمد بدوي(٣)، وأحمد مطلوب(٤)، ومحمد رضوان الداية بالاشتراك مع فايز الداية(٥)، ومحمد أنوار الحق الخطيبي(٦) وغير هؤلاء من الباحثين الذين لا سبيل لحصر جهودهم في التعريف بعبد القاهر الجرجاني وآثاره.

ولكن ما يرتبط بدراستنا هذه هي كتب البلاغة والنقد الأدبي، التي كانت سبباً في شهرته العلمية وانتشار صيته، فلا سبيل لنا إلا أن نذكرها ونأتي على وصف موجز لكلّ منها، وهي:

---

(١) سامي الدهان (محقق)، كتاب في السياسة للوزير المغربي: ٢٨.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية: ٢٤٢/٣.

(٣) في كتابه: عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية.

(٤) في كتابه: عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده.

(٥) في تحقيق كتاب عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ٩-١٠.

(٦) في مقالة بعنوان: الامام عبد القاهر الجرجاني وآثاره العلمية منشورة في مجلة "الدراسات الاسلامية"، الصادرة عن مجمع البحوث الاسلامية بإسلام آباد/باكستان ع٢ مج٢٨ ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ص.ص٧٥-٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ. دلائل الاعجاز:

يمثّل هذا الكتاب البحث في المعاني والنّظم، بدأه مؤلفه بالحديث عن الدافع له إلى تأليفه وهو البحث عن دلائل الإعجاز في القرآن الكريم، وأول ما يهدي إلى هذه السبيل ويعرف به الاعجاز استقراء كلام العرب وتتبّع أشعارهم والنظر فيها. وفي الكتاب فصول تتناول فضل العلم وفضل الشعر والنحو والبلاغة، وموازنات بين نظم الكلام بحسب المعاني وبحسب الكلمات والحروف، وترجيح الخيال على الحقيقة المحض، ومواضع التقديم والتأخير للمسند إليه، والحذف وأسبابه، والفصل والوصل، والقصر والاختصاص ثم باب في الإعجاز يشمل أسراره ومذاهب العرب فيه والردّ على القائلين بالصرفة، ثم الاستدلال مما في القرآن على أن الفصاحة بحسب المعاني، ويختم الكتاب بأثر الذوق في إدراك البلاغة، مع التمثيل لذلك كله من الشعر والأقوال المأثورة.

وتعود أهمية الكتاب إلى أنه أخرج البلاغة إلى ميدان تحليل النصوص والكشف عن أسرارها والموازنة بين بعضها وبعض، والاستدلال على تفضيل بعضها على بعض، وقد حفل بنظرات نقدية ومسائل نحوية وصرفية للدلالة على ما عرف باسم "نظرية النظم عند عبد القاهر".

ودلائل الاعجاز فيه من عمق الفكرة ما جعل بعض الدارسين يعدّونه مبنيّاً "على طريقة المتكلمين في الجدل المنطقي والقضايا العقلية، حتى إن القارئ يضل كثيراً في تتبعه للرأي الذي يريده في متاهات من القضايا والبراهين العقلية والمنطقية"(١). غير أن "من يقرأ الدلائل يشعر بمدى سيطرة المباحث النحوية والبلاغية على بيان الاعجاز في القرآن نفسه، مما يدل على أن عبدالقاهر قد نسي الغرض الذي ألفل الكتاب من أجله، أو انحرف عن الطريق المرسوم"(٢).

---

(١) محمد زغلول سلاّم، تاريخ النقد العربي: ٢/٢٢١. وينظر ما نقله من كلام لابراهيم أنيس عن كتابه من أسرار اللغة.

(٢) عبدالقادر حسين، اثر النحاة في البحث البلاغي: ٣٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطبع الكتاب على أيدي أساتذة فضلاء، لهم في العلم مكانة لا ينبغي جحدها، وأعيدت طبعاتهم فصدرت عدة مرّات، عدا طبعة محمد بن تاويت، فلم تصدر إلا مرة واحدة، وتحضرني هذه الطبعات من الكتاب:

١. طبعة السيد محمد رشيد رضا، وظهرت في مفتتح هذا القرن العشرين الذي نوشك أن نودّع سنيّه، بعناية الامام الشيخ محمد عبده، باعث النهضة الحديثة ورائد التنوير في أوليّات هذا القرن، واشترك معه في العناية بالكتاب الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، تغمدهما الله برحمته. وكان طبع الكتاب في مطبعة الترقي بالقاهرة، ١٣١٩-١٣٢١هـ/١٩٠١-١٩٠٣م.

٢. طبعة محمد بن تاويت الطنجي في جزئين صدرا بتطوان/ المغرب ١٩٥٠.

٣. طبعة أحمد مصطفى المراغي، بالقاهرة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

٤. طبعة محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٥. طبعة محمد رضوان الداية وفايز الداية، في دمشق ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦. طبعة محمود محمد شاكر بالقاهرة، ولم يوضع عليها تاريخ، مع أنها صدرت عام ١٩٨٤م.

وكثرة طبعات الكتاب وتكرارها تدل على أهميته، بيد أنّه لا غنًى للباحث عن إمعان النظر فيها جميعاً حين يعترضه نصّ مبهم في إحدى الطبعات!.

٢. أسرار البلاغة:

تكفّل هذا الكتاب بالبحث في حسن البيان وطرقه. وعنه يقول إحسان عباس "ربما كان أدق كتاب باللغة العربية في الحديث عن ضروب البيان، وفيه من التفسيرات الجمالية ما يدل على ذوق نقدي أصيل، وربما كان عيب الكتب التي اعتمدت عليه في البلاغة من بعد أنها جرّدته من تلك المسحة الجمالية، وجعلت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قواعده أحكاماً صارمة، ليس فيها إحساس الناقد الأصيل، ولا قوة التعليل الذوقي أو الفكري، فهنا يدرس الجرجاني التشبيه والتمثيل والاستعارة، وهو يلمح دائماً أن (معنى المعنى) يقوم على مستويات متفاوتة في الدلالة والتأثير معاً..."(١).

وعلى نحو ما وضع عبدالقاهر نظرية المعاني في الدلائل، وضع أيضاً "نظرية البيان لأول مرة في تاريخ العربية...، وتدل مباحثه أنه صنف هذا الكتاب بعد الدلائل، لما يجري في كلامه من دقة واستيعاب وضبط وإحكام، ولما ينشر فيه من آراء نفيسة لا عهد لنا بها في الدلائل(٢). غير أن محمود محمد شاكر يرجح أن عبدالقاهر "كتب دلائل الاعجاز في أواخر حياته"(٣).

استهل عبدالقاهر أسرار البلاغة بالكلام في الجناس والسجع، ثم عرض لبعض أمثلة الاستعارة ووقف وقفة قصيرة عند التشبيه والتمثيل، كما يخصص فصلاً لبيان الفروق بين التشبيه المركب والتشبيه المتعدد الطرفين، ويولي اهتمامه بوقع التعبير البياني في التشبيه والاستعارة في النفس، مُظهراً الأثر النفسي للصورة البيانية، ويبحث في الفرق بين الاستعارة والتمثيل، ثم يتناول السرقات، والتخييل، والحقيقة والمجاز، وهكذا يضع في كتابه نظرية البيان العربي، مع أنه أهمل الكلام في الكناية بهذا الكتاب، كأنه اكتفى بما قال فيها من قبل في الدلائل. ومع أنه لم يحاول وضع نظرية في علم البديع، إلاّ أنه فصّل القول في أسرار البلاغة عن الجناس والسجع وحسن التعليل، وأشار غير مرة إلى الطباق.

طبع "الأسرار" طبعات متعددة، وصدرت هذه الطبعات مرات ومرّات، شأنه شأن "الدلائل"، ويحضرني من طبعاته:

---

(١) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٤٢٩.

(٢) شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ: ١٩٠. وعرض عبدالقادر حسين أقوال الباحثين في أسبقية الدلائل أو الأسرار لفي كتابه: أثر النحاة في البحث البلاغي: ٣٦٠.

(٣) محمود محمد شاكر، مقدمة تحقيق دلائل الاعجاز لعبدالقاهر، ص: هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. طبعة نادرة صدرت في دمشق ١٣٠٩هـ/١٨٩١م ثم ١٣١٩هـ/١٩٠١م، ثم ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

٢. طبعة محمد رشيد رضا، بمطبعة الترقي بالقاهرة ١٣٢٠هـ/١٩٢٠م.

٣. طبعة أحمد مصطفى المراغي، بالقاهرة ١٩٣٢م.

٤. طبعة هلموت ريتر، بدار المعارف باستنبول ١٩٥٤م.

٥. طبعة محمد عبدالمنعم خفاجي، بالقاهرة ١٩٧٦م.

٦. طبعة محمود محمد شاكر، بالقاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

ولعل أكثرها انتشاراً وتداولاً بين أيدي الدارسين طبعة ريتر، وهي موافقة لمنهج التحقيق العلمي السليم، وهي التي اعتمدتها في هذه الدراسة.

٣. الرسالة الشافية:

كانت هذه الرسالة قطعة من إحدى مخطوطات كتاب دلائل الاعجاز، فاستلّها محققاها(١) من المخطوطة، ونشراها ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، للرماني، والخطابي، وعبدالقاهر الجرجاني. ثم أعاد محمود محمد شاكر طبعها في النسخة التي قرأها وعلق عليها وأصدرها مطبوعة ضمن "دلائل الإعجاز"(٢).

والرسالة موضوعها إعجاز القرآن، وصاحبها في رأي إحسان عباس "أكبر متحدث عن الإعجاز في هذا القرن الخامس"(٣). بل إنه يرى أن عبدالقاهر: "سلك

---

(١) محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١١٥-١٥٨. ومعها خلاصة فكرة عبدالقاهر في إعجاز القرآن بنظمه، مستلة من كتابه دلائل الاعجاز، وقد ألحقت بثلاث رسائل ص ١٩٧-٢٠٥. مع أنهما ص١٧ نصا على أن الرسالة الشافية ليست نصاً خارجاً من دلائل الاعجاز!.

(٢) محمود محمد شاكر، دلائل الاعجاز للجرجاني، مقدمة التعليق ص: هـ.

(٣) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٤١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طريقاً معاكسة حين جعل منطلقه فكرة الإعجاز نفسها، وعن هذه الطريق أسهم في توضيح مفهوم البلاغة، -على نحو لم يسبق له مثيل- كما أسهم في معالجة كثير من النظريات النقدية بمعدّات جديدة من الفحص الدقيق والتغلغل النافذ إلى بواطن الأمور(١).

ولم تكن الرسالة مجرد ربط الاعجاز بنظرية النظم عنده، ولكنها إلى جانب ذلك حملت ردود عبدالقاهر على القائلين بالاعجاز من طرق أخرى، وإلى هذا أشار عبدالرؤوف مخلوف بقوله: "وكأنه يردّ على الباقلاني حين ذهب إلى أن مخالفة القرآن لسائر أجناس كلام العرب وجه في إعجازه"(٢).

وقرأتُ الرسالة الشافية لعبدالقاهر قراءة متدبّر لما حوته من كلام عبدالقاهر، وانتهى بي الأمر إلى التوكيد أن الرسالة لم تحقق بعد تحقيقاً علمياً وافياً، وأنها مليئة بتداخل الفصول وتناثرها بحيث يشعر القارئ أن فيها تكراراً ينبغي أن يعالج حتى تتضح الرسالة، وتخلّص مما وقع فيها من اضطراب فقراتها، ولعلّ الأيّام تتيح لأحد الباحثين إعادة تحقيقها وتقويم الخلل في المطبوع منها.

على أن أحد البلاحثين يرى أن "عبدالقاهر قد شرع في تصنيف رسالة جديدة ليستدرك ما فاته في الدلائل، ويشفي بها صدور المعارضين في الاعجاز ودلائله، وتقويض حججهم المزعومة، والرد عليها بما يفحم، وكأنه بذلك يريد أن يستكمل كتاب الدلائل حتى يتحقق الغرض الديني والدفاع عن العقيدة، ولعل هذا يرجح أن عبدالقاهر كتب الرسالة الشافية بعد الدلائل"(٣).

---

(١) إحسان عباس، تاريخ النقد العربي عند العرب: ٤١٩.

(٢) عبدالرؤوف مخلوف، من قضايا اللغة والنقد والبلاغة، حيث أفرد في كتابه هذا فصلا بعنوان: خاطرة حول عبدالقاهر الجرجاني في رسالته (الشافية) في قضية إعجاز القرآن: ٣١١-٣٢٠.

(٣) عبدالقادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي: ٣٥٩-٣٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال السبكي: "ومن مصنفاته كتاب المغني على شرح الايضاح في نحو ثلاثين مجلداً، وكتاب المقتصد في شرح الايضاح ايضاً ثلاث مجلدات، وكتاب اعجاز القرآن الصغير، والعوامل المئة، والمفتاح، وشرح الفاتحة، والعمدة في التصريف، وكتاب الجمل المختصر المشهور"(١) .

(١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: ٢/٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهاد الأوليّ للكلام في المصطلح:

١. ماهيته:

أ. في المعنى اللغوي:

مما اكتست به مادة (ص.ل ح) في المعجم العربي: الصلاح ضد الفساد، وصلح (كمنع) أفصح من ضم اللام فيها، وإن كانت اللغة المشهورة صلح (كنصر) يصلح (بفتح اللام وضمّها) صلاحاً وصُلوحاً. وأصلحه: ضد أفسده، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه. ورأى الامام المصلحة في كذا (واحدة المصالح) أي الصلاح. واستصلح: نقيض استفسَد....(١). واصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف واصطلحوا على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا. وتصالحوا: اصطلحوا. والاصطلاح: مصدر اصطلح، وهو: اتفاق طائفة على شيء مخصوص. ولكل علم اصطلاحاته(٢).

ب. في المعنى الدّلالي:

المصطلح في معناه اللغوي: عرف عام، وهو في معناه الدلالي (الاصطلاحي) عرف خاص، فالمصطلح هو كلمة أو عبارة تختار للدلالة على غير معناها اللغوي، أو كلمة لها حدّ متفق عليه عند أهل الاختصاص، والمصطلح لغةٌ خارجَ اللغة أو فوقها، وله مسافة تميّزه عن سائر مفرداتها. فاللغة الاصطلاحية "تكريس لطبقية اللغة"(٣) وللمصطلح دلالة عرفية أولى قد يحملها معه، أو يخرج بدلالة جديدة من نطاق العرف اللغوي العامّ إلى عرف خاصّ به. ويمكن القول أن المصطلح عبارة عن كلمة، أو مجموعة من الكلمات، تتجاوز دلالتها اللفظية

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: (ص.ل.ح)

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط: (ص.ل.ح)

(٣) عز الدين اسماعيل، أمّا قبل، عدد مجلة فصول عن "قضايا المصطلح الأدبي": مج ٧ ع ٣+٤ (١٩٨٧): ص(٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعجمية إلى مفهوم جديد يكون علامة دالة ومحددة في حقل معرفي معين. بل إن المصطلح لغة واصفة ذات جوهر وليست دالة وحسب.

يقول عز الدين اسماعيل: "إن الفكرة الأساسية في المصطلح هي أن يكون أداة تجميع لطائفة من المعلومات أو الصفات النوعية أو الخصائص في أصغر حيّز لغوي دالّ هو: اللفظة، بحيث تقوم اللفظة بديلاً في الفكر عنها. لكن المصطلح كذلك أداة ضبط للمعرفة، وتوحيد للفكر. فالمصطلح بمثابة سور منيع يحول دون اختلاط ما يضمّ في داخله بما هو واقع في خارجه، وهو -في الوقت نفسه- القاعدة الموحّدة للفكر في المجالات المختلفة، التي على أساس منها ينمو هذا الفكر ويتطوّر"(١).

ويقول تمام حسان: "والمصطلح -كما نعلم- يعدّ اسم علم على الفكرة العلمية" ويرى أن المصطلحات "تستند إلى عرف فني خاص"، إذ "يخالف المصطلح اسم العلم في: أنه عرفيّ، وأن دلالته لا تحتمل المجاز، وأن دلالته تحدد قبل الاستعمال، ويراعى في صوغه سهولة التداول والاختصار، حتى يمكن أن يقوم على حرف واحد مثل: س، ص، وأنه لا توازيه كنية ولا لقب"(٢).

ويقول ريمون طحان: "والمصطلح أصلاً هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص يتصل بتغيير مدلولات الألفاظ... وتحديد المصطلح هو فرع من فروع البحوث العلمية.... وما تقدّم علم إلا لوجود مصطلح خاص به، وما تأخر علم إلا لعدم وجود مصطلح خاص به..."(٣).

ويقول صلاح فضل: "فالمصطلح تسمية فنيّة تتوقف على دقّتها ووضوحها معرفة الأشياء والظواهر، بسيطها ومركبّها، ثابتها ومتغيّرها. وهو يرتكز في أساسه

---

(١) عز الدين اسماعيل، أمّا قبل، عدد مجلة فصول عن "قضايا المصطلح الأدبي": مج ٧ ع ٣+٤ (١٩٨٧). وكذلك فصل القول في مفهومه أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم: ١٠/١.

(٢) تمام حسان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، عدد مجلة فصول عن "قضايا المصطلح الأدبي": مج٧ ع٣+٤(١٩٨٧) ص(٢١)..

(٣) ريمون طحان، ودنيز بيطار طحان، مصطلح الأدب الانتقادي المعاصر: ٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على منطلقين هما: الوضع والنقل؛ ويظل مجرّد اقتراح لعلامة منظّمة للأفكار أو دالّة على نسقها، حتى يتم قبوله وشيوعه وتداوله..."(١).

هذا عن "المصطلح" على إطلاقه، وبقيت كلمة في "علم المصطلح": فهو "العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبّر عنها"(٢). ويعرف باسم (المصطلحية)، وهو "علم مشترك بين علوم: اللغة والمنطق والإعلامية وحقول التخصص العلمي، ويهمّ هذا العمل المتخصّصين في العلوم والتقنيات والمترجمين والعاملين في الاعلاميات وكل من له علاقة بالاتصالات المهنية والتعاون العلمي"(٣).

ويرى علي القاسمي أن "المصطلحية علم تحت الصنع: رأى النور في هذا القرن، وشهد تطوّراً هائلاً سريعاً في السنوات القليلة المنصرمة، أجّجه بالاندفاع تقدم المعرفة البشرية في العلوم والتكنولوجيا، ودجّجه بالارتفاع تفاقم تبادل المعلومات بين أقطار الدنيا الناطقة بلغات متباينة، وما زال هذا العلم ينمو رأسياً وأفقياً..."(٤).

أمّا صياغة المصطلح، فلها آلية مخصوصة ينبغي أن تراعى عند وضعه، وقد أشار إلى هذه الآلية أحمد مطلوب(٥). وعبد السلام المسدّي(٦). فما دام المصطلح تحصيناً للعلم أو الفن من عبث غير الواعين الطارئين على ذلك العلم أو الفن، لا بد

---

(١) صلاح فضل: إشكالية المصطلح الأدبي بين الوضع والنقل، ضمن عدد خاص يتضمن ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، نشرته مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية- فاس، المغرب. عدد ٤ لسنة ١٩٨٨م: ص٦٩.

(٢) علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح: ١٧-١٨.

(٣) نفسه ١٨.

(٤) نفسه: ٦.

(٥) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم: ١٤/١.

(٦) عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي وآليات صياغته، (ضمن عدد خاص موضوعه: المصطلح؛ قضاياه وإشكالاته، نشرته مجلة "علامات" الصادرة عن النادي الأدبي في جدّة السعودية. مج٢ ج٨ (١٩٩٣م) ص(٥٣-١٠٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له من أن يكون مشروطاً بشروط لوضعه، أهمها: أن يكون جماعياً لا فردياً، اتّفاقياً لا اعتباطياً، مرتهناً بالحقل المنتمي إليه لا ارتجالياً، مقصوداً لضرورة معرفية ومنهجية وليس ترفاً (موضة) تموت بعد انتهاء موسمها، إنه إبداع على نمط مخصوص. وبهذه الشروط يتم تحصين المصطلح من الموت، وتناط حياته برصيده في الاستعمال عند أهل الاختصاص، وبالتالي مقدار دورانه في الحياة اليومية العملية، وليس الأمر على هذا النحو فحسب، بل الاصطلاح هو أساس المنهج العلمي السليم(١).

وعن أهمية وجود المصطلح يقول ناصر الحاني: "عالم اليوم لا يحتمل أن تنفرد أمّة بما عندها من أدب أو فن أو علم، أو تسدّ منافذها دون التيارات الوافدة من الأنحاء البعيدة والقريبة. فلقد صغرت الأرض وانكمشت دروبها،... ولقد شرّقت اصطلاحات وتعابير أدبية وفدت من الغرب، شأنها شأن سيل من الاصطلاحات العلمية والاجتماعية والفلسفية والاقتصادية، وصرنا نقرأ عن هذه ونتقصّى أخبارها وسير أعلامها ونتاجهم الفكري، وتغلغل بعضها بنفوس أدبائنا، وطبعوا بطابعها، وانقسموا طبقات وفرقاً تعضد كل منها رأياً أو مدرسة هناك..."(٢) ويمضي ناصر الحاني في تبيين تأثير الاحتكاك المعرفي بالعالم، ومدى الحاجة إلى الإحاطة بالمصطلح. وليس في دعوته إلى اتقان المصطلح أية غرابة، لأن المصطلح باب لأي علم من العلوم أو فن من الفنون أو معلومة من المعارف الإنسانية، ولمعرفة أي علم أو فن أو حتى معلومة صغيرة، علينا أن ندخل البيوت من أبوابها، وأبوابها هي مصطلحاتها!.

وما دمنا نبحث في أهمية المصطلح ودوره في الحياة، فلا بأس من الاشادة بما له من مكانة اكتسبها خلال رحلته الطويلة عبر الطريق المعرفي للإنسان منذ

---

(١) سعيد علوش، أعطني اصطلاحاً اعطك منهجاً، أو هبني منهجاً أهبك اصطلاحاً. مقالة منشورة في الأقلام العراقية، عدد أيلول (١٩٨٦). ص(٥٠-٦٠).

(٢) ناصر الحاني، المصطلح في الأدب الغربي: ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشأته، ولا ريب في أن ما للمصطلح من أهمية أوجدت له مكانة متقدمة، فصار حاجة ضرورية، ما دام " تحليل المفاهيم الأساسية لأي فرع أو حقل معرفي يعتبر المدخل الأول لتفكيك ذلك الفرع أو الحقل... فالمفاهيم ليست ألفاظاً كسائر الألفاظ، وما هي مجرد أسماء أو كلمات يمكن أن تفهم وتفسّر بمترادفاتها...، بل هي مستودعات كبرى للمعاني والدلالات، كثيراً ما تتجاوز البناء اللفظي وتتخطى الجذر اللغوي... وإذا كان المفهوم مغايراً للأسماء من حيث الدلالة والوظيفة المعرفية، وإن كان اسماً من حيث الإعراب، فإنه مغاير للمصطلح كذلك، فالمصطلح بمثابة الاسم: يصطلح جماعة من الناس يجمعهم حرفة أو مصلحة أو سواها على إطلاق لفظ بإزاء معنى أو ذات، لا ينازَعون فيما اصطلحوا عليه، حيث لا مشاحّة في الاصطلاح..."(١).

وقد أفاض أحمد مطلوب في بيان أهمية المصطلح في حياتنا، ولعلّ أبرز ما في هذا الأمر أن العناية بالمصطلح مدعاة "لتكون سبباً من أسباب جمع الشمل" وما أحوجنا في البلاد العربية إلى ذلك(٢).

وما يميز علماً عن آخر هو دقة المصطلح فيه وعدم تداخله بغيره، فالقدرة على ضبط المصطلح تسعف الباحث بأدوات ضبط لبحثه، وتسهل عليه بسط المعرفة التي يريد توصيلها. وكلما سعينا في استخدام مصطلح واضح مبسط، وفق منهج علمي منضبط، أمكننا زيادة الوعي بالعلم الذي ينتمي إليه هذا المصطلح.

والحديث في المصطلح له أوّل، غير أنه لا ينتهي، فنحن نتكلم عن المصطلح، ونعقد الندوات والمؤتمرات حوله، وربما وجد المرء نفسه مزدحم الأفكار عن المصطلح، وذلك لأن قضية المصطلح تقع في قلب الحركة الفكرية، ومن

---

(١) نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة، المدنيّة: دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المقدمة بقلم: طه جابر العلواني : ٧-٨..

(٢) أحمد مطلوب، دور المجمع العلمي العراقي في وضع المصطلحات، الموسم الثقافي التاسع لمجمع اللغة العربية الاردني، ١٩٩١، ص.٦١ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباحثين من يقول: "لقد بات معروفاً جداً أن ثمة أزمة في المصطلح، والأزمة هي الشدة والقحط(١)... ويقال: إن الشدة إذا تتابعت انفرجت، وإذا توالت تولت"(٢)، وينتهي إلى القول: "إن المصطلح وسيلة لطرح معنى طارىء، فلا بدّ إذن من توضيح المعنى أوّلاً(٣).

ونحن العرب لم يكن المصطلح طارئاً جديداً علينا، فأسلافنا قديماً اصطلحوا، وإلى جهود السابقين في الوعي بطبيعة المصطلح وشروط إطلاقه، ذهب أحد الباحثين إلى أن ذلك "من أبرز منجزات الفكر العلمي العربي، وارتبط ذلك بمشروع تأصيل المعارف الاسلامية وتوثيقها، فقرروا أن المصطلح يعتمد على العرف الخاص، وأن أهل هذا العرف هم الذين يملكون حق وضعه، وهم الذين يتعيّن عليهم أن يقوموا بتغييره إذا لم يف بمقتضيات الدلالة الدقيقة على مسمّاه، وليس من حق فئة أخرى أن تنازعهم في ذلك، ما دامت لا تشاركهم الصنعة، ولا تأخذ في أسباب العلم بها"(٤).

ويعرض الباحث لجهود الأقدمين في سبيل تطوير المصطلحات، فيتناول الاختراع عند قدامة مثلاً، وتحذير ابن دقيق العيد من التفرد في المصطلح، وما بذل اللغويون منذ وعيهم بمشكلة المصطلح، ولعلّ رصده قنوات وضع المصطلح عند القدماء خير دليل على عنايتهم بأمره، فهو يعدد تلك القنوات(٥)، ومنها الوضع أو

---

(١) عبد الواحد لؤلؤة، أزمة المصطلح النقدي، مجلة "علامات" في النقد الأدبي، مج٢ ج٨، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص١٦١. ويبدأ مقالته بالقول: وددت لو تختفي كلمة أزمة من التداول في الكتابات الأدبية، أو يخف استعمالها، لأنها في نظري دليل على الاضطراب في استعمال المصطلح!!.

(٢) محمد اسماعيل بصل، نحو رؤية لسانية لوضع المصطلح، مجلة البحرين الثقافية، ع٦، اكتوبر/١٩٩٥م ص:١٤٥ وما بعدها.

(٣) نفسه.

(٤) صلاح فضل، إشكالية المصطلح الأدبي بين الوضع والنقل، عن "ندوة المصطلح النقدي" مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس، ع٤ سنة ١٤٠٩/١٩٨٨ ص.٦٩-٨٦.

(٥) نفسه: ٦٩-٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاختراع، والنقل، والترجمة، وبعث الدلالة في موروث قديم وغيرها. ولم يكن وحده في رصد جهود القدماء، فكثير من أهل الاختصاص تناولوا اهتمام العرب منذ القديم بالمصطلحات، فهذا -مثلاً- أحمد مطلوب يعرض لرافد من تلك الروافد، وهو كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي(٣٨٧هـ)(١). ومثلما تناول هذا الرافد، يمكننا أن نثني برافد آخر، أو على الأصحّ عدة روافد أغنت المصطلح عند العرب مثل المعرّب من الكلام الأعجمي للجواليقي (٥٤٠هـ)، وألف باء البلوي (٦٠٤هـ)، والتعريفات للجرجاني (٨١٦هـ) وبصائر ذوي التمييز للفيروزا بادي(٨١٧هـ)، ورسالة في تعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا (٩٤٠هـ)، وكلّيات أبي البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ) وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١١٥٨هـ) وغير هؤلاء كثير، وإنما أوردتهم على سبيل التمثيل لا الحصر وقد وسّع القول فيهم علماء كثيرون(٢)، ومالي أذهب بعيداً وهذا فرانز روزنتال ينصّ على عناية المسلمين قديماً بالمصطلح قائلاً: "كانت المصطلحات والتعريفات (الحدود) من موضوعات النقاش المحببة لدى المفكرين المسلمين الذين نشأوا في ظل تقليدين؛ أحدهما: عربي، وثانيهما: فلسفي أرسطي...."(٣). وكلامه هذا لم يصدر من فراغ، فرسائل الحدود والرسوم في تراثنا معروفة، أفرد لها عبد الأمير الأعسم كتاباً حقق بعضها فيه(٤).

ولا يفوتني أن أذكر في هذا المقام ما للغة العربيّة من خصائص(٥) جعلتها لغة نابضة بالحياة، وجعلت توليد المصطلح فيها أمراً سهل المنال، لأنها تفيد واضع المصطلح في أي علم أو فن بما لديها من طرق متعددة كالاشتقاق والنحت والمجاز

---

(١) أحمد مطلوب، بحوث لغوية: ١٦١ وما بعدها.

(٢) إبراهيم بن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية: ٣١/١ وما بعدها.

(٣) روزنتال. فرانز، مفهوم الحرية في الاسلام، ترجمة معن زيادة: ٢١.

(٤) عبد الأمير الأعسم، المصطلح الفلسفي عند العرب: مقدمة الخبير العلمي لجامعة بغداد، الصفحة الداخلية للغلاف الأول.

(٥) أحمد مطلوب، من خصائص اللغة العربية، ضمن اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت ص١١٥-١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتعريب والنقحرة والاقتراض، وغيرها مما لا نطيل الكلام فيه، تجنباً للإطالة والتكرار، وقد كفانا مؤونة بسط القول فيها علماء كثيرون، منهم عبد السلام المسدي مثلاً، إذ تناول طرق وضع المصطلح بالتحليل والشرح(١).

أمّا ما هذه الدراسة بصدده، وهو المصطلح البلاغي والنقدي، فليس إلى التجاوز عنه من سبيل.

المصطلح البلاغي والنقدي:

لماذا هو؟

ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين، علينا التسليم بأننا إلى الآن "ما زلنا ندرس هذه اللغة التي فرض عليها أن تساير العصر، بطرائق العصور المتأخرة في تاريخ العربية. وما زالت مصنفات القرن السادس والسابع الهجريين، بل حتى القرون اللاحقة هي مفصل الرأي في علم النحو العربي!.

وكأن ليس بيننا وبين أهل العلوم في هذا العصر من صلة الرحم وشائج تفرض علينا السير في طريق واحد، ومنهج واحد هو منهج العصر الحديث(٢).

ولا بدّ لنا من تقريب جهود القدماء وعرض آرائهم على جيل هذا العصر بلغة العصر، وليت شعري ما الذي يمكن لأبناء هذا الجيل أن يحقّقوه في ميدان الدّرس البلاغي والنقدي، ونحن نسمع اكثرهم يشكون من صعوبة فهمه، ويجأرون بالقول: إن دراسة البلاغة في مناهجنا مشوشة مختلطة مرتبكة، وليتها تتخلّص من التعقيد والغموض! وهم على حق، فجيل اليوم يقرأ تزاثنا بإحدى عينيه، ويرسل

---

(١) عبد السلام المسدي، اللسانيات وعلم المصطلح العربي، أشغال ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية، الجامعة التونسية، ١٩٨٣.

(٢) ابراهيم السامرائي، الأصل القديم للمصطلح الحضاري، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية: العدد ٣٠، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ص٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثانية إلى ما يراه من أفانين هذا العصر، فيظلّ مشدوداً بين ماضٍ موروث وواقع مُعاش، وتختلط عليه أمور كثيرة، فيترك ما يستعصي منها على الأفهام!.

إن نبش التراث ومناقشة ما فيه، من القضايا الملحّة لتأسيس مستقبل علمي أكثر تفتحاً، ولعلّ من الخير أن يكون أول التجديد قتل القديم فهماً، ليكون التطوّر على قاعدة متينة من الفهم والتفهّم. وفي تراثنا حشد من كتب البلاغة والنقد الأدبي، تناولنا منه أقلّه بالتحليل والرعاية، وإخراجه في صورة جلية مشرقة قريبة من المعاصرة! فاستحالت البلاغة بين أيدينا مادة عسيرة الهضم على الناشئة، وهي التي تُعرف باسم فن القول، وتُعنى بدراسة الأساليب. فكيف توصم "بالجوّانية" وهي التي إن سفرت عن علومها ظهرت بأبهى صورها، وكلّما طرقنا باباً من أبوابها انفتح لنا عن بُعد جديد أو ظاهرة جمالية كنا في غفلة عنها. فالبلاغة لا تتحقق شروطها إلا بعد عمق النظر في مسائلها، للوصول إلى درجة من حسن الدلالة ووضوحها فيما نقول ونفكر وندوّن.

ومن أسباب النهوض بالبلاغة "دراسة مصطلحاتها وتطورها وإبرازها بثوبها العربي الأصيل، ولن يتم ذلك إلا بوضع معجم يجمع جزئياتها وينسقها في عرض تاريخي يظهر تطوّرها ويحدد معالمها"(١).

وعلينا التسليم بأن البلاغة من العلوم التي تحوي كتبها مصطلحات كثيرة، غير أنها تفتقر إلى التنسيق والتبويب لينتفع بها، فيسهل علينا تنمية حاسة التذوق الجمالي وتربية ملكة النقد ومعرفة جيد الكلام من رديئه، وصياغة الأساليب المختلفة باقتدار، أليست البلاغة علم صناعة الكلام؟!.

هذا شيء عن ضرورة المصطلح البلاغي ومدى الحاجة إليه، وكذلك الحال في المصطلح النقدي، إذْ "كان النقد الأدبي عند العرب في مراحله المبكرة يفتقر إلى المنظومة الاصطلاحية... وكانت حاجة الناس إلى النقد الأدبي -علماً- أقل من حاجتهم إلى علوم أخرى لها علاقة ماسّة بشؤون حياتهم اليومية. فنشأ النقد علماً له

---

(١) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١/٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصطلحاته، ولم يكن له أن ينجز في مرحلة مبكرة، ولا أن يوجد في عمل نقدي كبير كالنحو والفقه مثلاً(١).

نشأ المصطلح البلاغي والنقدي في بواكير الحضارة العربية الاسلامية، وتطوّر على تعاقب الأيام والليالي، فمنذ أن بدأ عند ابن المعتز (٢٩٦هـ) بخمسة فنون للبديع، وهو في ازدياد ونماء حتى بلغ تعداده اليوم في معجم المصطلحات البلاغية ألفاً ومئة مصطلح(٢)!.

وهذه الزيادة في عدد المصطلحات البلاغية لم تأتِ اعتباطا، إذ مرّ المصطلح البلاغي بتطور تاريخي على يد علماء البلاغة، وكان منه المشترك، والمخالف في التسمية مع أن الدلالة واحدة، والمتعدد الأسماء والمدلول واحد، وما خُلق منه ليبقى ويحيا على مرّ العصور، وما كُتب له من البقاء أمداً محدوداً ثم ما لبث أن فارق الحياة! لقد حوى معجم المصطلحات البلاغية نماذج وأمثلة كثيرة لما خضع له المصطلح من نشأة وتطوّر وتجدد واندثار(٣).

والمصطلح البلاغي ورد قديماً عند الجاحظ (٢٥٥هـ)، وابن قتيبة (٢٧٦هـ)، وثعلب (٢٩١هـ)، وابن المعتز (٢٩٦هـ)، وابن طباطبا (٣٢٢هـ)، وقدامة (٣٣٧هـ)، وأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) صاحب كتاب الفزوق في اللغة.

هذا قبل ابن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ) وابن سنان (٤٦٦هـ) وعبد القاهر (٤٧١هـ) أقطاب البلاغة في القرن الخامس للهجرة.

وكذلك حال المصطلح النقدي، يضاف فيه إلى السابقين: أبو بكر الصولي (٣٣٥هـ)، وأبو القاسم الآمدي (٣٧٠هـ) والرمّاني (٣٨٤هـ)، والقاضي الجرجاني (٣٩٢هـ)، وأبو علي الحاتمي (٣٨٨هـ).

---

(١) عبد الاله نبهان: الأسس الموضوعيّة لنشأة المصطلح، مقالة في مجلة التراث العربي، العدد ٥٩، ص ٣٧. اتحاد الكتاب العرب– دمشق، نيسان ١٩٩٥.

(٢) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١/٨.

(٣) نفسه: ١/٧-٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرض لتطوّر المصطلح عند هؤلاء أحمد طاهر حسنين(١)، وفصّل القول في ذلك، مما لا يتيح لي تكرار ما رصده وكشف عنه، وإن كنت لا أذهب إلى ما ذهب إليه جميعه، إلا أن ما أتفق معه عليه أكثر مما أختلف فيه، ويمكن أن أضيف إلى ما أورده، مما لا يتسع له المقام في هذا المكان.

وكذلك الحال في المصطلح النقدي، كتب فيه متخصصون، وصدرت أعداده خاصة من الدوريات العلمية فيها قضاياه وإشكالاته، لعل ابرزها: مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس-المغرب(٢). ومجلة علامات في النقد الأدبي الصادرة عن النادي الأدبي الثقافي بجدة(٣). ومجلة فصول: مجلة النقد الأدبي التي تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب(٤). وثمة دوريات أخرى خصصت صفحات من أعدادها لبحوث ودراسات في المصطلح النقدي. منها مجلة اتحاد الكتاب التونسيين"المسار"(٥). والمجلة الثقافية الصادرة عن الجامعة الأردنية(٦). ومجلة مجمع اللغة العربية الأردني، إضافة إلى مواسم ثقافية أقيمت فيه وخصصت لندوات عن المصطلح عموماً إلى جانب المصطلح النقدي(٧). ومجلات غيرها لا نستقصي ذكرها جميعاً، وهي مما لا يخفى على الباحثين المتخصصين.

ولا يفوتني أن أشير إلى دراسات جامعية في المصطلح، منها ما هو قريب التناول، ومنها ما تسمع به ولا تراه! وفيما يلي نماذج من عناوين تلك الدراسات:

---

(١) أحمد طاهر حسنين، المصطلح البلاغي وتطوره حتى نهاية القرن الرابع الهجري. مجلة الآداب -جامعة الامارات، العدد السادس، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص٣٠٣-٣٣٨.

(٢) عدد خاص، ٤ السنة ١٤٠٩/١٩٨٨ عن: ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم.

(٣) عدد خاص.ج٨ مج٢ محرم ١٤١٤هـ/ يونيه ١٩٩٣م. عنوانه: المصطلح: قضاياه وإشكالاته.

(٤) أبرز أعدادها عنوانه: قضايا المصطلح الأدبي، مج٧ ع٣،٤ ابريل-سبتمبر ١٩٨٧م.

(٥) العدد المزدوج ٢٤-٢٥ جوان ١٩٩٥ وفيه مقال: دعوة إلى دراسة المصطلح النقدي بقلم مسلم الزيبق.

(٦) لا تخلو أعدادها من مقالات في موضوع المصطلح، ومنها العدد الثلاثون مثلاً، وفيه مقال الأصل القديم للمصطلح الحضاري بقلم ابراهيم السامرائي.

(٧) مثل الموسم الثقافي الثاني عشر، وأبرز ما جاء فيه: وضع المصطلح العربي في البلاغة والنقد والعروض: ١٤٣-١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيُّن للجاحظ (٢٥٥هـ) للشاهد البوشيخي، وهو مطبوع في بيروت.
٢. المصطلح النقدي في عيار الشعر لابن طباطبا (٣٢٢هـ) لمنتهى علي خليل حسين.
٣. المصطلح النقدي في نقد الشعر لقدامة(٣٣٧هـ) لإدريس الناقوري، وهو مطبوع بالمغرب.
٤. المصطلح البلاغي والنقدي عند أبي علي الحاتمي (٣٨٨هـ) لبديع أحمد حسن العزام.
٥. المصطلح البلاغي في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (بعد ٣٩٥هـ) لعبد الرحيم بخيت الشهاب.
٦. المصطلح البلاغي في كتاب العمدة لابن رشيق (٤٦٣هـ) لمحمد خليل محمود الخلايله.
٧. المصطلح البلاغي والنقدي عند عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) لابراهيم محمد سالم.
٨. المصطلحات البلاغية والنقدية في كتاب الطراز للعلوي (٦٥٦هـ) لعبد الرازق أبو زيد زايد.
٩. المصطلح النقدي عند حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) معجم وتفسير ومصادر وإشكالية، لعباس عبد الحليم عباس.
١٠. مصطلحات نقدية: أصولها وتطورها إلى نهاية القرن السابع للهجرة، لخير الله علي السعداني.

وعلى رأس هذه الجهود، ذلك الأثر العلمي الذي خطه يراع أحمد مطلوب وهو:

١. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. في ثلاثة أجزاء.
٢. معجم النقد العربي القديم. في جزئين.
٣. مصطلحات بلاغية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك لا نغفل كتاب بدوي طبانة:

معجم البلاغة العربية، صدر في جزئين، ثم في مجلد واحد يضم الجزئين. وأصدر عبده عبد العزيز قليقلة كتاباً عنه عنوانه:

معجم البلاغة العربية: نقد ونقض!

ولا ننسى كتباً أخرى في المصطلح عموماً، إضافة إلى دراستين لهما صلة وثيقة هما:

المصطلح البلاغي وتطوره حتى نهاية القرن الرابع الهجري لأحمد طاهر حسنين. نشرها في مجلة كلية الآداب بجامعة الامارات.

معجم لمصطحات النقد الحديث لحمّادي صمّود، نشرها في حوليات الجامعة التونسية.

بقي أن نشير في مسألة المصطلح إلى ابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني، هل ورد ذكر للمصطلح عندهما؟ وكيف نظر كل منهما إليه؟.

أمّا ابن سنان فله نصوص متناثرة في سرّ الفصاحة، مثل قوله: "...فأمّا النثر فيجري على هذا المنهاج، ويحتاج فيه إلى معرفة المواضعات في الخطاب والاصطلاحات، فإن للكتب السلطانية من الطريقة ما لا يستعمل في الإخوانيات، وللتوقيعات من الأساليب ما لا يحسن في التقاليد، وهذا الباب -أعني المواضعة والاصطلاح في الخطاب -يتغير بحسب تغير الأزمنة والدول، فإن العادة القديمة قد هجرت ورفضت، واستجد الناس عادة بعد عادة، حتى إن الذي يستعمل اليوم في الكتب غير ما كان يستعمل في أيام أبي اسحق الصابي، مع قرب زمانه منا، وإذا كان الأمر على هذا جارياً، فليس يصح لنا أن نضع رسوماً نوجب اقتفاءها، لأنا نحن في هذا الزمان قد غيّرنا الرسم المتقدم لمن قبلنا، وكذلك ربما جرى الأمر فيما بعدنا"(١).

ويقول في موضع آخر: "وبعض البغداديين يسمي تساوي اللفظتين في الصفة مع اختلاف المعنى -المماثل-... ويسمي المجانس ما توافقت فيه اللفظتان بعض

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاتفاق. وأبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب يسمي هذا الفن المجانس ويسمي المطابق: المتكافىء، وقد أنكر عليه ذلك أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي... والصواب ما قاله أبو القاسم"(١).

وكذلك أشار إلى اختلاف نقاد الشعر في تسمية المصطلح الدال على الفن نفسه(٢) وهذا يدل على اضطراب وفوضى في وضع المصطلح نص عليها ابن سنان. كما أشار إلى أن نقاد الشعر ربما جعلوا للمعنى الواحد عدة أسماء، كالترصيع الذي يسمّونه ترصيعاً وموازنة وتسميطاً وتسجيعاً، وهو كله يرجع إلى شيء واحد(٣). وأشار إلى اختلاف الآمدي وقدامة في التسمية مرة أخرى(٤)، وكذلك ظهر اضطراب في تسمية مصطلحات أخرى(٥). كما ينص ابن سنان صراحة على أن: "لأنّ في الألفاظ مواضعة واصطلاحاً يختلف الناس في المعرفة بهما بحسب اختلافهم في معرفة اللغة، وفهم الاصطلاح والمواضعة، والمعاني ليس فيها شيء من ذلك، وإنما معيارها العقل والعلم وصفاء الذهن"(٦). وفي الفصل الذي عقده بعنوان "فيما يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفته"، ينص ابن سنان على حاجة المؤلف إلى: "معرفة اللغة التي هي لغة العرب قدر ما يعرف كلّ شيء باسمه الذي وضعته له، ويجب أن يكون ذلك الاسم أفصح أسمائه إذ كانت له عدة أسماء..."(٧) ويرى ابن سنان أن: "الانسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وكلام أصحاب تلك الصناعة، وبهذا شرف كلام أبي عثمان الجاحظ، وذلك أنه

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) نفسه: ٢٣٤.

(٣) نفسه: ٢٣٦.

(٤) نفسه: ٢٣٤.

(٥) نفسه: ٢٥٨.

(٦) نفسه: ٢٧٦.

(٧) نفسه: ٣٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا كاتب لم يعدل عن ألفاظ الكتّاب، وإذا صنف في الكلام لم يخرج عن عبارات المتكلمين، فكأنه -في كل علم يخوض فيه- لا يعرف سواه، ولا يحسن غيره"(١).

هذه مقتطفات مما أورده ابن سنان، وكأني به قد لمح ما للمصطلح من مسائل يقف عندها النقاد، فأتى على شيء منها في ثنايا كتابه، ولم يفرد لها مكاناً واحداً، فجاءت منجّمة.

ولم ترد لفظة مصطلح أو مشتقاتها عند عبد القاهر، غير ما أورده في أسرار البلاغة من نص وردت فيه لفظة اصطلاح دونما قصد، فهو بعد أن يفصل القول في الفرق بين الاستعارة والتشبيه ينتهي إلى قوله: "وإذا افترقا هذا الافتراق وجب أن نفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة ... " إلى أن يقول عن أولئك الذين تركوا الدراسة البلاغية تتنازعها الأهواء والأذواق: "وهو أحد ما غفل عنه الناس، ودخل عليهم اللبس فيه، حتى ظنوا أن ليس لهذا العلم قوانين عقلية، وأن مسائلة مشبهة باللغة في كونها اصطلاحاً يتوهم عليه النقل والتبديل، ولقد فحش غلطهم فيه"(٢).

ويبدو لي أن قول عبد القاهر "باللغة في كونها اصطلاحاً" أشبه في المعنى بقول ابن سنان عن اللغة: "اللغة عبارة عما يتواضع القوم عليه من الكلام أو يكون توقيفاً"(٣)، وعاد فقال: "وهي أن الواضع لها -إن كانت مواضعة- تجنب في الأكثر..."(٤) فاللغة عنده إمّا أنها توقيف، أو ربّما تواضع الناس (اصطلاحاً) عليها.

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٩٥.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٠٢- ٣٠٤.

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة ٤٦.

(٤) نفسه: ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

المصطلح البلاغي والنقدي
عند ابن سنان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الابتذال:

من شروط اللفظة الفصيحة عند ابن سنان أن تكون غير ساقطة عامية، فقد جعلها الشرط الرابع من شروط فصاحة اللفظ وهو:

"أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية... ومنه قول أبي نصر عبد العزيز بن نباته: [الطويل]

أقام قوام الدين زيغ قناته وأنضج كيّ الجرح وهو فطير(١)

فتأمل لفظة (فطير) تجدها عامية مبتذلة، وإن كانت لعمري قد وقعت هنا موقعا لو كانت فصيحة هجّنها وأذهب طلاوتها"(٢). والكلمة المبتذلة يكره الناس إيرادها في الكلام الفصيح لأن العامّة قد تخالف ما وضع له اللفظ في الأصل أو تصوغه على غير ما ينبغي له.

الاحتراس:

يدعوه ابن سنان: التحرز، وينظر هناك.

الإخلال:

ينظر: التذييل

الأديب:

هو الشاعر أو الناثر، وسماه ابن سنان مؤلّف الكلام: الشاعر أو الكاتب، وسيرد في مصطلح مؤلف الكلام لأن ابن سنان تداول لفظة "التأليف" غير مرة في كتابه.

---

(١) ابن نباتة السعدي، ديوانه: ٢:٤٢٥. والبيت من قصيدة يمدح فيها بهاء الدولة أبو نصر خسرو بن عضد الدولة البويهي، والفطير: كل ما أعجل عن إدراك غايته.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإرداف والتتبيع:

أوضح ابن سنان أن "من نعوت البلاغة والفصاحة أن تراد الدلالة على المعنى، فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة، بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة، فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع، وهذا يسمّى الارداف والتتبيع، لأنه يؤتى فيه بلفظ هو ردف اللفظ المخصوص بذلك المعنى وتابعه... ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفلٍ أبوها وإما عبد شمس وهاشم(١)

فإنه إنما أراد أن يصف هذه المرأة بطول العنق، فلو عبَّر عن ذلك باللفظ الموضوع له لقال: طويلة العنق، فعدل عن ذلك وأتى بلفظ يدل عليه وليس هو الموضوع له، فقال: بعيدة مهوى القرط، فدلّ بعد مهوى قرطها على طول الجيد، وكان في ذلك من المبالغة ما ليس في قوله: طويلة العنق، لأن بعد مهوى القرط يدل على طول أكثر من الطول الذي يدل عليه: طويلة العنق، لأن كل بعيدة مهوى القرط طويلة العنق، وليس كل طويلة العنق بعيدة مهوى القرط، إذا كان الطول في عنقها يسيراً... (٢).

ويورد ابن سنان أمثلة أخرى من هذا الفن: الارداف، ثم يعقّب على الأمثلة بقوله: "وأصحاب صناعة البلاغة يذكرون الإرداف ولا يشرحون العلة في سببه وحسنه من المبالغة التي نبّهْنا عليها"(٣).

وعلق محقق سرّ الفصاحة "عبد المتعال الصعيدي" على هذا المصطلح قائلاً: اصطلح أخيراً على تسميته بالكناية(٤).

---

(١) عمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ٢٠٨، والبيت في محبوبته هند، ومهوى القرط ما بين شحمة أذنها والكتف.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٧٠.

(٣) نفسه: ٢٧٢.

(٤) نفسه: ٢٧٢، والتسمية قديمة كما نصّ أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/٢٥-٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإرصاد:

أو التوشيح، ينظر: التوشيح.

الارصاد والتسهيم:

ينظر: التوشيح

الازدواج:

ينظر: السجع والازدواج والفواصل.

الاستحالة والتناقض:

يرى ابن سنان من صحة المعاني: "تجنب الاستحالة والتناقض، وذلك أن يجمع بين المتقابلين من جهة واحدة، والتقابل يكون على أربع جهات: إمّا على طريق المضاف وهو الشيء الذي يقال بالقياس إلى غيره، مثل: الضّعف بالقياس الى نصفه، والاب إلى ابنه، والمولى إلى عبده. وإمّا على طريق التضاد: مثل الأبيض والأسود، والشرير والخيّر، وإمّا على طريق العدم والقِنية[1] ، كالأعمى والبصير، والأمرد وذي اللحية، وإمّا على طريق النفي والاثبات، مثل أن يقال: زيد جالس، زيد ليس بجالس. فإذا ورد في الكلام جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات من جهة واحدة، فهو عيب في المعنى. والمراد بقولنا: جهة واحدة، أن لا يكون المتقابلان من جهتين، فإنهما إذا كانا من جهتين لم يكن الكلام مستحيلاً، مثال ذلك أن يقال: العشرة ضعف ونصف، لكنها ضعف الخمسة ونصف العشرين، فيكون هذا صحيحاً لأنه تقابل من جهتين، فأمّا لو كان من جهة واحدة حتى يقال: إن العشرة ضعف الخمسة ونصفها لكان ذلك محالاً. وكذلك يقال في المتقابلين بالعدم والقنية: زيد أعمى العين بصير القلب، فيكون ذلك صحيحاً، فأما لو قيل: زيد أعمى العين بصير العين كان ذلك محالاً. وكذلك في التضاد أن يقال: الفاتر حار عند البارد وبارد عند الحار ولا

---

(١) العدم: يراد بها ما سلب من صفة. والقنية: ما اكتسب من صفة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون حاراً بارداً عند أحدهما. زيد كريم بالطعام بخيل بالثياب ولا يصح أن يقال: كريم بالثياب بخيل بها.

وإذا كان هذا مفهوماً، فالذي يقع في النظم والنثر من هذا التناقض على هذا النحو عيب في المعاني بغير شك... ولم يختلفوا في أن البيت إذا ولي البيت وكان معنى كل واحد منهما متعلقاً بالآخر فلن يجوز أن يكون في أحدهما ما يناقض الآخر، وإنما أجازوا ذلك مع عدم الاتصال والتعلّق، على أنّ تجنب هذا في القصيدة -وإن كانوا قد أجازوه- أحسنُ وأولى، وقد قال أبو عثمان الجاحظ: إن العرب تمدح الشيء وتذمه، لكنهم لا يمدحون الشيء من الوجه الذي يذمونه به. وما أحسن ما قال أبو عثمان، لعمري إنهم على ذلك يتصرف قولهم..."(١). ويتابع ابن سنان إيراد الأمثلة، ويردّ على قدامة بن جعفر فيما عدّه متناقضاً فيغلّطه، ويغلّط معه أبو القاسم الآمدي، ويورد أحد أبيات أستاذه المعري مدافعاً عما يمكن تأويله بالمتناقض، حتى يقول: "وقد فُرّق بين المستحيل والممتنع بأن المستحيل هو الذي لا يمكن وجوده ولا تصوره في الوهم، مثل كون الشيء أسود أبيض وطالعاً نازلاً، فإنّ هذا لا يمكن وجوده ولا تصوره في الوهم. والممتنع: هو الذي يمكن تصوره في الوهم وإن كان لا يمكن وجوده مثل أن يتصور تركيب بعض أعضاء الحيوان من نوع في نوع آخر منه، كما يتصور يد أسد في جسم إنسان، فإن هذا وإن كان لا يمكن وجوده فإن تصوره في الوهم ممكن. وقد يصح أن يقع الممتنع في النظم والنثر على وجه المبالغة ولا يجوز أن يقع المستحيل البتة.... (٢).

الاستدلال بالتعليل:

وهو ما يسمّى حسن التعليل، ولم يورد ابن سنان له تعريفاً، ولكنه مثّل له بعد كلامه في الاستدلال بالتمثيل، وسيأتي، وهو ما عرف عند البلاغيين بالمذهب الكلامي.

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٨١-٢٨٢.

(٢) نفسه: ٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستدلال بالتمثيل:

وفيه يقول ابن سنان: "وأما الاستدلال بالتمثيل: فأن يزيد في الكلام معنى" يدل على صحته بذكر مثال له، نحو قول ابي العلاء: [البسيط]

لو اختصرتم من الاحسان زرتكمُ والعذْبُ يُهجَر للافراط في الخَصَرِ(١)

فدلّ على أن الزيادة فيما يُطلب ربّما كانت سبباً للامتناع منه، بتمثيل ذلك بالماء الذي لا يشرب لفرط برده، وإن كان البرد فيه مطلوباً محموداً"(٢). ويورد أمثلة أخرى، إلى أن يقول: "وأما قول أبي عبادة: [الخفيف]

ورجالٍ جاروا خلائقك الغـ ـرَّ وليست يلامق من دروع(٣)

فليس بتمثيل جيد، لأن السّبق في الجري لا يليق تمثيله بتفضيل الدروع على اليلامق، وإنما كان يحسن ذلك لو قال: ورجالٍ جاروك في كونهم عصمة لي أو جُنّة دوني، أو ما جرى هذا المجرى. فيكون تمثيل ذلك بالدروع واليلامق موافقاً، فأما على الوجه الذي ذكره، فإنّ ذلك من رديء الاستدلال بالتمثيل... .

وأمّا الاستدلال بالتعليل فكقول أبي الحسن التهامي: [السريع]

لو لم يكن ريقته خمرةً لما تثنى عِطْفهُ وهو صاحْ(٤)

وقوله: [البسيط]

لو لم يكن أقحواناً ثغرُ مبسمها ما كان يزداد طيباً ساعة السحرِ(٥)

---

(١) الخوئي ، شرح التنوير على سقط الزند: ١/٤٥، ويخاطب في البيت الحبيبة، والخصر: البرودة.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٢٤-٣٢٥.

(٣) البحتري، ديوانه: ٢/١٢٨١، من قصيدة في مدح محمد بن يحيى الواثقي من قادة خرسان، واليلامق: جمع يلمق وهو القباء.

(٤) التهامي، ديوانه: ٢٢، من قصيدة يمدح فيها الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي.

(٥) نفسه: ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

.... وقول الله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ٢٢/ الأنبياء.

جارٍ هذا المجرى، فهذا مبلغ ما نقوله في المعاني مما يستدل به على غيره، لأن حصرها مما لا سبيل إليه على ما بيّناه وقد قدّمنا ذكره"(١).

وهذا الذي أورده ابن سنان هو من المذهب الكلامي عند البلاغيين، أمّا ما تقدم فهو من الاستعارة بالتمثيل.

الاستعارة:

نقل ابن سنان عن أبي طالب العبدي ما أنشده سيبويه: [المتقارب]

وداهيةٍ من دواهي المنون ترهبها الناس لا فا لها(٢)

وعلق عليه بقوله: فجعل للداهية فماً، استعارةً(٣)، وابن سنان فيما نقله عن أبي طالب لم يعارض تسميته: استعارة، فهو يوافقه عليها. وفي موضع آخر يقول ابن سنان: "ومن وضع الألفاظ في موضعها: حسن الاستعارة، وقد حدّها أبو الحسن علي بن عيسى الرمّاني فقال: هي (تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة)(٤) ويعقب ابن سنان على حد الرّماني قائلاً: "وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل: (واشتعل الرأس شيباً) مريم/٤ استعارة، لأن الاشتعال للنار ولم يوضع في أصل اللغة للشيب، فلما نقل إليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه، لأن الشيب لمّا كان يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يحيله إلى غير لونه الأول، كان بمنزلة النار التي تشتعل في الخشب وتسري حتى تحيله إلى حاله المتقدمة. فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان. ولا بد من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها، لأن الحقيقة لو قامت مقامها

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٢٦-٣٢٧.

(٢) الأعلم الشنتمري، تحصيل عين الذهب: ٢٠٤. وفيه ينسب هذا البيت للخنساء، وينسب كذلك لعامر بن جوين الطائي، ومعنى لا فا لها: لا مدخل إلى معاناتها والتداوي منها.

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣١.

(٤) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل: ٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت أولى، لأنها الأصل والاستعارة الفرع. وليس يخفى على المتأمل أن قوله عزّ اسمه (واشتعل الرأس شيباً) مريم/٤ أبلغ من: كثر شيب الرأس، وهو حقيقة هذا المعنى"(١).

ويأتي ابن سنان على ذكر الفرق بين التشبيه والاستعارة، ثم يستأنف القول في الاستعارة فيقول: "ولا بّد للاستعارة من حقيقة هي أصلها، وهي: مستعار، ومستعار منه، ومستعار له. فالمستعار: لفظ الاشتعال فيما مثّلنا به، والنار مستعار منه، والشيب مستعار له. ولها تأثير في الفصاحة ظاهر، وعلقة وكيدة. والبعيد منها يقضي باطّراح الكلام، ويُذهب طلاوته ورونقه، ولأجل هذا أحتاج إلى إيضاحها ووصف ما يحسن منها ويقبح، والاكثار من الأمثلة التي تدل على ما أريده.

وهي على ضربين: قريب مختار، وبعيد مطّرح. فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قويّ وشبه واضح. والبعيد المطّرح إمّا أن يكون: لبعده مما استعير له في الأصل، أو لأجل أنه استعارة مبنية على استعارة فتضعف لذلك. والقسمان معاً يشملهما وصفي بالبعد، لكن هذا التفصيل يوضح. وإذا ذُكرت الأمثلة بان القريب في الاستعارة من البعيد، وعرف المُرضيّ منها والمكروه، وتنزلت الوسائط بينهما بحسب النسبة إلى الطرفين"(٢).

ولم يكن ابن سنان مجرد ناقل عن الرماني كلامه في الاستعارة، بل إنه الى جانب عرضه لآراء الرماني راجعه وناقشه فيما ذهب إليه، ومن ذلك رأي الرماني في أن التشبيه في الكلام تصحبه دائماً أداة التشبيه، وهو يعني: كأن والكاف وما جرى مجراهما، فقد ردّ ابن سنان عليه بقوله: "وليس يقع الفرق عندي بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط، لأن التشبيه قد يرد بغير الالفاظ الموضوعة له، ويكون حسناً مختاراً، ولا يعدّه أحد في جملة الاستعارة لخلوّه من آلة التشبيه"(٣). وكذلك قال

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٣٤.

(٢) نفسه: ١٣٥-١٣٦.

(٣) نفسه: ١٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن سنان بعد أن أورد رأياً للصولي: "هذا جملة ما قاله أبو بكر، وهي غير لائقة بمثله من أهل العلم بالشعر"(١). أمّا الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، فعقّب ابن سنان على رأي له في أقرب الاستعارات من الحقيقة بقوله: "وهذا الذي قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى"(٢). واعتبر ابن سنان ما عدّه الآمدي من جيد الاستعارة: من الوسط بين جيدها ورديئها. وكذلك عرض ابن سنان لرأي الآمدي في بيت أبي تمام: (لا تسقني ماء الملام) ولم يرض به(٣). ومن الذين عرض ابن سنان لأقوالهم في الاستعارة القاضي أبو الحسن الجرجاني صاحب "الوساطة" فقال ابن سنان: "وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصمه: أن بعض أصحابه جاراه أبياتاً أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة وخرج عن حد الاستعمال والعادة..."(٤) وبعد أن نقل ابن سنان حكاية كلام القاضي أبي الحسن، وافقه قائلاً: "وأمّا قول القاضي... فلعمري أن الأمر على ما ذكره"(٥)، ولم يلبث أن صرح بأنه لا يوافق الجرجاني في مسائل أخرى عرض لها. وكان ابن سنان في محاورته لعلماء البلاغة قبله وهم: أبو بكر الصولي (٣٣٥هـ) وأبو القاسم الآمدي (٣٧٠هـ) والرمّاني (٣٨٤هـ) والقاضي الجرجاني (٣٩٣هـ) ينقل كلامهم في الاستعارة ويعقّب على رأي كلّ منهم مناقشاً محلّلاً منتصراً لما يراه صواباً في القول. وقد شغلت الاستعارة عند ابن سنان حيّزاً واسعاً من كتابة "سر الفصاحة"، ومن جملة ما عرض له فيها تقسيمها إلى حسنة وقبيحة، إذ مرّ بنا قوله إنها على ضربين: قريب مختار وبعيد مطّرح. وهو يذكر نوعاً من الاستعارات يعده وسطاً بين المحمودة والمذمومة، فيقول: "وأمّا قول أبي ذؤيب الهذلي: [الكامل]

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٦٣.

(٢) نفسه: ١٣٩.

(٣) نفسه: ١٦٥.

(٤) نفسه: ١٤٤.

(٥) نفسه: ١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيْت كلّ تميمة لا تنفعُ(١)

فليس من أحسن الاستعارات ولا أقبحها، ولا أراه نظير ما اخترته،.... ولا الأمثلة البعيدة التي ذكرتها، بل هو وسط، وإن كانَ إلى الاختيار أقرب، لما جرت به العادة من قولهم: علقت به المنية ونشبت وما أشبه ذلك، ولأجل كثرة هذا حُسن، ولأنه مبنيٌّ على غيره لم أجعله من أبلغ الاستعارات، على ما قدمت ذكره"(٢).

أمّا نوعاً الاستعارة فقال فيهما: "وقد كنت مثّلت في بعض المواضع الاستعارة المحمودة والمذمومة ببيتين، أحدهما: قول أبي نصر بن نباتة: [الكامل]

حتى إذا بهر الأباطح والرُّبا نظرت إليك بأعين النوّارِ(٣)

فنظر أعين النّوار من أشبه الاستعارات وأليقها، لأن النوّار يشبه العيون، وإذا كان مقابلاً لمن يجتاز فيه ويمر به كان كأنه ناظر إليه، وهذه الاستعارة الصحيحة الواضحة التشبيه.

والبيت الثاني قول أبي تمّام: [البسيط]

قرّت بقرّان عين الدين وانشترت بالاشترين عيون الشرك فاصطلما(٤)

وقرّة عين الدين وانتشار عيون الشرك من أقبح الاستعارات، لعدم الوجه الذي لأجله جعل للدين والشّرك عيوناً، ومع تأمل هذين البيتين يفهم معنى الاستعارة،

---

(١) السكري، شرح أشعار الهذليين: ٨/١، والمنية: الموت، أنشبت أظفارها: لم تفارق كالسبع إذا أخذ لا يفارق حتى يعض.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٤٢-١٤٣.

(٣) ابن نباتة السعدي، ديوانه: ٤٨٣/٢، الضمير في بهر يعود إلى الربيع، في البيت الذي قبله: (فحذار إن صدق الربيع حذار).

(٤) أبو تمام، ديوانه: ١٦٩/٣. قرّان: إسم مكان في بلاد الخرّمية، والاتشتار: من أمراض العين، يرتفع جفنها الأعلى حتى لا يغطي بياضها، الأشتر: موضع بين نهاوند وهمذان، والاصطلام: الاستئصال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن النوار والشرك لا عيون لهما على الحقيقة، وقد قبحت استعارة العيون لأحدهما وحسنت للآخر. وبيان العلة فيه أن النوار يشبه العيون، والدين والشرك ليس فيهما ما يشبهها ولا يقاربها، وهذه طريقة متى سلكت ظهر المحمود في هذا الباب من المذموم"(١).

ويبدو أن ابن سنان كان في جدل علمي قاده إلى أن يقول في استعارة وردت في أحد أبيات أبي الطيب وهو: [البسيط]

مسرّةٌ في قلوب الطيب مفرقها وحسرة في قلوب البيض واليلب(٢)

"فمن أبعد ما يكون في هذا الباب، ولا عذر يتوجه له في الاستعارة للطيب والبيض واليلب قلوباً تسر وتتحسر... أمّا الذي أنكر على أبي الطيب استعارته (هذه) فلم يضع يده إلا على ما تشهد الأفهام له وتقطع العقول على صحته، وأمّا اعتذار القاضي له بالأبيات التي ذكرها، فإن كان قصد بذلك التنبيه على أن أبا الطيب غير مبتدع لهذا الزلل ولا مخترع، بل هو مشارك فيه مماثل به، وقد تقدمه من سلك هذا الطريق ونحا هذا النحو، فإن وجب اطّراح شعر أبي الطيب لهذا السبب، وجب اطّراح الأشعار كلها، لأن العلة واحدة، فعلى هذا الوجه الكلام في موضعه، وإن كان القصد بذلك إقامة العذر للمتنبي وترك الإنكار عليه، إذْ كان النهج الذي سلك فيه مطروقاً، فليس هذا الرأي من معتقده بصواب، لأن القول في استعارة أبي الطيب إذا كانت بعيدة غير مرضية كالقول في كل استعارة كذلك، سواء كانت لمتقدم أو لمتأخر، وليس يتميز قبحها بإضافتها إلى رجلٍ من الرجال، ولا زمان من الأزمنة، وإنما هذا شيء يقع للعامة وأشباههم من أغمار الأدباء، فيتخيلون أن للحسن والقبح حكماً يرجع إلى التاريخ، ويتعلق بالإضافة.... ومن لم يعلم الصواب فيه

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٤٠-١٤١.

(٢) المتنبي، ديوانه (شرح العكبري): ١/٩٠، والبيت في رثاء أخت سيف الدولة، يريد أن البيض والدروع يتحسران عليها لأنهما للرجال، بينما الطيب يسر باستعمالها له، واليلب: الدروع اليمانية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابتداء من نفسه، فأجدر به ألا يعرف مواقع الأدلة عليه والحجج فيه، لكنا نذكره على كل حال مستوفى مستقصى"(١).

الاسهاب:

عرض له ابن سنان في كلامه على البليغ قائلاً: "وليس كل فصيح بليغاً كالذي يقع فيه الاسهاب في غير موضعه(٢)" فهو يراه مذموماً أحياناً وليس دائماً. وهو ما أشار إليه في الايجاز والاختصار، فمن الكلام ما يحسن فيه الاسهاب والإطالة(٣).

وإن كان في فاتحة كتابه احترس بقوله: "ولم أمل بالاختصار إلى الإخلال، ولا مع الاسهاب إلى الإملال"(٤).

الاشارة:

وفيها يقول ابن سنان: "وقد قسموا دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام، أحدها: المساواة، وهو أن يكون المعنى مساوياً للفظ. والثاني: التذييل، وهو أن يكون اللفظ زائداً على المعنى وفاضلاً عنه، والثالث: الاشارة، وهو(٥) أن يكون المعنى زائداً على اللفظ، أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الاشارة واللمحة. وقالوا: إن التذييل يصلح للمواقف الجامعة... والاشارة تصلح لمخاطبة الخلفاء والملوك ومن يقتضي حُسن الأدب عنده التخفيف في خطابه وتجنب الاطالة فيما يتكلف سماعه... والذي عندي في هذا ما ذكرته وهو أن المختار في الفصاحة والدالّ على البلاغة هو أن يكون المعنى مساوياً للفظ أو زائداً عليه. وأعني بقولي:

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٤٤-١٤٨.

(٢) نفسه: ٦٠.

(٣) نفسه: ٢٤١-٢٤٢.

(٤) نفسه: ٣.

(٥) في طبعة عبدالمتعال الصعيدي: هو، والتصويب من طبعة فودة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زائداً عليه، أن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة، لا أن تكون الألفاظ لفرط ايجازها قد ألبست المعنى وأغمضته، حتى يحتاج في استنباطه إلى طرف من التأمّل ودقيق الفكر، فإن هذا عندي عيب في الكلام ونقص، على ما أبينه فيما بعد"(١).

ثم لم يلبث ابن سنان أن قال: "ويجب أن نحدّ(٢) الايجاز المحمود بأن نقول: هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ، وهذا الحدّ أصح من حد أبي الحسن الرمّاني(٣) بأنه العبارة عن المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ، وإنما كان حدّنا أولى لأنّا قد احترزنا بقولنا: إيضاح، من أن تكون العبارة عن المعنى وإن كان موجزة غير موضّحة له، حتى يختلف الناس في فهمه، فيسبق إلى قوم دون قوم بحسب أقساطهم من الذهن وصحة التصوّر، فإن ذلك وإن كان يستحق لفظ الايجاز والاختصار، فليس بمحمود حتى يكون دلالة ذلك اللفظ على المعنى دلالة واضحة، وقد قدّمنا ما ورد في القرآن من أمثلة ذلك، وإن كانت كثيرة يطول استقصاؤها. ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام(٤): قيمة كل امرئ ما يحسن، فإن هذه الألفاظ على غاية الايجاز وإيضاح المعنى وظهور حسنها يغني عن وصفه..."(٥).

الإطناب:

سماه ابن سنان: التذييل، فينظر حيث يرد.

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) في طبعة فودة: يحد.

(٣) في طبعة فودة: الروماني، وورد عند حلمي خليل في كتابه العربية والغموض: ١٥١ الروماني خطأ.

(٤) يريد عليّ بن أبي طالب، وبهذه العبارة يذكره من يرى رأي الشيعة كابن سنان. وكذلك حين ذكر الحسن والحسين قرنهما بدعاء عليهما السلام، سر الفصاحة: ٢٠٨. وكذلك علي بن الحسن عليه السلام: ٢٠٨.

(٥) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإعجاز:

تقترن لفظة الإعجاز بكتاب العربية الأكبر، فما أن يلفظ أحدنا كلمة إعجاز حتى يستكمل ذهن السامع الصورة بإضافة الكلمة إلى القرآن الكريم. ولعل هذا راجع إلى تلك الدراسات الهائلة التي شغلت حيزاً واسعاً من تراث الفكر العربي الاسلامي. وكأني بدارسي الاعجاز قد اقتفوا أثر المفسرين في الاقبال على الكتابة في الاعجاز طمعاً في مثوبة الله تعالى، وكان العالم المسلم لا يُقنع بما دوّنه من العلوم إلا بعد أن يخدم كتاب العربية الأكبر تفسيراً وبيان إعجاز.

وابن سنان الخفاجي وضع "سر الفصاحة" لبيان الوجه البلاغي للقرآن الكريم، وكان الاعجاز أول هاجس يخطر بباله، فهو في بدء كتابه ينصّ على "أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة (وقد رأى الناس مختلفين في ماهيتها وحقيقتها) والعلم بسرّها،... أمّا العلوم الأدبية فالأمر في تاثير هذا العلم فيها واضح... وأمّا العلوم الشرعية، فالمعجز الدال على نبوة محمد نبينا صلى الله عليه آله وسلم هو القرآن. والخلاف الظاهر فيما به كان معجزاً على قولين، أحدهما: أنه خرق العادة بفصاحته، وجرى ذلك مجرى قلب العصاحيّة، وليس للذاهب إلى هذا المذهب مندوحة عن بيان ما الفصاحة التي وقع التزايد فيها موقعاً خرج عن مقدور البشر. والقول الثاني: أن وجه الاعجاز في القرآن صرف العرب عن المعارضة، مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف. وأمر القائل بهذا يجري مجرى الأول في الحاجة إلى تحقق الفصاحة ما هي؟ ليقطع على أنها كانت في مقدورهم ومن جنس فصاحتهم..."(١).

إن رأي ابن سنان في الاعجاز، يفسّر لنا خمول انتشار صيت كتابه لما أودعه من قول في فصاحة القرآن، بأن فيه ما بعضه أفصح من بعض، فهو يقول: "فإن قيل: كلامكم الماضي يدل على أن في القرآن ما بعضه أفصح من بعض، وفي الناس من يخالفكم ويأبى ذلك، فما عندكم فيه؟ قلنا: أمّا زيادة بعض القرآن على

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٤ وكررها ص ٢٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض في الفصاحة، فالأمر فيه ظاهر لا يخفي على من علق بطرف من هذه الصناعة... وإنما تدخل الشبهة في هذا ومثله على الأعاجم من الفقهاء والمتكلمين لجهلهم بهذه الصناعة وعدم فهمهم لقوانينها"(١).

وينتصر لرأيه هذا، ويستأنف الحوار فيقول: "ثم ليس أحد ممّن ينكر أن يكون بعض القرآن أفصح من بعض يتمنع من القطع على أن القرآن في لغته أفصح من التوراة في لغتها والانجيل في لغته والزبور في لغته، لأن تلك الكتب عنده لم تكن معجزة لخرقها العادة بالفصاحة، وإن كان الجميع كلام الله تعالى، فما المانع من أن يكون بعض كلامه الذي هو القرآن أفصح من بعض؟ حتى تكون آية منه أفصح من آية، والجميع كلام الله، كما جاز عنده أن يكون القرآن أفصح من الانجيل، وإن كان الجميع كلام الله، وهذا لا يخفى على محصّل. فإن قيل: الذي يمنع أن يكون بعض القرآن افصح من بعض القول بأن قدر كل سورة من قصار سور المفصل منه قد خرق العادة في الفصاحة بفصاحته وكان معجزاً لعلوّه في الفصاحة، وما كان خارقاً للعادة في الفصاحة لا يكون غيره أفصح منه. قيل: الجواب عن هذا أوّلاً أن الصحيح أن وجه الاعجاز في القرآن هو صرف العرب عن معارضته، وأن فصاحته قد كانت في مقدورهم لولا الصرف، وهذا هو المذهب الذي يعوّل عليه أهل هذه الصناعة وأرباب هذا العلم، وقد سطّر عليه من الأدلة ما ليس هذا موضع ذكره، فالسؤال على هذا المذهب ساقط. ثم لو سُلِّم أن وجه الاعجاز هو الفصاحة، لم يمنع أن يكون كلام معجز يخرق العادة بفصاحة أفصح من كلام معجز يخرق العادة بفصاحته..."(٢).

وهكذا يمضي ابن سنان، وقد انحدر في كلامه إلى درجة لا يطيقها المرء المسلم، فهو يقول: "ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية، ومتى رجع الانسان إلى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة : ٢٦٣.

(٢) نفسه: ٢٦٤-٢٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه"(١). وهذا قول من ابن سنان أودى بمكانة كتابة سر الفصاحة، على ما فيه من أسلوب واضح وقضايا بلاغية ونقدية عرضها بوضوح ومثّل عليها بنصوص شعرية ونثرية جميلة، فكان كتابه "بحق" صالحاً لتنشئة جيل يخطو نحو الريادة في علوم العربية، ولولا ما أودعه صاحبه من كلام في مضاهاة بعض كلام العرب لتأليف كتاب العربية الأكبر. وقد أصابت نسخاً مخطوطة من كتاب "سر الفصاحة" سورة الغضب عند بعضهم فأعمل فيها خرقاً او طمساً أو تمزيقاً، تبين لي أثناء تحقيقه على خمس نسخ خطية، لم تسلم واحدة منها من الحذف المتعمّد لما كان يراه.

أخذ ابن سنان برأي النظّام في الاعجاز، وأقر بأن وجه الاعجاز هو ما يعرف بالصّراحة، فهو يقول: "وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك... ثم لو ذهبنا إلى ان وجه إعجاز القرآن الفصاحة، وادعينا انه أفصح من جميع كلام العرب بدرجة ما بين المعجز والممكن، لم يفتقر في ذلك إلى ادعاء ما قاله (يريد الرماني) من مخالفة تأليف حروفه لتأليف الحروف الواقعة في الفصيح من كلام العرب، وذلك أنه لم يكن بنفس هذا التأليف فقط فصيحاً، وإنما الفصاحة لأمور عدة تقع في الكلام، من جملتها التلاؤم في الحروف وغيره، وقد بيّنا بعضها، وسنذكر الباقي..."(٢). وينتهي في معارضة أبي الحسن عليّ بن عيسى الرمّاني إلى القول: "وليس ينازعنا في كلمة من كلم القرآن إذا أوضحنا له تأليفها ويقول: ليس هذا في الطبقة العليا إلا وتقول مثله في تأليف الألفاظ بعضها مع بعض، لأن الدليل على الموضعين واحد، فقد بان أن الذي يجب اعتمادة أن التأليف على ضربين: متلائم ومتنافر، وتأليف القرآن وفصيح كلام العرب من المتلائم، ولا يقدح هذا في وجه من وجوه إعجاز القرآن، والحمد لله"(٣).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة : ١١٠.

(٢) نفسه: ١١٠.

(٣) نفسه: ١١١-١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا هو رأي ابن سنان، مرّة يرى أن القرآن معجز لأنه خرق العادة بفصاحته التي وقع التزايد فيها موقعاً خرج عن مقدور البشر، ولكنه جعل فصاحة القرآن على طبقات متفاوتة. ومرة أخرى يقول بالصّرفة. "والذي عليه القاضي الباقلاني أن نظم القرآن وتأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها، وأن كل كلمة موصوفة بالذروة العليا، وإن كان بعض الناس أحسن إحساساً من بعض، وهذا كما أن بعضهم يفطن للوزن بخلاف بعض، وذكر الإمام السيوطي أن العلماء اختلفوا في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو أشد تناسباً ولا اعتدالاً في إفادة ذلك المعنى منه.."(١).

الاعنات:

ينظر: لزوم ما لا يلزم/ اللزوميات.

الإغرام:

ينظر: المجاز

الإقواء:

وفيه يقول ابن سنان: "ومن تناسب القوافي تجنب الاقواء فيها، وهو اختلاف إعرابها، فيكون بعضها مثلاً مرفوعاً وبعضها مجروراً، وهذا يوجد في أشعار العرب، وقد روي أن النابغة كان يقوي حتى دخل المدينة وسمع أهلها يغنّون بقوله في قصيدته التي أولها: [الكامل]

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزوّد

---

(١) عبدالعزيز عبدالمعطي عرفة، قضية الاعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية: ٤٨٥-٤٨٦. وقد عرض آراء مختلف العلماء، فأغنى ما أورده عن التكرار هنا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبّرنا الغراب الأسود(١)

ففطن للاقواء، فتركه"(٢).

هذا ما أورده ابن سنان وهو يتكلم في القوافي التي تجري مجرى السجع، وأن المختار منها ما كان متمكّناً يدل الكلام عليه. وسمي إقواء لأنه نقص من عروضه قوة(٣). وهو يدعى أيضاً الإكفاء، ومن البلاغيين من يخلط بينهما(٤).

الإلغاز:

أو الغموض في المعنى وإخفاؤه، وعنه يقول عبد القاهر: "إن الموضوع على وجه الالغاز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفاءه، وجعل ذلك فنّاً من الفنون التي يستخرج بها أفهام الناس وتمتحن أذهانهم، فلّما كان وضعه على خلاف وضع الكلام في الأصل، وكان القول فيه مخالفاً لقولنا في فصيح الكلام، حتى صار يحسن فيه ما كان ظاهرة يدل على التناقض، أو ما جرى مجرى ذلك، كما قال بعضهم في الشمع: [المنسرح]

تحيا إذا ما رؤوسها قطعت وهنّ في الليل أنجم زهرُ(٥)

وقد كان شيخنا أبوالعلاء يستحسن هذا الفن ويستعمله في شعره كثيراً، ومنه قوله: [الطويل]

وجُبْتُ سرابيّاً كأن إكامه جوار ولكن ما لهن نهود

---

(١) النابغة الذبياني، ديوانه: ٢٨. يريد: أرائح أنت أو مغتد من آل مية، عجلان: من العجلة.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢١٧-٢١٨.

(٣) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم: ١/٢١٥.

(٤) محمد علي الشوابكة وأنور أبو سويلم: معجم مصطلحات العروض والقافية: ٢٩ وما بعدها.

(٥) لم أقف على نسبته ولا مظان روايته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمجّس حرباء الهجير وحوله رواهب خيط والنهار يهود(١)

فألغز بقوله: جوار، عن الجواري من الناس، وهو يريد كأنهن يجرين في السراب، وبقوله: نهود عن نهود الجواري وهو يريد بنهود: نهوض أي كأنهن يجرين في السراب وما لهن على الحقيقة نهوض وأراد بقوله: تمجس حرباء: أي صار لاستقباله الشمس كالمجوس التي تعبدها وتسجد لها، وجعل الرواهب النّعام لسوادها، ويهود: يرجع، وهو يلغز بذلك عن اليهود لمّا ذكر المجوس والرواهب.. "فهذا وأمثاله ليس من الفصاحة بشيء، وإنما هو مذهب مفرد وطريقة أخرى"(٢).

وبعد أن يورد الحكاية التي تحكى عن محاورة أبي تمام حين قيل له: لم تقول يا أبا تمام من الشعر ما يفهم فأجاب: وأنت... لم لا تفهم من الشّعر ما يقال يعاود الكلام في غموض المعنى قائلاً: "وإذا كان هذا مفهوماً فأمثلة الكلام الذي يظهر معناه ولا يحتاج إلى الفكر في استخراجه كثيرة، وعامّة شعر أبي عبادة البحتري عليه. فأمّا الذي يسأل عن معناه ويفكّر في فهمه فكالأبيات التي من شعر أبي الطيب المتنبي، وقد نعاها عليه الصاحب أبو القاسم بن عباد رحمه الله، وكان يسميها رقى العقارب، والناس إلى اليوم مختلفون في معاني بعضها، وكلّ يذهب إلى فن، ويسبق خاطرة إلى غرض... وقد قال بشر بن المعتمر في وصيته: إيّاك والتوعر في الكلام، فإنه يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويمنعك من مراميك..."(٣).

ويقول ابن سنان: "وجرى بين أصحابنا في بعض الأيام ذكر شيخنا أبي العلاء بن سليمان، فوصفه واصف من الجماعة بالفصاحة، واستدل على ذلك بأن

---

(١) المعري، اللزوميات: ٣١٤/١. جبت: قطعت، سرابياً: نسبة إلى السراب، وأراد قفراً يلمع فيه السراب. جوارم: من جرى أي مشى، وحرباء الهجير: دويبة تقابل الشمس برأسها كأنها تحاربها، وتكون معها كيف دارت، وتتلون ألواناً بحرّ الشمس، فجعل السراب مستقبلاً للشمس، ملازماً لها كأنه يعبدها.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٦٥-٢٦٦.

(٣) نفسه: ٢٦٧-٢٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء، فعجبنا من دليله، وإن كنا لم نخالفه في المذهب. وقلت له: إن كانت الفصاحة عندك بالألفاظ التي يتعذّر فهمها فقد عدلت عن الأصل أولاً المقصود بالفصاحة التي هي البيان والظهور، ووجب عندك أن يكون الأخرس أفصح من المتكلم، لأن الفهم من إشاراته بعيد عسير، وأنت تقول: كلّما كان أغمض وأخفى كان أبلغ وأفصح..."(١).

ومما أورده ابن سنان عن إيضاح المعنى قوله: "ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمّل لفهمه، وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوماً أو منثوراً"(٢). ويعارض رأي أبي اسحق ابراهيم بن هلال الصابي فيما زعمه أن من الشعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة ومماطلة، والحسن من النثر ما سبق معناه لفظه، ففرق بين النظم والنثر في الحكم، وابن سنان لا يرى فرقاً بينهما، "فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني ولا موضحة لها فقد رفض الغرض في أصل الكلام"(٣).

الإنشاد:

كان ابن سنان الخفاجي أحد تلاميذ أبي العلاء المعري، وفي سر الفصاحة نصوص على إنشاد الشعر في حضرة الأستاذ، كقوله: "وكنت حاضراً عند شيخنا أبي العلاء وقد قرئت عليه قصيدة لأبي الطيب، فلما وصل القارئ إلى البيت..."(٤). وقوله: "وأجاز لنا في بعض الأيام شيخنا ابو العلاء بن سليمان قول الشاعر...، وقال: من حبّه لهذه المرأة لم ير تكرير اسمها عيباً..."(٥).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة : ٧٥.

(٢) نفسه: ٢٥٩.

(٣) نفسه: ٢٥٩.

(٤) نفسه: ١٠٨.

(٥) نفسه: ١١٤-١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول ابن سنان: "وما زلت أسمع ابا العلاء يقول: إن من الشعر ما يصل إلى غاية لا يمكن تجاوزها، وهذا البيت عندي من ذلك القبيل حسناً وصحة نسج وعذوبة لفظ.... (١). وكذلك يقول ابن سنان: "وقال أبو العلاء أحمد بن سليمان فيما قرأته عليه... وقال أيضاً...(٢). وكذلك وردت العبارة ذاتها في مواضع عن أخرى(٣) من سر الفصاحة، ولا ريب أن إنشاد الشعر في حلقة أبي العلاء التدريسيّة يستلزم إجادة الترنم ومدّ الصوت لإظهار عيوب القافية التي تحدث عنها ابن سنان في كتابة بإسهاب، وإنشاد الشعر فنّ.

الإيجاب والسلب:

هكذا سمّاه ابن سنان، وأورده في حديثه على المخالف في الكلام الذي يقرب من التضاد فقال: "وأمّا الايجاب والسلب فكقول أبي عبادة: [الطويل]

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى ويسري إليّ الشوق من حيث أعلم(٤)

وكقول السموأل: [الطويل]

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول(٥)

فقول لا أعلم وأعلم، وننكر ولا ينكرون... من السلب والايجاب"(٦).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٥٥-١٥٦.

(٢) نفسه: ١٥٩.

(٣) نفسه: ١٩٦، ٢١٣، ٢٣٨.

(٤) البحتري، ديوانه: ١٩٢٨/٣. يقيض: يهيأ، أراد أن فراقها له من غير سبب يعلمه، وأنه يعلم سبب شوقه إليها وهو حبه لها.

(٥) السموأل، ديوانه: ٩١.

(٦) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإيجاز:

ينظر: الإشارة، الإيماء.

الإيطاء:

هو من عيوب القافية، وعنه يقول ابن سنان: "والإيطاء في القوافي عيب، وهو أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة، وأمثال ذلك كثيرة، فأمّا أن يكون معنى القافيتين مختلفاً ولفظها واحداً فذلك ليس بعيب، مثل أن تأتي العين ويراد بها الجارحة، والعين ويراد بها الذهب.

وإذا بعدما بين القافيتين المتكررتين في القصيدة كان أصلح، وإن كان الايطاء عيباً على كل حال"(١).

الإيماء:

ينظر: الاشارة.

البلاغة:

فرّق ابن سنان بينها وبين الفصاحة قائلاً: "والفرق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً"(٢). ولا يأخذ ابن سنان بما عرّف سابقوه به البلاغة فهو يقول: "وقد حدّ الناس البلاغة بحدود إذا حُقّقت كانت كالرسوم والعلائم، وليست بالحدود الصحيحة، فمن ذلك قول بعضهم: لمحة دالّة، وهذا وصف من صفاتها، فأمّا أن يكون حاصراً لها وحدّاً يحيط بها فليس ذلك

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢١٨.

(٢) نفسه: ٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بممكن لدخول الاشارة من غير كلام يتلفظ به تحت هذا الحد(١). وكذا قال آخر: البلاغة(٢): معرفة الفصل من الوصل، لأن الإنسان قد يكون عارفاً بالفصل والوصل عالماً تمييز مختار الكلام من مطّرحه، وليس بينه وبين البلاغة سبب ولا نسب، ولا يمكنه أن يؤلف ما يختاره من تأليف غيره. والحدود لا يحسن فيها التأوّل، وإقامة المعاذير، وغرابة ألفاظ لا تدل(٣) على المقصود، لأنها مبنية على الكشف الواضح، موضوعة للبيان الظاهر، والغرض بها السلامة من الغامض، فكيف يوقع في غامض بمثله؟. وكذلك قول الآخر: البلاغة أن تصيب فلا تخطىء، وتسرع فلا تبطىء. لأن هذا يصلح لكل الصنائع، وليس بمقصور على صناعة البلاغة وحدها.... وبهذا أيضاً يفسر قول من أدّعى أن حدّها الايجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل. وقول من قال: البلاغة اختيار الكلام وتصحيح الأقسام. لأن هذين إنما سُئلا عن حد يبين الكلام المرفوض من المختار، والخطأ من الصواب، ويوضح كيف يكون الايجاز مختاراً، ومتى يقع الاطناب مرضياً محموداً، فأحالا على ما السؤال فيه باقٍ، وعدم العلم معه موجود حاصل. وفي البلاغة أقوال كثيرة غير خارجة عن هذا النحو..."(٤). ويقول: "وما أحسن ما قال إبراهيم بن محمد المعروف بالامام: يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع، وهذا كلام مختار في تفضيل البلاغة"(٥).

وأورد ابن سنان ما رواه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب عن أحمد بن يوسف أنه قال: "دخلت يوماً على المأمون وفي يده كتاب وهو يعاود قراءته تارة بعد أخرى، ويصعّد ويصوّب فيه طرفه. قال: فلما مرّت على ذلك مدة من زمانه التفت إليّ فقال: يا أحمد، أراك مفكّراً فيما تراه مني! قلت: نعم، وقى الله أمير المؤمنين

---

(١) في طبعة فودة: الحق، وهو تصحيف.

(٢) في طبعة فودة ص٥٦، والبلاغة.

(٣) في طبعة فودة ص٥٦ تدل.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٦١-٦٢.

(٥) نفسه: ٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكاره، وأعاذه من المخاوف. قال: فإنه لا مكروه في الكتاب، ولكني قرأت فيه كلاماً وجدته نظير ما سمعت الرشيد يقوله في البلاغة، فإني سمعته يقول: البلاغة التباعد عن الإطالة، والتقرب من معنى البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى، وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر علىالمبالغة في هذا المعنى حتى قرأت هذا الكتاب. ورمى به إليّ، وقال: هذا كتاب عمرو بن مسعدة إلينا...

فلما قرأته قال لي: ان استحساني اياه بعثني على أن أمرت للجند قبله بعطاياهم لسبعة أشهر، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحق من حل محله في صناعة"(١).

البيان:

قرن ابن سنان البيان بالفصاحة والبلاغة فقال: "إن الناس قد أكثروا من الدلالة على شرف الفصاحة وعظم قدر البيان والبلاغة، ونبهوا بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة. وقد قال عز اسمه: (الرحمن. علم القرآن خلق الانسان. علمه البيان). ولم يكن تعالى يذكر البيان هاهنا إلا وهو من عظيم النعم على عبيده، وجميع البلاء عندهم. لا جرم وقد قرن ذلك بذكر خلقهم.... ولا خلاف في أن الصمت أفضل من مطّرح الكلام ومنبوذه، وأوفق للسامع من كلف ذلك، فقد صار مع التخريج الفصل المميز، والفضل اللائح إنما هو للإفصاح، والبيان، والبلاغة، وحسن النطق، دون ما يسمّى كلاماً فقط..."(٢).

وليس -فيما رأيته- صواباً ما أشار إليه أحد الدارسين وهو أن ابن سنان "ترد كلمة البيان عنده ويراد منها الكشف والظهور والوضوح، ثم نراه بعد ذلك يعرّف الفصاحة بأنها عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار وهذا التعريف

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) نفسه: ٦٣-٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينطبق على البلاغة ايضاً كما ينطبق على البيان"(١). فابن سنان "لم يحدد البيان"(٢). وإن كرر القول: "الفصاحة هي الظهور والبيان"(٣).

التبديل:

عدّه ابن سنان من الطباق بقوله: "ومما يجري مجرى المطابق أن يقدم في الكلام جزء ألفاظه منظومة نظاماً، ويتلى بآخر يجعل فيه ما كان مقدّماً في الأول مؤخراً في الثاني، وما كان مؤخراً مقدّماً. وقد سمى قدامه بن جعفر الكاتب هذا الفن: التبديل، ومثله بقول بعضهم: اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك. وبقول الحسن البصري: إن من خوّفك حتى تلقى الأ من خير لك ممن أمّنك حتى تلقى الخوف، وقول عمرو بن عبيد في بعض دعائه: اللهم اغنني بالفقر إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك. وقول رجل لآخر وكان يتعهده بالبر: أسأل الذي رحمني بك أن يرحمك بي"(٤).

التجميع:

أشار ابن سنان إليه بقوله: "وقد سمى قدامه بن جعفر ترك المناسبة في مقاطع الفصول: التجميع، ومثل ذلك بقول سعيد بن حميد في أول كتاب له: وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحر وإن كان قديم العبودية ويسترق الشكر وإن كان سالف فضلك لم يبق شيئاً منه. لأن المقطع على-العبودية- منا فر للمقطع على - منه-"(٥). وفي موضع آخر يقول ابن سنان: "ومن عيوب القوافي أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على رويّ ينبيء أن تكون قافية آخر البيت بحسبه، فيأتي بخلافه... وقد سُميّ هذا الفن التجميع، وهو على كل حال من أسهل عيوب

---

(١) عبدالعاطي غريب علي علام، البلاغة العربية...:١٥٣.

(٢) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٤٠٨/١.

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٦٠.

(٤) نفسه: ٢٣٩.

(٥) نفسه: ٢٠٩-٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القوافي، وأقربها إلى الجواز والصحة"(١). فالتجميع يعده ابن سنان في عيوب الألفاظ مرة، وفي عيوب القوافي مرة أخرى. ومنهم من يدخله بباب الازدواج(٢) وهو في القوافي من عيوب التصريع(٣).

تجنيس التركيب:

ينظر: المجانس

تجنيس التصحيف:

ينظر: المجانس

التحرّز:

أو الاحتراز، أو الاحتراس: وفيه يقول ابن سنان: "وأمّا التحرز مما يوجب الطعن: فإن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن، فيأتي بما يتحرز به من ذلك الطعن، كقول طرفة: [الكامل]

فسقى ديارك -غير مفسدها- صوب الربيع وديمة تهمي(٤)

فلو لم يقل -غير مفسدها- لظنّ به أنه يريد توالي المطر عليها، وفي ذلك فساد للديار ومحو لرسومها... فاحترز طرفه من هذا الطعن..."(٥) وقد اورد ابن

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٢٠.

(٢) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/٥٠.

(٣) محمد علي الشوابكة وأنور أبو سويلم، معجم المصطلحات العروض والقافية: ٥٢.

(٤) طرفة بن العبد، ديوانه: ١٤٦. غير مفسدها: أي بالقدر المحتاج إليه، لا زائد عن الحاجة، ولا ناقص عن المطلوب. صوب الربيع: إنصباب المطر. ديمة: مطر دائم في لين. يدعو للممدوح أن تظل دياره خصبة كثيرة الخير والنعم.

(٥) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنان هذا الضرب للدلالة على (كمال المعنى)(١).

التدبيج:

ينظر: الطباق المخالف أو التضادّ.

التذييل:

أو الاطناب بالتذييل، وهو ضدّ الإشارة، أو الايماء. أو ضد الايجاز(٢)، وفيه يدخل الاسهاب والاطالة(٣). يقول ابن سنان: "وقد قسموا دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام، أحدها: المساواة.... والثاني: التذييل، وهو: أن يكون اللفظ زائداً عن المعنى وفاضلاً عنه. والثالث: الاشارة... وقالوا: إن التذييل يصلح للمواقف الجامعة، وبحيث يكون الكلام مخاطباً به عامة الناس، ومن لا يسبق ذهنه إلى تصور المعاني... ومن اختار الاطالة وسمّاها التذييل إنما حجته في ذلك أنه اعتبر الكلام بالاضافة إلى المخاطب به، وليس للمخاطب تأثير في حسن تأليف الكلام وقبحه، ولو جاز أن يعتبر الكلام بالاضافة إلى المخاطب، لجاز أن يعتبر بالاضافة إلى المخاطب به، حتى يكون ذلك مؤثراً في صحته أو فساده وحسنه أو قبحه، وكنا نستحسن كلام العالم العاقل وإن كان رديء التأليف، ونستقبح كلام الجاهل وإن كان في أعلى طبقات الفصاحة..."(٤). وفي موضع آخر يذكر ابن سنان أن أبا الحسن علي بن عيسى الرماني: "يسمي العبارة عن المعنى بالكلام الكثير مع أن القليل يكفي فيه: – التطويل– ويسمي العبارة عن المعنى بالكلام الكثير الذي يستفاد منه إيضاح ذلك المعنى وتفصيله: الاطناب، ويجعل التطويل عيباً وعيّاً، والاطناب حسناً ومحموداً، وهذا المذهب من أبي الحسن موافق لما اخترناه، لأنه يذهب إلى حسن الاطناب الذي

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣١٩.

(٢) نفسه: ٢٥٨.

(٣) نفسه: ٢٥٨.

(٤) نفسه: ٢٤٣-٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو عنده طول الكلام في فائدة وبيان، وإخراج للمعنى في معاريض مختلفة، وتفصيل له ليتحققه السامع ويستقر عنده فهمه، وهذا هو الذي اخترناه وقلنا إنه على التحقيق: ألفاظ كثيرة ومعان كثيرة(١). وكذلك قد وافقناه في استقباح التطويل وحمد الايجاز على ما فسّره من معنييهما عنده"(٢). ويقول: "وفرّقت بين المساواة والتذييل بقولي: لا يزيد عنه لأن التذييل لفظ يزيد على المعنى(٣). ثم ما يلبث أن يقول: "وأمّا التذييل فهو العبارة عن المعنى بألفاظ تزيد عليه. وإنما لم نقل في التذييل -إيضاح المعنى- كما قلنا في حد المساواة والايجاز لما نذهب إليه من حمد الايجاز والمساواة إذا كان المعنى فيهما واضحاً، فاحترزنا بالايضاح من أن ندخل في الحد ما لا نحمده من المساواة والايجاز اللذين يكون المعنى فيهما غامضاً خفياً، فأمّا التذييل فإنّا على ما قدمناه لا نحمده في موضع من المواضع، فلا معنى لاحترازنا بذكر الايضاح في حدّه. فأمّا مثاله فكما وقفت لبعض الكتاب المتأخرين على فصل من كتاب له شفاعة، وهو: (وفلان ابن فلان الرجل المشهور بالفروسية والرّجلة والشجاعة والنجدة، وله السنّ والحكمة والتجارب. والدربة). فهذا كلّه تطويل بإيراد ألفاظ كثيرة تدل على معنى واحد، وكذلك قول الشاعر: [الوافر]

ففاجأها وقد جمعت جموعا ... على أبواب حصن مصلتينا

فقدمت الأديـــم لراهشية ... وألفى قولها كذباً وميـــنا(٤)

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٤٧. وعلق مصحح الكتاب على ذلك قائلاً: لا يخفى أن قوله: ألفاظ كثيرة ومعان كثيرة يدخل فيه المساواة بخلاف الاطناب على تفسير الرماني، وهو الذي اتفقت كلمتهم عليه، وسيأتي ما يفيد أنه يطلق عليه المساواة.

(٢) نفسه: ٢٤٧-٢٤٨.

(٣) نفسه: ٢٥٥.

(٤) عدي بن زيد العبادي، ديوانه: ١٨٢. المصلتون: المجردون سيوفهم. الأديم: الجلد، الراهشين: عرقان في باطن الذراعين. أراد: قدمت الزباء النطع لراهشي جذيمة الملك. والقصيدة يذكر فيها الشاعر قصة جذيمة الأبرش مع الزباء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالكذب والمين واحد والفرق بين التطويل والحشو أن الحشو لفظ يتميز عن الكلام بأنه إذا حذف منه بقي المعنى على حاله، والتطويل هو أن يعبر عن المعاني بألفاظ كثيرة كل واحد منها يقوم مقام الآخر، فاي لفظ شئت من تلك الألفاظ حذفته وكان المعنى على حاله. وليس هو لفظاً متميزاً مخصوصاً كما كان الحشو لفظاً متميزاً مخصوصاً، يبيّن ذلك أن الحشو على ما قدمناه من وصفه نحو قول أبي عدي: [الكامل]

نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سمت في المجد للأقوام كالأذناب(١)

فللأقوام هو الحشو، لأن هذه اللفظة دون ألفاظ البيت هي التي إذا حذفت منه بقي المعنى بحاله، والتطويل مثل ما حكيناه في قوله: الرجل المشهور بالفروسية والرّجلة والشجاعة والنجدة. لأن هذه الألفاظ كلها بمعنى واحد، فأنت إن شئت حذفت الرجلة، وإن شئت حذفت الشجاعة، وإن شئت حذفت النجدة، وإن حذفتهما معاً بقي الكلام بحاله، فهذا هو الفرق بين الحشو والتطويل، وعلى أن الحشو في الأكثر -إنما يقع في النظم لأجل الوزن، وفي النثر لأجل تساوي الفصول أو الأسجاع. ويجب أن يعتبر الكلام في التطويل والحشو والمساواة والايجاز والاخلال بهذا الاعتبار، وهو أن يتأمل الكلام المؤلف، فإن كان المعنى فيه ناقصاً غير مستوفي فذلك الإخلال. وإن كان المعنى تاماً فلا يخلو أن يكون في الألفاظ ما إذا حذفته بقي المعنى بحاله، أو ليس في الألفاظ ما إذا حذف بقي المعنى بحاله، فإن كان فيها ما إذا حذف بقي المعنى بحاله فلا يخلو من أن يتميز ذلك اللفظ الزائد من غيره أو لا يتميز، فإن لم يتميز فتلك الإطالة، وإن تميز فذلك الحشو، وإن لم يكن في الكلام ماإذا حذف بقي المعنى بحاله، فلا يخلو من أن يكون تمكن العبارة عن ذلك المعنى بأقل من تلك الألفاظ أو لا تمكن، فإن كان تمكن العبارة عن ذلك المعنى بأقل من ذلك اللفظ أو لا

---

(١) البيت لأبي عدي القرشي كما في نقد الشعر لقدامة: ٢٤٨. والأغاني (الثقافة: ٢٨٢/١١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمكن، فإن كان تمكن العبارة عن ذلك المعنى بأقل من ذلك اللفظ فتلك المساواة(١)، وإن كان لا تمكن العبارة عن ذلك المعنى بأقل من ذلك اللفظ فذلك هو الايجاز. فبهذا يصح لك اعتبار الأقسام المذكورة، ولا يخفى شيء منها على المتأمل"(٢).

الترصيع:

ذكره ابن سنان في كلامه على تناسب القوافي، فقال: "ومن التناسب ايضاً: الترصيع، وهو أن يعتمد تصيير مقاطع الاجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة، وكأنّ ذلك شبّه بترصيع الجواهر في الحليّ، وهذا ما قلنا إنه لا يحسن إذا تكرر وتوالى، لأنه يدلّ على التكلّف وشدّة التصنع، وإنما يحسن إذا وقع قليلاً غير نافر. ومن أمثلة ذلك في النثر قول أبي علي البصير في بعض كلامه: حتى عاد تعريضك تصريحاً وتمريضك تصحيحاً. وقالت الخنساء: [البسيط]

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهـ ـديّ الطريق، نفّاع وضرّار

جوّاب قاصية جزار ناصية عقّاد ألوية للخيل جرّار(٣)

... فهذا وأمثاله إذا كان قدراً يسيراً حسن على ما ذكرناه، فأما إذا توالى وكثر فإنه يقبح، لدلالته على التكلف، وإن كان كلّ منه بانفراده جيداً، وذلك مثل قول أبي صخر الهذلي: [البسيط]

عذب مقبّلها خذل مخلخلها كالرّعص أسفلها مخصـــورة القدم

سود ذوابئها بيض ترائبها محض ضرائبها صيغت على الكرم

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٥٨، وعلق مصحح الكتاب قائلاً: أطلق هنا المساواة على ما يطلقون عليه الاطناب، والمساواة عندهم تقابل الايجاز والاطناب، والثلاثة مقبولة عندهم، وما لا يقبل هو الاخلال والحشو والتطويل. وقد ميز الخطيب القزويني بينها في كتاب الايضاح أحسن تمييز.

(٢) نفسه: ٢٥٦-٢٥٨.

(٣) الخنساء، ديوانها (أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، للأب لويس شيخو): ٨١. مع شك في نسبتهما.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبلٌ مقيدها حال مقلـــدها　　بـــض مـــجـــردها، لفّـــاء في عمم

سمح خلائقها درم مرافقها　　يـــروي معانـقـهـا مـــن بارد شـبـم(١)

فهذا لمّا توالى لم يحسن(٢)، والعلّة في ذلك ما ذكرناه"(٣).

وقد يسمى الترصيع: (المضارعة) وقد يسمى: (القافية الداخلية)(٤).

وهو من نعوت الوزن، ومن البلاغيين من سمّاه: (التسجيع)(٥).

وأشار ابن سنان الى أن نقاد الشعر ربما جعلـوا للمعنـى الواحد عـدة أسـماء كالترصيع الذي يسمونه ترصيعاً وموازنة وتسميطاً وتسجيعاً، وهـو كلـه يرجـع إلـى شيء واحد(٦).

التسجيع:

ينظر: السجع، الترصيع، الفواصل.

---

(١) السكري، شرح أشعار الهذليين: ٩٦٨/٢. الخذل: الضخم الممتلئ. الدعس: كثيب الرمل المجتمع، شبه بـه عجيزتها، الترائب: جمع تريبة وهي أعلى الصدر، ضرائبها: سجاياها. عبلٌ: ضخم. يعني ممتلئـة السـاقين. حـال مقلدها: عليه حلى، بض مجردها: رقيقة الجلد ناعمته. لفاء: غير مسترخية. العمم: التام العام من كل شـيء. درم مرافقها: من درم العضو درماً أي يواري اللحم عظمه. الشبم: البارد مؤكد له. وفـي إصـلاح المنطـق درم كعـب المرأة ومرفقها يدرم إذا داراه اللحم فلم يستبن له حجم، ويقال: مرافقها درم.

(٢) وقد استحسنه ابن منظور الأنصاري في اللسان (بوب)ا.

(٣) نفسه: ٢٢٣-٢٢٥.

(٤) محمد علي الشوابكة وأنور أبو سويلم، معجم مصطلحات العروض والقافية: ٦٠. وردت اللفظة في المنقول عنه المصارعة بالصاد المهملة ولعله تحريف إذ وردت بالضاد المعجمة عند الباقلاني، إعجاز القرآن: ١٤٩.

(٥) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم: ٣٢٦/١.

(٦) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشبيه:

أورده ابن سنان في المعاني التي ينبغي أن تكون لها أوصاف هي: "الصحة والكمال والمبالغة والتحرز مما يوجب الطعن..."(١).

فمن صحة المعاني عنده "صحة التشبيه، وهو: أن يقال أحد الشيئين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات، ولن يجوز أن يكون أحد الشيئين مثل الآخر من جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تغاير البتّة، لأن هذا لو جاز لكان أحد الشيئين هو الآخر بعينه، وذلك محال. وإنما الأحسن في التشبيه أن يكون أحد الشيئين يشبه الآخر في اكثر صفاته ومعانيه، وبالضدّ حتى يكون (رديء) التشبيه ما قل شبهه بالمشبه به.

وقد يكون التشبيه بحروفه، كالكاف وكأنّ وما يجري مجراهما، وقد يكون بغير الحرف على ظاهر المعنى، ويستحسن ذلك لما فيه من الإيجاز.

والأصل في (حُسن) التشبيه أن يمثّل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد، أو يمثّل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه، فيكون حُسْن ذلك لأجل الغلوّ والمبالغة. ومما ورد في القرآن من ذلك قوله تعالى: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) ٣٩/النور وقوله تعالى: (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون مما كسبوا على شيء) ١٨/ابراهيم.

... وهذه التشبيهات كلّها على ما بيّناه من تشبيه الخفي بالظاهر المحسوس، والذي لا يعتاد بالمعتاد، لما في ذلك من البيان، والا قوله تبارك وتعالى: (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام). فإنه شبّه الشيء بما هو أعظم منه على وجه المبالغة. ومن التشبيه في الشعر قول النابغة الذبياني: [الطويل]

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع(١)

وهذا التشبيه يجمع المقصود من(٢) الظهور والمبالغة، أمّا الظهور فلأن علم الناس بأن الليل لا بدّ من إدراكه له أظهر من علمهم بأن النعمان لا بدّ من إدراكه له. وأمّا المبالغة فإن تشبيهه بالليل الذي لا يصدّ دونه حائل أعظم وأفخم وأبلغ في المدح"(٣).

ويمضي ابن سنان في إيراد الأمثلة على التشبيه، حتى يقول: "ومما يحتاج إليه التشبيه أن يكون الأمر المشبه به واقعاً مشاهداً معروفاً غير مستنكر، ليوافق ذلك المقصود بالتشبيه والتمثيل من الايضاح والبيان"(٤). ويضرب أمثلة على ما يراه معيباً في التشبيه، إلى أن يقول: "وأما (رديء) التشبيه فكقول المرّار: [الطويل]

وخالٍ على خديك يبدو كأنه سنا البدر في دعجاء بادٍ دجونها(٥)

لأن الخدود بيض والمتعارف أن يكون الخال أسود، فتشبيه الخدود بالليل والخال بضوء البدر تشبيه ناقض للعادة. فإن قيل: قد مضى في كلامكم أن المشبه به يجب أن يكون معروفاً واضحاً أبين من الشيء الذي يشبّه، فما تقولون في قوله تعالى في شجرة الزقوم: (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين) الصافات/٦٥ ورؤوس الشياطين غير مشاهدة؟ قيل: إن الزقوم غير مشاهد ورؤوس الشياطين غير مشاهدة، إلا أنه قد استقرّ في نفوس الناس من قبح

---

(١) النابغة الذبياني، ديوانه: ٥٢. المنتأى: مكان الانتياء وهو البعد.

(٢) في طبعتي سر الفصاحة (فودة والصعيدي) خطأ: المقصودين، والصواب ما أثبتناه من المخطوط الذي حققناه.

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٩٠-٢٩٢.

(٤) نفسه: ٢٩٨.

(٥) المرار بن سعيد الفقعسي، شعره: صنعة نوري حمودي القيسي، شعراء أمويون: ٤٨٤/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشياطين ما صار بمنزلة المشاهد، كما استقرّ في نفوسهم من حسن الحور العين ما صار بمنزلة المشاهد..."(١).

وعد ابن سنان بيتين لابن هرمة هما: [المتقارب]

وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفي زناداً شحاحاً

كتارك بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا(٢)

وبيتين للفرزدق هما: [الطويل]

وإنك إذ تهجو تميماً وترتشي سرابيل قيس أو سحوق العمائم

كمهريق ماء بالفلاة وغرّه سراب أذاعته رياح السمائم(٣)

"من ظريف التشبيه(٤)" وعلّق عليهما ومزج أول بيت لكل منهما ببيت الآخر الثاني معللا أنه لو أن كل منهما أورده في تلك الصورة "لكان كل واحد منهما قد شبه تشبيهاً واضحاً صحيحاً، فأمّا والشعر على ما هو عليه فإن التشبيه بعيد"(٥).

ولا أجد تفسيراً لعدّه الأبيات من ظريف التشبيه ثم اعتباره لهما من التشبيه البعيد.

وفيما تقدم من كلام ابن سنان في التشبيه، نلاحظ أنه وصف التشبيه بأوصاف متعددة هي:

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٠٠.

(٢) ابن هرمة، ديوانه: ٨١، والزند الشحاح: الذي لا يورى، كأنه يشح بالماء.

(٣) الفرزدق، ديوانه: ٨٥٦/٢. السحوق: جمع سحق وهو الثوب البالي. السمائم: جمع سموم وهي ريح حارة. والبيتان من قصيدة في قتل قتيبة بن مسلم، يمدح فيها سليمان بن عبدالملك.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٠٠.

(٥) نفسه: ٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. الرديء: وهو ما كان الشبه بين المشبه والمشبه به قليلاً.

٢. الحسن: وهو تشبيه الغائب الخفي بالظاهر المحسوس وكذلك هو تشبيه الشيء بما هو أعظم منه وأصغى.

٣. ناقض للعادة: أن يكون المشبه به قد أتى عكس ما هو معروف عنه، فالخد لونه أبيض والخال أسود ولا عكس.

٤. البعيد: ويدعوه ظريف التشبيه، وهو ما كان معناه بعيداً.

ويرى عبد العاطي غريب علي علام أن ابن سنان متأثر بقدامة بن جعفر في تعريف التشبيه(١). بينما أعاد عبد الرازق أبو زيد زايد تأثر ابن سنان في التشبيه بعلي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة، وبالرماني صاحب رسالة النكت في إعجاز القرآن(٢).

ولم أقف على نص لا بن سنان يوضح فيه موقع التشبيه من علم البيان، وصلته بالمجاز(٣). ولعل القول أن ابن سنان لم يبحث في التشبيه باستفاضة لا يبعد عن الصواب.

التصريح بعد الابهام:

ينظر: التفسير.

التصريع:

وهو في الشعر بمنزلة السجع في الكلام المنثور، وعنه يقول ابن سنان: "وأمّا التصريع فيجري مجرى القافية، وليس الفرق بينهما إلا أنه في آخر النصف

---

(١) عبدالعاطي غريب علام: البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين: ١٥٩.

(٢) عبدالرازق أبو زيد زايد، كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دراسة وتحليل: ٩٣-٩٤.

(٣) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/١٧٠-١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول من البيت، والقافية في آخر النصف الثاني منه، وإنما شبّه مع القافية بمصراعي الباب، وقد استعمله المتقدمون والمحدثون في أول القصيدة، وربما استعملوه في أثنائها، وممن كان يلهج به من المتقدمين: امرؤ القيس، فإنه صرّع في أول قصيدته: [الطويل]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل.....

ثم قال من بعد:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وقال فيها:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت هجري فأجملي(١)

.... وكذلك اعتمد جماعة من الشعراء في بعض قصائدهم. والذي أراه أن التصريع يحسن في أول القصيدة ليميز بين الابتداء وغيره ويفهم قبل تمام البيت وروي القصيدة وقافيتها، ولذلك قال أبو تمام: [الطويل]

(وتقفو إلى الجدوى بجدوى) وإنما يروقك بيت الشعر حينُ يصرّعُ(٢)

فأمّا إذا تكرّر التصريع في القصيدة فلست أراه مختاراً، وهو عندي يجري مجرى الترصيع والتجنيس والطباق وغير ذلك مما سيأتي ذكره، وإن هذه الأشياء إنما يحسن منها ما قلّ وجرى منها مجرى اللمعة واللمحة، فأمّا إذا تواتر وتكرر فليس عندي ذلك مرضياً.

---

(١) أمرؤ القيس، ديوانه: ٨ وما بعدها، انجل: انكشف، ما الاصباح منك بأمثل: أراد أنه مهموم ليلاً وصبحاً.

(٢) أبو تمام، ديوانه: ٣٢٢/٢، أراد: تسير إلى العطاء بعطاء مثله، ومعنى البيت أن العطاء إنما يعجبك إذا كان على أثره مثله، كما أن البيت يروقك أن يكون مصرعاً فيلي المصراع الأول المصراع الثاني على أثره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن قال لنا قائل: كيف يكون التصريع وغيره من الأصناف التي أشرتم إليها حسنا إذا قل، وإن كثر لم يكن حسناً؟! قيل له: هذا غير مستنكر ولا مستطرف، وله أشباه كثيرة، فإن الخال يحسن في بعض الوجوه، ولو كان في ذلك الوجه عدة خيلان لكان قبيحاً، ويكون في بعض النقوش يسير من سواد أو حمرة أو غيرهما من الألوان، فيحسن ذلك المزاج والنقش بذلك القدر من اللون، فإن زاد لم يكن حسناً. وتستحسن غرة الفرس وهي قدر مخصوص، فإن كان وجهه كله أبيض أو زاد ذلك القدر من البياض، لم يحسن. وأشباه هذا أكثر من أن تحصى، والعلة فيه أنه إنما كان حسناً بالاضافة إلى غيره.

وقد ترك التصريع جماعة من الشعراء المتقدمين والمحدثين في أول القصيدة، كما ابتدأ ابن أحمر قصيدته فقال: [السريع]

قد بكرت عاذلتي بكرةً تزعم أني بالصبا مشتهرْ

فلم يصرّع، ثم قال من بعده:

بل ودّ عيني طفل إني بَكِرْ فقد دنا الصبح فما أنتظرْ"(١)

وربما أخل الشاعر بالتصريع في جميع القصيدة"(٢).

التضادّ:

يقول ابن سنان: "فأمّا تناسب الألفاظ من طريق المعنى فإنها تتناسب على وجهين، أحدهما: أن يكون معنى اللفظتين متقارباً، والثاني: أن يكون أحد المعنيين مضاداً للآخر أو قريباً من المضاد. فأما إذا خرجت عن هذين القسمين فليست بمتناسبة، وقد سمّى أصحاب صناعة الشعر المتضاد من معاني الألفاظ (المطابق) وسمّاه أبو الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب (المتكافىء)، وأنكر ذلك عليه أبو القاسم الحسن بن بشر على ما حكيناه في المجانس. وحكى أبو علي محمد بن المظفر

---

(١) ابن أحمر الباهلي، شعره (عطوان): ٦٠/٦١، طفل: يا طفل، والطفل: الرخص الناعم، البكر: القوي.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٢١-٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، قال: قلت لأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش: أجد قوماً يخالفون في (الطباق)، فطائفة تزعم -وهي الأكثر- أنه: ذكر الشيء (وما يقابله)(١)، وطائفة تخالف في ذلك وتقول: هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد. فقال: من هو الذي يقول هذا؟ فقلت: قدامة. فقال: هذا يا بني هو التجنيس، ومن زعم أنه طباق فقد ادّعى خلافاً على الخليل والأصمعي. فاتفق الأخفش والآمدي على مخالفة أبي الفرج في التسمية.

وسمّى أصحاب صناعة الشعر ما كان قريباً من التضاد: المخالف. وقسم بعضهم التضاد، فسمّى ما كان فيهما لفظتان معناهما ضدان كالسواد والبياض: المطابق، وسمّى تقابل المعاني والتوفيق بين بعضها وبعض حتى تأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة: المقابلة. وسمى ما كان فيه سلب وإيجاب: السلب والايجاب، ولم يجعله من المطابق ولكل من ذلك أمثلة سنذكرها ونوضحها، فأمّا التسمية فلا حاجة بنا إلى المنازعة فيها، لأن الغرض فهم هذه المناسبة دون الكلام في أحق الأسماء بها، على أنّ الذي أختاره: تسمية الجميع بالمطابق، لأن الطبق للشيء إنما قيل له طبق لمساواته إياه في المقدار إذا جُعِل عليه أو غُطّي به، وإن اختلف الجنسان، وفي المثل: وافق شن طبقة، ومنه: طباق الخيل، يقال: تطابق الفرس إذا وقعت رجلاه في موضع يديه في المشي والعدْو، وكذلك الكلاب. قال النابغة الجعدي: [المتقارب]

وخيل يطابقن بالدارعين طباق الكلاب يطأن الهراسا(٢)

وقد فسر قول الله تعالى: (لتركبنّ طبقاً عن طبق) أي حالاً بعد حال، ولم يرد تساويهما في نفس المعنى، وإنما أراد تساويهما في المرور عليكم والتغيير لكم، فإذا كان هذا حقيقة الطباق، وهو: مقابلة الشيء بملئه الذي هوْ على قدره، سموا

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) النابغة الجعدي، ديوانه: ٧٩. المطابقة: وقوع الرجل موقع اليد. الهراس: شوك كأنه حسك. أراد أنها لا تريد الهرب فهي ثابتة في مشيتها كما تمشي الكلاب في الهراس متقية له.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتضادّين إذا تقابلا: متطابقين. وهذا الباب يجري مجرى المجانس، ولا يستحسن منه إلاّ ما قلّ ووقع غير مقصود ولا متكلّف، فأمّا إذا كان معنيا الكلمتين غير متناسبين لا على التقارب ولا على التضادّ فإن ذلك يقبح، ومنه ما أنكره نصيب على الكميت في قوله: [البسيط]

أم هل ظعائن بالعلياء رافعة وإن تكامل فيها الدلّ والشنب(١)

فإنه قال له: أين الدلّ من الشنب؟ إنما يكون الدلّ مع الغنج ونحوه، والشنب مع اللعس أو ما جرى مجراه من أوصاف الثغر والفم، فكان الدل والشنب في قول الكميت عيباً، لأنهما لفظتان لا يتناسبان بتقارب معنييهما ولا بتضادهما.... ومن المطابق قول بعضهم: كدر الجماعة خير من صفوا لفرقة، فكدر وصفو والجماعة والفرقة من الطباق المحض... وقال عمر بن الخطاب: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه"(٢).

ومما تقدم ألفينا التضادّ عند ابن سنان يحمل تسميات أخُرى هي: المطابق والمتكافيء والطباق والمخالف والمقابلة والمطابقة والتكافؤ. وهذه التسميات كانت معروفة قبل ابن سنان(٣)، وقد اختار ابن سنان أمثلة على ما يستحسن من المطابق وأخرى على الطباق والقبيح الذي لم يرد لحسن معناه وسلامة لفظه.

التضمين:

أورده ابن سنان في عيوب القوافي، فقال: "ومما يجري هذا المجرى: التضمين، وهو: أن لا تستقل الكلمة التي هي القافية بالمعنى حتى تكون موصولة بما في أول البيت الثاني، وذلك مثل قول النابغة الذبياني: [الوافر]

---

(١) الكميت، شعره: ٩٣/١. والشنب: بياض الأسنان وحسنها.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٣٣-٢٢٦.

(٣) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢٥٢/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ إني:

شهدت لهم مواطن صادقات أتيتهم بنصح الودّ مني"(١).

وعد التضمين من العيوب لأن "خير الشعر ما قام بنفسه وكمل معناه في بيته وقامت أجزاء قسمته بأنفسها واستغني ببعضها لو سكت عن بعض"(٢).

التطبيق:

ينظر: التضاد

التطويل:

ينظر: التذييل

التفسير:

أو التصريح بعد الابهام، وعدّه ابن سنان من صحة المعاني بقوله: "ومن الصحة: صحة التفسير، وهو: أن يذكر مؤلف الكلام معنى يحتاج إلى تفسيره، فيأتي به على الصحة من غير زيادة ولا نقص.

كقول الفرزدق: [الطويل]

لقد جئت قوماً لو لجأت إليهم طريد دم أو حاملاً ثِقْلَ مَغرمِ

لألفيتَ فيهم معطيا ومطاعنا وراءك شزراً بالوشيج المقوّم(٣)

وهذا تفسير للأول موافق. فأمّا فساد التفسير فكقول بعضهم: [الطويل]

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢١٩-٢٢٠. واليتان في ديوانه: ١٩٩ من قصيدة يفخر بها ببني أسد. والجفار: ماء لبني أسد كانت عليه وقعة، عكاظ: سوق بين مكة والطائف.

(٢) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم: ١/٢٥٠.

(٣) الفرزدق، ديوانه (الصاوي): ٢/٧٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيا أيها الحيران في ظُلم الدجى ومن خاف أن يلقاه بغي من العدى

تعال إليه تلق من نور وجهه ضياءً ومن كفّيْه بحراً من الندى(١)

فإن هذا الشاعر لما قدّم في البيت الأول الظلم وبغي العدى، كان الوجه في التفسير أن يأتي في البيت الثاني بما يليق به، فأتى بالضياء بإزاء الظّلم وذلك صواب، وكان يجب أن يأتي بإزاء بغي العدى بالنصرة أو العصمة أو ما جرى مجرى ذلك، فلمّا جعل مكانه ذكر الندى، كان التفسير فاسداً"(٢).

وكذلك نوّه ابن سنان بطريف التفسير للشعر فقال فيه: "أن يُتأول ليقع الفساد فيه، ولو حمل على ظاهره كان صواباً صحيحاً، وما أعرف أعجب من حمل كافة المفسرين قول الفرزدق: [الكامل]

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول(٣)

على وجهين: أحدهما أن يكون أعز وأطول بمعنى عزيزة طويلة، والثاني أعزو أطول من بيتك يا جرير. فيتعسفون في التأويل، ومراد الشاعر أوضح من أن يخفى، وأشهر من أن يجهل، وهو أعز وأطول من السماء التي ذكرها في اول البيت، وإنما جاء بها لهذا الغرض، وهذا مبالغة في الشعر معروفة مستعملة، وليست بالمكروهة ولا الغريبة"(٤).

---

(١) نسب المرزباني البيتين إلى بعض المحدثين، الموشح: ٣٦٧. وهما بلا نسبة عند قدامة، نقد الشعر: ٢٣٠، وكذلك عند العسكري، الصناعتين: ٣٤٧.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣١٨-٣١٩.

(٣) الفرزدق، ديوانه (الصاوي): ٧١٤/٢.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٣٣-١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التقسيم:

في كلامه على المعاني مفردة أبان ابن سنان ان "حصر المعاني بقوانين تستوعب أقسامها وفنونها علم حسب ما ذكرناه في الألفاظ فعسير متعب لا يليق بهذا الكتاب تكلفة، لأنه ثمرة على المنطق ونتيجة صناعة الكلام،... لكن نحتاج إلى أن نومىء إلى المعاني التي تستعمل في صناعة تأليف الكلام المنظوم والمنثور، ونبين كيف يقع الصحيح فيها والفاسد، والتام والناقص... فإن الأوصاف التي تطلب من هذه المعاني هي الصحة والكمال والمبالغة والتحرز مما يوجب الطعن والاستدلال بالتمثيل والتعليل.... أمّا الصحة في التقسيم فأن تكون الأقسام المذكورة لم يخلّ بشيء منها ولا تكررت ولا دخل بعضها تحت بعض، ومثال هذا في النظم قول نصيب: [الطويل]

فقال فريق القوم لا، وفريقهم نعم وفريق قال: ويحك ما ندري(١)

فليس في أقسام الاجابة عن مطلوب إذا سئل عنه غير هذه الأقسام.

.... ومن أمثلة ذلك في النثر قول بعضهم في كتاب له: (فإنك لم تخل فيما بدأتني به من مجد أثّلته، أو شكر تعجلته، أو أجر أدّخرته، أو متجر اتجرته، أو من أن تكون جمعت ذلك كله) فلم يبق في هذا المعنى قسم لم يأت به، ولا من الأقسام شيء تكرر.

فأمّا الأقسام الفاسدة فكقول جرير: [البسيط]

صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها(٢)

فهذه قسمة فاسدة من طريق الإخلال، لأنه أخلّ بقسم من الثلاثة.

---

(١) نصيب بن رباح، شعره (صنعة داود سلوم): ٩٤.

(٢) جرير، ديوانه: ٥٤٥/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

..... ومن هذا الجنس أن بعض المتخلفين سأل مرّة فقال: (علقمة بن عبدة جاهليّ أو من بني تميم؟ فضُحِك منه! لأن الجاهلي قد يكون من بني تميم ومن بني عامر، والتميمي قد يكون جاهلياً وإسلامياً"(١).

التكافؤ:

ينظر: التضاد

التكرار:

يرى ابن سنان أن "تكرر الحروف والكلام يذهب بشطر من الفصاحة، وقد كان بعض العلماء بالشعر يعيب في قول أبي تمام: [الطويل]

كريم متى أمدحه أمدحه والورّى معيَ ومتى ما لمته لمته وحدي(٢)

تكرر حروف الحلق، على سلامة المعنى واختيار الألفاظ...(٣)"

وأتى ابن سنان بنماذج من التكرار القبيح، ومثّل لما لا يعد قبيحاً، حتى انتهى إلى القول: "وهذا الذي أنكرناه من تكرار الألفاظ فن قد أولع به الشعراء والكتّاب من أهل زماننا هذا، حتى لا يكاد الواحد منهم يغفل عن كلمة واحدة فلا يعيدها في نظمه أو نثره، ومتى اعتبرت كلامهم وجدته على هذه الصفة، وما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة ويغض من طلاوتها أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه، وصيانة نسجه عنه، إذ كان لا يحتاج إلى كبير تأمل، ولا دقيق نظر. وقلّما يخلو واحد من الشعراء المجيدين أو الكتّاب من استعمال الفاظ يديرها في شعره، حتى لا يخلّ في بعض قصائده بها، فربما كانت تلك الألفاظ مختارة، يسهل الأمر في إعادتها وتكريرها، إذا لم تقع إلا موقعها وربما كانت على خلاف ذلك. وقد كان أبو الحسن مهيار بن

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٧٦-٢٧٩.

(٢) أبو تمام، ديوانه: ١١٦/٢. والبيت من قصيدة في مدح أبو الليث الغافقي.

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرزوية ممن غُرِي بلفظة طين وطينة، فما وجدت له قصيدة تخلو من ذلك إلا اليسير، حتى وضع هذه اللفظة تارة في غير موضعها، ومستعارةً لما لا يليق بها، وأقرّها مقرّها في بعض الأماكن، ووافق بينها وبين ما ألفت معها، وذلك موجود في شعره لمن يتتبعه.... فأمّا قول بعضهم: [المتقارب]

ولولا دموعي كتمت الهوى ولولا الهوى لم تكن لي دموع(١)

فليس من التكرار المكروه...."(٢). ويرى ابن سنان أن في التكرار تكليف(٣).

التمثيل:

قرن ابن سنان بينه وبين التشبيه، فقال: "ومما يحتاج إليه التشبيه أن يكون الأمر المشبه به واقعاً مشاهداً معروفاً غير مستنكرٍ، ليوافق ذلك المقصود بالتشبيه والتمثيل من الايضاح والبيان"(٤).

وذهب بدوي طبانة إلى أن "التمثيل ضرب من ضروب التشبيه، والتشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً(٥).

وفي موضع آخر يقول ابن سنان: "ومن نعوت الفصاحة والبلاغة أن يراد معنى فيوضح بألفاظ تدل على معنى آخر، وذلك المعنى مثال للمعنى(٦) المقصود. وسبب حسن هذا مع ما يكون فيه من الايجاز أن تمثيل المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحِسّ والمشاهدة، وهذه فائدة التمثيل في جميع العلوم، لأن المثال لا بد أن يكون

---

(١) البيت من شعر أبي عيسى بن هارون الرشيد، واسمه أحمد وقيل محمد، وهو في كتاب الصولي، الأوراق: ٩٠. ونسبه ابن منقذ في كتابه البديع: ٤٨، للرشيد العباسي.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١١٨-١١٩.

(٣) نفسه: ٢١٠.

(٤) نفسه: ٢٩٨.

(٥) بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: ٢٩٦.

(٦) علق محقق سر الفصاحة بأنه اصطلح على تسمية هذا أخيراً بالتمثيل، وهو الاستعارة المكنية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أظهر من الممثل، فالغرض بإيراده إيضاح المعنى وبيانه. ومن هذا الفن قول الرماح ابن ميّادة: [الطويل]

ألم تك في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلنّي بعدها في شمالكا(١)

فأراد: إني كنت عندك مقدماً فلا تؤخرني، ومقرباً فلا تبعدني، فعدل في العبارة عن ذلك إلى أني كنت في يمينك، فلا تجعلني في شمالك. لأن هذا المثال أظهر إلى الحس..."(٢).

التناسب:

انتقل ابن سنان من البحث في فصاحة الكلمة المفردة إلى ما يختص بالتأليف(٣)، فبحث في حسن التأليف والأصل فيه وضع الألفاظ في موضعها حقيقة أو مجازاً، ثم وسّع القول في شروط تحقيق ذلك، وهي عنده التقديم والتأخير(٤). وتجنب المقلوب من الكلام(٥)، وحسن الاستعارة لا قبحها(٦)، وتجنب الحشو في الكلام(٧)، وتجنب المداخلة(٨)، ومراعاة ألفاظ المدح والذم(٩)، وحسن الكناية(١٠)،

---

(١) ابن ميادة، شعره (صنعة محمد نايف الدليمي): ٧٧، وتخريجه هناك.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٧٣.

(٣) نفسه: ١٢٤.

(٤) نفسه: ١٢٥.

(٥) نفسه: ١٢٨.

(٦) نفسه: ١٣٤.

(٧) نفسه: ١٧٠.

(٨) نفسه: ١٨٣.

(٩) نفسه: ١٨٨.

(١٠) نفسه: ١٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتجنب ألفاظ أهل الاختصاص كالمتكلمين والمهندسين(١)، ورأى أن تكون بين اللفظين مناسبة حتى يكون تأليفهما حسناً مقبولاً.

أمّا التناسب فيتحقق بين الألفاظ من طريق الصيغة ومن طريق المعنى(٢) والمناسبة بينها من طريق الصيغة لها "تأثير في الفصاحة، ومما مثّل لها به قول أبي عبادة: [الطويل]

فأحجم لمّا لم يجد فيك مطمعا وأقدم لما لم يجد عنك مهربا(٣)

فناسب بين أحجم وأقدم، ومطمعا ومهربا، وعنك وفيك. وأمثلة هذا اكثر من أن تحصى.

ومن المناسبة بين الألفاظ في الصيغ: السجع والازدواج"(٤). وكذلك القوافي في الشعر "فإنها تجري مجرى السجع"(٥) ومن التناسب ايضاً "حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب، ليكون ما يرجع إلى المقدّم مقدّما وإلى المؤخر مؤخّرا"(٦). ومنها أيضاً: "التناسب في المقدار، وهذا في الشعر محفوظ بالوزن، فلا يمكن اختلاف الأبيات في الطول والقصر، فإن زاحف بعض الأبيات أو جعل الشعر كلّه مزاحفاً حتى مال إلى الانكسار وخرج من باب الشعر في الذوق كان قبيحاً ناقص الطلاوة، كقصيدة عبيد بن الأبرص: [مجزوء البسيط]

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٩٥.

(٢) نفسه: ١٩٩.

(٣) البحتري، ديوانه (الصيرفي): ١/٢٠٠، والبيت من قصيدة في مدح الفتح بن خاقان.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٠١.

(٥) نفسه: ٢١٠.

(٦) نفسه: ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقفر من أهله ملحوب ..... (١)

.... فإن هذا غير مستحسن لأنه خارج عن أسلوب المنظوم والمنثور، وإن كان في العروض مستقيماً، وكان الخليل بن أحمد يستحسن بعض الزحاف(٢) في الشعر إذا قلّ، وإذا كثر قبح غنده، وقال بعض الأدباء: هو مثل اللثغ في الجارية، يشتهى القليل منه، وإن كثر هجن وسمج. فأمّا الكلام المنثور فالأحسن منه تساوي الفصول في مقاديرها، أو يكون الفصل الثاني أطول من الأول، وعلى هذا أجمع الكتّاب... ومن التناسب بين الألفاظ: المجانس، وهو أن يكون بعض الألفاظ مشتقاً من بعض، إن كان معناهما واحداً، أو بمنزلة المشتق إن كان معناهما مختلفا(٣)، أو تتوافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى، وهذا إنما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير متكلّف ولا مقصود في نفسه، وقد استعمله العرب المتقدمون في أشعارهم، ثم جاء المحدثون فلهج به منهم مسلم بن الوليد الأنصاري وأكثر منه ومن استعمال المطابق والمخالف... وجاء أبو تمام حبيب بن أوس بعده، فزاد على مسلم في استعماله والإكثار منه..."(٤). ويمضي ابن سنان في طرح الأمثلة، ثم ما يلبث أن يقول: "وبعض البغداديين يسمى تساوي اللفظتين في الصفة مع اختلاف المعنى: المماثل.... كهوجل وهوجل في قول الأفوه الأوديّ: [السريع]

وأقطع الهوجل مستأنساً بهوجلٍ عيرانةٍ عنتريس(٥)

---

(١) عبيد بن الأبرص، ديوانه (نصار): ١٠، وتمام البيت: فالقطبيات فالذنوب. وملحوب: ماء لبني أسد، القطبيات: جبل، وقيل ماء بعينه، أو موضع في ديار بني اسد.

(٢) علق مصحح الكتاب الصعيدي، ص٢٢٦، قائلاً: الزحاف: أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء.

(٣) أورد مصحح الكتاب، ص٢٢٧ مثلاً بقوله: نحو قوله تعالى: (قال إني لعملكم من القالين).

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٢٥-٢٢٧.

(٥) الأفوه الأودي، ديوانه (الطرائف الأدبية): ١٦، الهوجل: الأرض البعيدة، الهوجل الثانية: الناقة العظيمة الخلق الموثقة، العيرانة: الصلبة، العنتريس: الغليظة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأن لفظ الهوجل واحدة، والمراد بالأولى: الأرض البعيدة، وبالثانية: الناقة العظيمة الخلق. ويسمّي المجانس ما توافقت فيه اللفظتان بعض الاتفاق. وأبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب يسمى هذا الفن الجنس(١)، ويسمّى المطابق: المتكافيء، وقد أنكر عليه ذلك أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي وقال: إن هذا البيت وإن صحّ بموافقته معنى الألقاب وأنها غير محظورة، فإن الناس قد تقدموا أبا الفرج في تلقيب هذه الأنواع، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز باللـه وغيره، وكفوه المؤونة في اختراع ألقاب تخالفهم. والصواب ما قاله ابو القاسم..."(٢) ثم يورد ابن سنان أمثلة من مجانس أبي تمام ليعقب عليها: "وله من هذا الجنس أبيات كثيرة، والسبب في ذلك أنه أحب الإكثار، ولم يقنع باليسير الذي يسمح به خاطره، ويقع بغير تكلّف ولا تعمّل. ومما ورد في القرآن العظيم من هذا الفن قوله تبارك وتعالى: (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم)١٢٧/التوبة. وقوله تبارك وتعالى: (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار)٢٧/النور .... وقال أبو عبادة: [الكامل]

ورأيتني فرأيت أحسن منظر ... رب القصائد في القنا المتقصد(٣)

وقال: [الخفيف]

هل لما فات من تلاقٍ تلاف ... أو لشاكٍ من الصبابة شافِ(٤)

وقد سمى قدامة بن جعفر هذا الفن من المجانس في تلاق وتلاف: المضارعة، إذا كانت إحدى اللفظتين تماثل الأخرى بأكثر الحروف ولا تشابهها في الجميع، ومثل ذلك بقول نوفل بن مساحق للوليد وقد اعتدّ عليه بالإذن له على نفسه وهو يلعب بالحمام وقال: خصصتك بهذه المنزلة. فقال له نوفل: ما خصصتني ولكن

---

(١) كذا في المطبوعتين: ط. فودة، ص١٨٥، وط. الصعيدي، ص٢٢٩، وفي الطبعة المرقونة بتحقيقي: المطابق، وهو الصواب، لأنها وردت عند قدامة (المطابق) نقد الشعر، تح كمال مصطفى: ١٨٥.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٢٨-٢٢٩.

(٣) البحتري، ديوانه (الصيرفي): ١/٥٤٩.

(٤) نفسه: ٣/١٣٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خسستني، لأنك كشفت لي عورة من عوراتك. وأمثال هذا كثير، والمحمود منه ما قلّ ووقع تابعاً للمعنى غير مقصود في نفسه.

ومن المجانس فن ورد في شعر أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان وسماه لنا: مجانس التركيب، لأنه يركب من الكلمتين ما يتجانس به الصيغتان، كقوله: [الطويل]

مطا يا مطايا وجد كنّ منازل منى زلّ عنها ليس عني بمقلع(١)

وما أحفظ لأحد من الشعراء شيئاً من قبيله. وهو عندي غير حسن ولا مختار ولا داخل في وصف من أوصاف الفصاحة والبلاغة.

فأما مجانس التصحيف، فقد ورد في شعر أبي عبادة، كقوله: [الطويل]

ولم يكن المغتر بالله إذ شرى ليعجز والمعتز بالله طالبه(٢)

..... وهذا أقل طبقات المجانس، لأنه مبني على تجانس أشكال الحروف في الحظ، وحسن الكلام وقبحه لا يستفاد من أشكال حروفه في الكتابة، إذ لا علقة بين صيغة اللفظ في الحروف وشكله في الخط"(٣).

وبعد أن ينهي ابن سنان القول في تناسب الألفاظ في التركيب من حيث الصيغة ينتقل إلى التناسب بين الألفاظ من طريق المعنى فيرى أنها "تتناسب على وجهين، أحدهما: أن يكون معنى اللفظتين متقارباً، والثاني: أن يكون أحد المعنيين مضاداً للآخر أو قريباً من المضاد. فأمّا إذا خرجت الألفاظ عن هذين القسمين

---

(١) الخوئي، شرح التنوير على سقط الزند: ١٤٣/٢. مطا: مد وأطال، مطايا: جمع مطية، المنى: القدر أو الموت، زل: سقط، يقول: أطال شوقكن أيها الدواب الممتطاة ديار الحبيبة التي قصدتن نحوها، وهي ربوع معمورة لم يصبها القدر، وإنما أصابني فبليت بأحداثه وهو غير مقلع عني حتى لا يترك بقية مني.

(٢) البحتري، ديوانه (الصيرفي): ٢١٥/١. شرى: غضب.

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٣٠-٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فليست بمتناسبة"(١). ويتناول ابن سنان في هذا التناسب: الطباق(٢)، والمقابلة(٣)، والتبديل(٤) والمخالف الذي يقرب من التضاد(٥)، والايجاب والسلب(٦). وغيرها من الفنون التي تتحقق بها مراعاة التناسب من طريق المعنى، وقد أفردتها في مكانها من المصطلحات في هذه الدراسة.

التناقض:

ينظر: الاستحالة والتناقض.

التوشيح:

ويسمى الإرصاد والتسهيم عند معظم البلاغيين(٧)، وابن سنان يذكر أن "بعضهم يسميه: التسهيم"(٨). ومثّل له بأبيات "إذا سمع الانسان صدورها، وكان قد عرف الرويّ المقصود فيها، عرف الكلمة التي تكون قافية قبل الوصول إليها"(٩). "ويكون بعض البيت شاهداً لبعض، فهو من النعوت المحمودة.... ومثاله قول الشاعر: [الطويل]

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر"(١٠)

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٣٣.

(٢) نفسه: ٢٣٤.

(٣) نفسه: ٢٣٦. والبيت لأبي صخر الهذلي، السكري، شرح أشعار الهذليين: ٩٥٨/٢.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٣٩.

(٥) نفسه: ٢٣٩.

(٦) نفسه: ٢٤٠.

(٧) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٩٢/٢.

(٨) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٨٧.

(٩) نفسه: ١٨٨.

(١٠) نفسه: ١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجائز والممتنع:

من صحة المعاني في الألفاظ المؤلّفة(١) التي بينها ابن سنان: "الا يضع (مؤلف الكلام) الجائز موضع الممتنع، فإنه يجوز أن يضع الممتنع موضع الجائز إذا كان في ذلك ضرب من الغلوّ والمبالغة، ولا يحسن أن يوضع الجائز موضع الممتنع لأنه لا علة لجواز ذلك، وهو ضد ما يحمد من الغلّو والمبالغة في الشعر، ومن أمثلة هذا قول الشاعر: [الطويل]

وإن صورة راقتك فاخبر فربما أمرّ مذاق العود والعود أخضر(٢)

فبنى الكلام على أن العود في الأكثر يكون حلواً، بقوله -فربما- ، وليس الأمر كذلك بل العود الأخضر -في الأكثر- مرّ وكأنّ هذا الشاعر وضع الأكثر موضع الأقل، وذلك غلط في المعنى...."(٣).

الجرس:

عدّ ابن سنان من فضائل اللغة العربية "أن الواضع لها -إن كانت مواضعة- تجنّب -في الأكثر- كل ما يثقل على الناطق تكلفهَ والتلفظ به، كالجمع بين الحروف المتقاربة في المخارج، وما أشبه ذلك، واعتمد مثل هذا في الحركات ايضاً، فلم يأت إلا بالسهل الممكن، دون الوعر المتعب، ومتى تأملت الألفاظ المهملة لم تجد العلة في إهمالها إلا هذا المعنى، وليس غيرها من اللغات كذلك"(٤). ثم يستأنف القول: "ووقوع المهمل من هذه اللغة -على ما قدمته لك- في الأكثر من اطراح الأبنية التي يصعب النطق بها لضرب من التقارب في الحروف، فلا يكاد يجيء في كلام العرب

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٧٧.

(٢) قدامة بن جعفر، نقد الشعر: ٢٤٥، ونسبة البيت هناك لخالد بن صفوان، والبيت في شعر دعبل الخزاعي (صنعة عبدالكريم الأشتر): ٣٠١ مع اختلاف في روايته.

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٨٨-٢٨٩.

(٤) نفسه: ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة، لحزونة ذلك على ألسنتهم، وثقله... كل ذلك اعتماداً للخفّة وتجنباً للثقل في النطق..."(١). ومباحث الفصاحة عنده أوضح فيها موسيقى الألفاظ وإيقاعها.

ووضع ابن سنان شروطاً تتحقق فيها الفصاحة، "وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف، وبوجود أضدادها تستحقّ الاطراح والذم"(٢). وأول تلك الشروط: "أن يكون تاليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج... وعلة هذا واضحة، وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شكّ في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة..."(٣).

ومما مثّل له ابن سنان وله علقة بالجرس "حروف بعضها يحسن استعماله في الفصيح من الكلام وبعضها لا يحسن"(٤). وكذلك أفرد فصلا للأصوات والحروف أبان فيها جرس الحروف(٥).

الحشو:

ينظر: التذييل.

الحقيقة والمجاز:

في كلام ابن سنان على الاستعارة، كان مما قاله: "فأمّا الحقيقة فلا نحتاج فيها إلى مثال، لأن أكثر الكلام على ذلك، ولكن هاهنا ألفاظ قد وضعت في غير موضعها ليس على وجه الاستعارة ولا الحقيقة، فأنا أذكر لك ما نجعله دليلاً على

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٥٧-٥٨.

(٢) نفسه: ٦٥.

(٣) نفسه: ٦٦.

(٤) جميل سعيد، دروس في البلاغة وتطورها: ١١١ وما بعدها.

(٥) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٥-٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباقي، وتعتبر في الكلام الذي تؤثر معرفة حظه من الفصاحة أن يكون خالياً مثل تلك الألفاظ، بل كل كلمة منه موضوعة في موضعها اللائق بها إمّا حقيقة أو على وجه المجاز السائغ المختار الذي نبهتك على علمه. فمن تلك الألفاظ قول أبي تمام:

[الوافر]

سعى فاستنزل الشرف اقتسارا ولولا السعي لم تكن المساعي(١)

فإن استنزال الشرف ليس بحقيقة فيه، ولا على وجه الاستعارة الصحيحة، لأن الشرف إذا حُطّ وأنزل فقد وصف بما يليق به من الإنزال والخفض..."(٢)

الذوق:

ينظر: الشعر

حمل اللفظ على اللفظ:

أورده ابن سنان في التناسب بين الألفاظ المؤلفة حتى يكون تأليفها حسنا مقبولاً، فقال: "ومن التناسب أيضاً حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب ليكون ما يرجع إلى المقدّم مقدماً وإلى المؤخر مؤخراً، ومثال ذلك قول الشريف الرضي: [الكامل]

قلبي وطرفي منك هذا في حمى قيظٍ وهذا في رياض ربيع(٣)

فإنه لما قدّم -قلبي- وجب أن يقدّم وصفه بأنه في حمى قيظ، فلو كان قال: طرفي وقلبي منك لم يحسن في التركيب أن يؤخر قوله: في رياض ربيع والطرف مقدم...."(٤).

---

(١) أبو تمام، ديوانه: ٣٣٩/٢. من قصيدة يمدح فيها مهدي بن اصرم.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٦٨.

(٣) الشريف الرضي، ديوانه: ٢٨٠.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ٢٢٥. وأشار مصحح الكتاب أن ما في البيت من اللف والنشر المقرّب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السجع والازدواج والفواصل:

قال ابن سنان: "ومن المناسبة بين الألفاظ في الصيغ: السجع والازدواج، ويحدّ السجع بأنه: تماثل الحروف في مقاطع الفصول. وبعضُ الناس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج في الكلام، وبعضهم يستحسنه ويقصده كثيراً. وحجّة من يكرهه أنه ربما وقع بتكلّف وتعمّل واستكراه، فأذهب طلاوة الكلام، وأزال ماءه. وحجة من يختاره أنه مناسبة بين الألفاظ، ويحسّنها ويظهر آثار الصنعة فيها، ولولا ذلك لم يرد في كلام الله تعالى، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم، والفصيح من كلام العرب. وكما أن الشعر يحسن بتساوي قوافيه، كذلك النثر يحسن بتماثل الحروف في فصوله. المذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة، وبحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه، ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظة، ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يتخيّل لأجله وورد ليصير وصلة إليه. فإنّا[1] متى حمدنا هذا الجنس من السجع كنا قد وافقنا دليل من كرهه وعملنا بموجبه، لأنه إنما دلّ على قبح ما يقع من السجع بتحمل وتكلف، ونحن لم نستحسن ذلك النوع... وأمّا الفواصل التي في القرآن فإنهم سمّوها فواصل ولم يسموها أسجاعاً، وفرّقوا فقالوا: إن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها... والذي يجب أن يحرر في ذلك أن يقال: إن الاسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول على ما ذكرناه، والفواصل على ضربين: ضرب يكون سجعاً، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعاً، وهو ما تقابلت[2] حروفه في المقاطع ولم تتماثل. ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين -أعني المتماثل والمتقارب- من أن يكون يأتي طوعاً سهلاً وتابعاً للمعاني، وبالضد من ذلك، حتى يكون متكلفا بتبعه المعنى. فإن كان من القسم الأول، فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض.

---

(١) في نسخة مصحح الكتاب الصعيدي: فإن، والتصويب من طبعة فودة.

(٢) يرى مصحح الكتاب الصعيدي أن الصواب: ما تقاربت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأمّا القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود، لعلوّه في الفصاحة، وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة، فمثال المتماثلة قوله تعالى: (والطور. وكتاب مسطور. في رق منشور. والبيت المعمور.)١-٤/الطور. وقوله عز اسمه: (طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرةً لمن يخشى، تنزيلاً ممّن خلق الأرض والسموات العُلى، الرحمن على العرشِ استوى)١-٥/طه ..... وقوله تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ١-٢/القمر. وجميع هذه السورة على هذا الازدواج، وهذا جائز أن يسمى سجعاً لأن فيه معنى السجع، ولا مانع في الشرع يمنع من ذلك. ومثال المتقارب في الحروف قوله تبارك وتعالى: (الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين)٣-٤/الفاتحة. وقوله تبارك وتعالى: (ق. والقرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب)١-٢/ق. وهذا لا يسمّى سجعاً، لأنا قد بيّنا أن السجع ما كانت حروفه متماثلة.

فأمّا قول الرمّاني: إن السجع عيب والفواصل بلاغة -على الإطلاق- فغلط... ومن الكتّاب المحدثين من كان يستعمل السجع كثيراً ولا يكاد يخلّ به، وهو أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابي وأبو الفرج المعروف بالببغاء، ومنهم من كان يتركه ويتجنبه وهو أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد...."(١).

ويورد ابن سنان أمثلة من منثور الأدباء وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، حتى ينتهي إلى القول: "والسجع الواقع موقعه كثير لمن طلبه.... سجع يتبع المعاني غير متكلف ولا مستكره، وأمثاله أكثر من أن تحصى"(٢).

ثم ينتقل إلى قوله: "وقد سمّى قدامة بنُ جعفر ترك المناسبة في مقاطع الفصول: التجميع، ومثّل ذلك بقول سعيد بن حميد في أول كتاب له: (وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحرّ وإن كان قديم العبودية، ويسترق الشكر وإن كان سالف

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٠١-٢٠٧.

(٢) نفسه: ٢٠٨-٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فضلك لم يبق شيئاً منه). لأن المقطع على (العبودية) منافر للمقطع على (منه). فهذا هو مثال ما نترك به المناسبة قد قدمناه.

ومثال الأسجاع التي تكون غير متكلّفة قد ذكرناه، فأمّا إذا تكلفت واعتمدت وكانت المعاني تابعة لها فليس ذلك بمرضي. ومما يجب اعتماده في هذا الا تجعل الرسالة كلّها مسجوعة على حرف واحد، لأن ذلك يقع تعرّضاً للتكرار، وميلاً إلى التكلف. وقد استعمل ذلك في الخطب وغيرها من المنثور، وهو يقع في المكاتبات خاصّة"(١).

ومضى بنا القول في الترصيع، أو ما سمّاه بعض البلاغيين التسجيع ويعدّ بمثابة الموسيقا الداخلية في النصّ. وكذلك تساوي الفصول(٢).

السِّناد:

عدّه ابن سنان من عيوب القوافي، وهو "اختلاف في الحركات قبل حرف الروي، كما قال عدي بن زيد: [الوافر]

ففاجأها وقد جمعت جموعاً على أبواب حصن مصلتينا
فقددت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذباً ومينا(٣)

فالميم من (مينا) مفتوحة، والتاء من (مصلتينا) مكسورة.

والسناد من قولهم: خرج بنو فلان برأسين متساندين، أي كل واحد منهما على حياله. وكذلك قالوا: كانت قريش يوم الفجار مساندين، أي لا يقودهم رجل واحد"(٤).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٠٨-٢١٠.

(٢) نفسه: ٢٢٦.

(٣) عدي بن زيد العبادي، ديوانه: ١٨٢، وسبقت الاشارة للبيتين فيما مضى.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر:

خصّص ابن سنان للشعر في كتابه "سر الفصاحة" مساحة واسعة، فبلغت شواهد ابن سنان من الشعر نحو ثماني مئة بيت منهم ثمانية عشر من الرجز. ومعظم شواهده من الشعر الذائع المشهور المذكور في جلّ كتب البلاغة والنقد القديمة، حتى إنه علّل اختياره للشواهد من الشعر قائلاً: "فأمّا اقتصاري في أكثر ما أمثّل به على المنظوم دون المنثور، مع أن كلامي عليهما واحد، فإنما أقصد ذلك لكثرة المنظوم واشتهاره، ورغبتي في أن يسهّل الوزن عليك حفظ ما أذكره، فإنّه داعٍ قوي وسبب وكيد"(١).

وعقد ابن سنان فصلاً "في ذكر الفرق بين المنظوم والمنثور" ومنه قوله: "وأمّا حدّ الشعر فهو: كلام موزون مقفى يدل على معنى(٢) . وقلنا: كلام ليدل على جنسه، وقلنا: موزون لنفرّق بينه وبين الكلام المنثور الذي ليس بموزون، وقلنا: مقضى لنفرق بينه وبين المؤلف الموزون الذي لا قوافي له، وقلنا: يدل على معنى لنحترز من المؤلف بالقوافي الموزون الذي لا يدل على معنى.

وسمّي شعراً من قولهم: شعرت بمعنى: فطنت، والشعر: الفطنة، كأن الشاعر عندهم قد فطن لتأليف الكلام، وإذا كان هذا مفهوماً فأقل ما يقع عليه اسم الشعر بيتان، لأن التقفية لا تمكن في أقل منهما ولا تصح في البيت الواحد، لأنها مأخوذة من: قفوت الشيء إذا تلوته، وقد ذهب العروضيون إلى أن أقل ما يطلق عليه اسم الشعر ثلاثة ابيات. وليس الأمر على ما ذهبوا إليه، لأن الحدّ الصحيح قد ذكرناه، وهو يدل على أن البيتين شعر... وإذا كان هذا بيّناً فالفرق بين الشعر والنثر بالوزن على كل حال، وبالتقفية إن لم يكن المنثور مسجوعاً على طريق القوافي الشعرية. والوزن هو التأليف الذي يشهد الذوق بصحته أو العروض، أمّا الذوق فلأمر يرجع إلى الحسّ، وأمّا العروض فلأنه قد حصر فيه جميع ما عملت العرب

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٨٢.

(٢) هذا التعريف منقول عن قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر: ١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه من الأوزان، فمتى عمل شاعر شيئاً لا يشهد بصحته الذّوق، وكانت العرب قد عملت مثله، جاز له ذلك، كما ساغ له أن يتكلّم بلغتهم، فأمّا إذا خرج عن الحسّ وأوزان العرب، فليس بصحيح ولا جائز، لأنه لا يرجع إلى أمر يسوّغه.

والذوق مقدّم على العروض، فكل ما صحّ فيه لم يلتفت إلى العروض في جوازه، ولكن قد يفسد فيه بعض ما يصح بالعروض على المعنى الذي ذكرناه، كالزحافات المروية في أشعار العرب المذكورة في كتب العروض، وهو الأصل الذي عملت العرب الأول عليه، وإنما العروض استقراء للأوزان حدث بذلك ذلك بزمان طويل.

وأمّا التفضيل بين النظم والنثر فالذي يصلح أن يقوله من يفضّل النظم أن الوزن يحسّن الشعر، ويحصل للكلام به من الرونق ما لا يكون للكلام المنثور، ويحدث عليه من الطرب في إمكان التلحين والغناء به ما لا يكون للكلام المنثور، ولهذه العلة ساغ حفظه أكثر من حفظ المنثور، حتى لو اعتبرت أكثر الناس لم تجد فيهم من يحفظ فصلاً من رسالة غير القليل. ولا تجد فيهم من لا يحفظ البيت أو القطعة إلا اليسير، ولولا ما انفرد به من الوزن الذي تميل إليه النفوس بالطبع لم يكن لذلك وجه ولا سبب.

ونقول: إن الشعر يدخل في جميع الأغراض، كالنسيب والمديح والذم والوصف والعتب، والنثر لا يدخل في جميع ذلك. فإن التشبيب لا يحسن في غير الشعر، وكذلك غيره من الأغراض، وما صلح لجميع ضروب الكلام وصنوفه، افضل مما اقتصر على بعضه.... والشعر فضل يستغنى عنه ولا تقود ضرورة إليه، وأن منزلة الشاعر إذا زادت وتسامت لم ينل بها قدراً عالياً، ولا ذكراً جميلاً، والكاتب ينال بالكتابة الوزارة فما دونها من رتب الرياسة، وصناعة تبلغ بها إلى الدرجة الرفيعة أشرف من صناعة لا توصل صاحبها إلى ذلك، وإن اكثر النظم إذا كشف وجد لا يعّبر عن جدّ، ولا يترجم من حق، وإنما الحذق فيه الإفراط في الكذب، والغلوّ في المبالغة، وأكثر النثر شرح أمور متيقنة، وأحوال مشاهدة، وما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثر فيه الجد والتحقيق أفضل مما كثر فيه المحال والتقريب، وقد يتسع الكلام فيما لا يخرج عن هذا الفن..."(١).

ويقول ابن سنان: "ويحتاج الشاعر خاصة إلى معرفة الخمسة عشر بحراً التي ذكرها الخليل بن أحمد، وما يجوز فيها من الزحاف، ولست أوجب عليه المعرفة بها لينظم بعلمه، فإن النظم مبني على الذوق، ولو نظم بتقطيع الأفاعيل جاء شعره متكلّفاً غير مرضي، وإنما أريد له معرفة ما ذكرته من العروض لأن الذوق ينبو عن بعض الزحافات، وهو جائز في العروض، وقد ورد للعرب مثله، فلولا علم العروض لم يفرّق بين ما يجوز من ذلك وبين ما لا يجوز.

ويفتقر ايضاً من العلم بالقوافي إلى معرفة الحروف والحركات التي يلزم إعادتها، وما يصلح أن يكون رويّاً أو ردفاً مما لا يصح.

ويحتاج أيضاً إلى معرفة المشهور من أخبار العرب وأحاديثها وأنسابها وأمثالها ومنازلها وسيرها، وصفة الحروب التي كانت لها، وما له قصة مشهورة وحديث مأثور، فإنه قد يفتقر في النظم إلى ذكر شيء منه، ويكون للمعنى به تعلق شديد، وإذا ورد استحسن"(٢).

وجدير بالذكر أن ابن سنان من شعراء القرن الخامس للهجرة المذكورين، وله ديوان شعر طبع في بداية القرن العشرين. وله شاعرية تتميز بالفروسية والأنفة والتمكن حتى قيل إن شعره مما يدخل الأذن بلا إذن(٣).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٣٧-٣٤٠.

(٢) نفسه: ٣٤٢.

(٣) فصلت القول في ديوان ابن سنان وشاعريته أثناء تقديمي لتحقيق "سر الفصاحة" في رسالة الماجستير المرقونة ص٣٦ وما بعدها. والذي نصّ على أن شعره يدخل الأذن بغير إذن هو السمعاني في كتابه الانساب:٥/١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصحّة:

تلقانا عبارة "ومن الصحة" في كتاب ابن سنان في مواضع متعددة، وقد اجتزأت منها ما تناول فيه:

صحة الأقسام:

أوصحة التقسيم، وتناولها ابن سنان ضمن كلامه في الصحة التي تطلب من "معاني الألفاظ المؤلفة المنظومة على طريقة الشعر والرسائل وما يجري مجراهما فقط"(١). وقال ابن سنان: "أمّا الصحة في التقسيم فأن تكون الأقسام المذكورة لم يخل بشيء منها...."(٢) وقد بيّنا ذلك في تناولنا "التقسيم".

صحة الأوصاف:

فصّل ابن سنان المقصود فيها قائلاً: "ومن الصحة صحة الأوصاف في الأغراض، وهو أن يمدح الانسان بما يليق به ولا ينفر عنه، فيمدح الخليفة بتأييد الدين وتقوية أمره، ومحبة الناس وطاعتهم، والتقى والروع، والرحمة والرأفة، وإقامة العدل وشرف الحسب، وحسن السياسة والتدبير، والاضطلاع بالأمور، والحلم والعفو... وما يجري هذا المجرى، ويمدح الوزير والكاتب بالعقل والحلم وسداد الرأي وحسن التدبير والبلاغة وتثمير الأموال... ويمدح الأمير وقائد الجيش بالشجاعة والمعرفة بالحرب... وعلى هذا السبيل يجري الأمر في النسيب... وكذلك في كل غرض من الأغراض الشعرية.... حتى يكون كل شيء موضوعاً في المكان الذي يليق به.

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٧٦.

(٢) نفسه: ٢٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأمّا النثر فيجري على هذا المنهاج.... لكن أصول الأغراض في الأوصاف والمعاني مما لا تتبدل ولا تتغير، فليكن الانتمام بها واقعاً، والاجتهاد في جريها على قانون السداد والصواب حاصلاً، فقد عيب أبو عبادة في مديحه الخليفة بقوله:

[مجزوء الكامل]

لا العذل يردعه ولا التّـ عنيف عن كرم يصدّه(١)

وقيل: من هوالذي يجسر على عذل الخليفة وتعنيفه، وليس هذا المدح مما يصلح للملوك والأمراء، فضلاً عن الأئمة والخلفاء"(٢).

وقد أورد ابن سنان نماذج متعددة لما عيب من الشعراء فيما وصفوه، ويعلق على ما أورده قدامة في المدح والذم وإنكار الآمدي عليه ما ذهب إليه، وانتصر للآمدي(٣).

صحة التشبيه:

وقد سبق القول فيه عند الكلام على التشبيه.

صحة التفسير:

مضى الكلام فيه لدى بحث التفسير.

صحة المقابلة:

وعرّفها ابن سنان قائلاً: "ومن الصحة صحة المقابلة في المعاني، وهو أن يضع مؤلف الكلام معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة، فيأتي في

---

(١) البحتري، ديوانه (الصيرفي): ٦١٤/١، في مدح المعتز وابنه عبدالله.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٠١-٣٠٣.

(٣) نفسه: ٣١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة. والأصل في هذه المناسبة، فإن لها تأثيراً قوياً في الحسن.

..... ومن ذلك أيضاً قول الآخر: [الطويل]

جزى الله خيراً ذات بعل تصدقت على عزب حتى يكون له أهل

فإنا سنجزيها بمثل فعالها إذا ما تزوجنا وليس لها بعل(١)

وهذه ايضاً مقابلة صحيحة، لأنه جعل في مقابلة أن تكون المرأة ذات بعل وهو لا زوج له، أن يكون ذا زوج وهي لا بعل لها، وقابل حاجته وهو عزب بحاجتها وهي عزبة.... فأمّا فساد المقابلة فكقول أبي عدي القرشي: [الخفيف]

يا ابن خير الأخيار من عبد شمس أنت زين الدّنا وغيث الجنود(٢)

فليس غيث الجنود مقابلا لزين الدنيا ولا موافقا"(٣).

صحة النّسق:

وعنها يقول ابن سنان: "ومن الصحة صحة النّسق والنظم، وهو أن يستمرّ في المعنى الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقاً بالأول وغير منقطع عنه. ومن هذا الباب خروج الشعراء من النسيب إلى المدح، فإن المحدثين أجادوا التخلّص حتى صار كلامهم في النسيب متعلقاً بكلامهم في المدح لا ينقطع عنه. فأمّا العرب المتقدمون فلم يكونوا يسلكون هذه الطريقة، وإنما كان خروجهم من النسيب إمّا منقطعاً، وإمّا مبنيّاً على وصف الابل التي ساروا إلى الممدوح عليها..."(٤) ويورد أمثلة من الشعر على الخروج من معنى إلى آخر،

---

(١) لم أقف على نسبتهما، وهما بلا عزو في نقد الشعر لقدامة: ١٥٤، والصناعتين للعسكري: ٣٣٩.

(٢) البيت في نقد الشعر لقدامة: ٢٢٩، والصناعتين للعسكري: ٣٤٠.

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣١٣-٣١٥.

(٤) نفسه: ٣١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى يقول: "وأمّا إذا ابتدئ بالمديح أو بغيره من الأغراض، فالأحسن أن يكون الابتداء دالاً على المعنى المقصود، كما ابتدأ أبو الطيب المتنبي قصيدته التي مدح بها سيف الدولة واعتذر له عن ظفر الروم بجيشه وقتلهم وأسرهم جماعة منهم، فقال: [البسيط]

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدّثوا شجعوا(١)

فابتدأ بغرضه من أول القصيدة"(٢).

وهكذا بحث ابن سنان في الصحة والفساد بالمعنى، على اعتبار أنه شرط لوضوح المعنى وكماله، والتحرز مما يوجب الطعن. ومتى كانت الألفاظ المؤلّفة صحيحة المعنى غير متناقضة ولا يعترض الشك فيها، تم لها الوضوح والبيان.

الطباق المخالف:

ينظر: التضادّ، او التدبيج.

الطيّ والنشر:

ينظر: اللف والنشر.

الغرابة:

ورد عند ابن سنان في شروط تحقق الفصاحة للفظة المفردة قوله: "أن تكون الكلمة -كما قال ابو عثمان الجاحظ- غير متوعرة وحشية، كقول أبي تمام:[الطويل]

لقد طلعت في وجه مصر بوجهه بلا طائر سعد ولا طائر كهل...(٣)

---

(١) المتنبي، ديوانه (العكبري): ٢/٢٢١.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢١٧-٢١٨.

(٣) وبعد البيت: وساوس آمال ومذهب همّة تخيل لي بين المطية والرحل. ديوانه: ٤/٥٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن كهلا هاهنا من غريب اللغة. وقد روي أن الأصمعي لم يعرف هذه الكلمة.

..... وقد قيل: إن الكهل الضخم، وكهل لفظه ليست بقبيحة التأليف، لكنها وحشية غريبة لا يعرفها مثل الأصمعي.

ومن ذلك أيضاً ما يروى عن أبي علقمة النحوي من قوله: ما لكم تتكأكؤون عليّ تكأكؤكم على ذي جنّة؟ افرنقعوا عنّي!. فإن: تتكأكؤون، وافرنقعوا، وحشيّ، وقد جمع لعمري العلّتين مع قبح التأليف الذي يمجّه السمع والتوعر، وما أكثر ما تجتمع العلتان في هذا الجنس..."(١). وقد أورد ابن سنان أمثله أخرى على ألفاظ وحشية استكره الناس ما فيها من وحشيّ غريب. ثم علّق بقوله: "وإن كان هؤلاء الشعراء أرادوا الإغراب، حتى يتساوى في الجهل بكلامهم العامّة وأكثر الخاصّة، فما أقبح ما وقع لهم! وقد رأيت أنا جماعة يتعمدون هذا، فقلت لهم: إن سررتم بمعرفتكم وحشي اللغة، فيجب أن تغتمّوا بسوء حظكم من البلاغة. وجرى بين أصحابنا في بعض الأيام ذكر شيخنا أبي العلاء بن سليمان فوصفه واصف من الجماعة بالفصاحة، واستدل على ذلك بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء، فعجبنا من دليله، وإن كنا لم نخالفه في المذهب..."(٢).

وفي حديثه عن الغموض والوضوح، وعرضه الأسباب التي لأجلها يغمض الكلام على المسامع، يعقّب ابن سنان فيقول: "وإذا كان هذا واضحاً فإن استعمال الألفاظ الغريبة الوحشية نقص في الفصاحة التي هي الظهور والبيان على ما قدّمنا من ذلك فيما مضى من كتابنا هذا"(٣).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٦٩-٧٠.

(٢) نفسه: ٧٥.

(٣) نفسه: ٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغموض والوضوح:

من شروط الفصاحة والبلاغة عند ابن سنان "أن يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جليّاً لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمّل لفهمه، وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوماً أو منثوراً. وإنما احتجنا إلى هذا التفصيل لأن أبا اسحق ابراهيم بن هلال الصابي غلط في هذا الموضع، فزعم أن الحسن من الشعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة ومماطلة، والحسن من النثر ما سبق معناه لفظه، ففرّق بين النظم والنثر في هذا الحكم، ولا فرق بينهما ولا شبهة تعترض المتأمّل في ذلك، والدليل على صحة ما ذهبنا إليه أنا قد بيّنا ان الكلام غير مقصود في نفسه، وانما احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم، ويفهموا المعاني التي في نفوسهم. فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني ولا موضحة لها فقد رفض الغرض في أصل الكلام، وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفاً للقطع ويجعل حدّه كليلاً.... فإن هذا مما لا يعتمده عاقل...

وإذا كان هذا مفهوماً فالأسباب التي لأجلها يغمض الكلام على المسامع ستة: اثنان منها في اللفظ بانفراده، واثنان في تأليف الألفاظ بعضها مع بعض، واثنان في المعنى.

فأمّا اللذان في اللفظ بانفراده، فأحدهما: أن تكون الكلمة غريبة كما ذكرنا فيما تقدم من وحشيّ اللغة العربية، والآخر أن تكون الكلمة من الأسماء المشتركة في تلك اللغة، كالصدى الذي هو العطش، والطائر، والصوت الحادث في بعض الأجسام.

وأمّا اللذان في التأليف فأحدهما: فرط الايجاز، كبعض الكلام الذي يروي عن بقراط في علم الطب. والآخر: إغلاق النظم، كأبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي وغيره، وكما يروى من كلام أرسطو طاليس في المنطق.

وأمّا اللذان في المعنى، فأحدهما: أن يكون في نفسه دقيقاً ككثير من مسائل الكلام في اللطيف، والآخر: أن يحتاج في فهمه إلى مقدّمات إذا تصوّرت بني ذلك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى عليها، فلا تكون المقدّمات حصلت للمخاطب فلا يقع له فهم المعنى، كالذي يريد فهم فروع الكلام والنحو وغيرهما من العلوم قبل الوقوف على الأصول التي بنيت تلك الفروع عليها"(١).

وينبغي للباحث أن يتنبّه لمفرادات أوردها ابن سنان، وهي في المكان الذي وقع ترتيبها فيه خلال هذه الدراسة، ونجمل فيما يلي تلك المفردات الدّالة على الغموض، وقد تناولها ابن سنان في كتابه في مواضع متفرقة، ولعلّ في حصرها هنا ما يفيد تتبعها حيث وقعت:

المعاظلة – التعقيد في التقديم والتأخير – الابهام – الغرابة – المشترك– الكناية وما يتبعها من التعريض والتلويح والرمز والاشارة والتعمية والتورية – والإلغاز– ولزوم ما لا يلزم أو الإعنات –التضاد.

هذه المصطلحات مفردات أوردها ابن سنان، كما أنها وردت عند غيره من علماء البلاغة، واستقصاها حلمي خليل، وعرضها عرضاً مبوّباً، وليس هذا المكان مما يتسع أو يصلح لحصرها. غير أن حلمي خليل يرى أنه "في مقابل معيار وضوح المعنى وانكشافه، توقف النقاد والبلاغيون بصورة لافتة للنظر أمام ظاهرة غموض المعنى وخفاء الدلالة، فتعددت المصطلحات التي استخدموها في وصف الغموض في الكلام، وبخاصة في الشعر، وذلك تبعاً لمصدر الغموض وأسبابه"(٢).

واستطاع حلمي خليل ان يلمح ما أورده ابن سنان من أبيات وقع فيها غموض، وهي لأبي تمام والبحتري أبي العتاهية وغيرهم، فأشار إلى هذه المفردات وعرض لملاحظة ابن سنان بشأنها(٣).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٦٠.

(٢) حلمي خليل، العربية والغموض: ١٣٦.

(٣) نفسه: ١٣٧، ١٥٧-١٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصاحة:

سر الفصاحة عنوان لكتاب ابن سنان الخفاجي، رأى مؤلفه أن الفصاحة جديرة بالبحث، لأن الناس مختلفون في ماهيتها، مما بعثه على تأليف كتاب يكون الغرض منه معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرها، ومع أن الباحث لا يجد تفسيراً لتسمية الكتاب أو علة هذه التسمية، فإنه لا يستطيع إنكار أن الفصاحة هي موضوع الكتاب، وأن مؤلفه قصد أن يقدم فيه ما يزيل اختلاف الناس في ماهيتها ويؤدي بهم إلى معرفتها والعلم بسرها وقد وردت كلمة الفصاحة في كتابه أكثر من عشر مرات.

ولست بصدد بحث علة تسمية الكتاب، والإشارة إلى كتب قبله حملت في عنواناتها كلمة "الفصاحة" إذ بسطت القول في هذا الأمر، وقلّبته على وجوهه المختلفة في مقدمة تحقيق الكتاب(١)، بل إني حصرت المواضع التي وردت فيها لفظة الفصاحة، وتبيّن لي أن المؤلف أوردها إمّا:

١. تعريفاً بها: معناها، وجذرها اللغوي، والحدود التي حدها الناس بها، وليست بالحدود الصحيحة.

٢. اختلاف الناس في حقيقتها والعلم بسرها وما أدى إليه.

٣. الفرق بينها وبين البلاغة.

٤. كونها نعتاً للألفاظ وتحققها في تلك الألفاظ التي تكاملت الشروط الواجب مراعاتها في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضم إليها شيء من الألفاظ، والألفاظ المنظومة بعضها مع بعض، أو المؤلفة.

٥. ما تؤديه من فائدة، وما لها من تأثير يحمد لها.

---

(١) في أطروحة الماجستير المرقونة بعنوان: كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي: تحقيق ودراسة، وقدمت إلى مجلس كلية الآداب بجامعة بغداد، فحصلت على تقدير جيدجداً عام ١٩٧٦م. ص.ص ٥٦ وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦. ما ينقص منها وما ينتج عن الإخلال بشروطها.

أمّا عن التعريف بها، فيقول ابن سنان: "الفصاحة: الظهور والبيان، ومنها: أفصح اللبن إذا انجلت رغوته وفصح فهو فصيح،... ويقال: أفصح الصبح إذا بداضوؤه، وأفصح لك شيء إذا وضح... وفصح النصارى عيدهم... وسُمّي الكلام فصيحاً كأنهم سمّوه بياناً، ولإعرابه عما عُبّر (به) عنه، وإظهاره له إظهاراً جليّا(١).

وفي موضع آخر يقول ابن سنان بعد أن أورد حدود البلاغة: "وإذا كانت الفصاحة شطرها وأحد جزأيها، فكلامي على المقصود، وهو الفصاحة، غير متميز الا في الموضع الذي يجب بيانه من الفرق بينهما، .... فأمّا سوى ذلك فعامٌ لا يختصّ وخليط لا ينقسم... وأقول قبل ذلك إن الناس قد اكثروا من الدلالة على شرف الفصاحة، وعظم قدر البيان والبلاغة، ونبّهوا بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة..."(٢).

ويمضي ابن سنان في بيان الفرق بين الصمت والنطق، ثم يقول: "وأقول قبل كلامي في الفصاحة وبيانها إنني لم أر أقلّ من العارفين بهذه الصناعة، والمطبوعين على فهمها ونقدها، مع كثرة من يدّعي ذلك ويتحلى به وينتسب إلى أهله ويماري أصحابه... حتى وجدت هذا الداء قد اعيا أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي وأبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قبله، وأشكاهما حتى ذكراه في كتبهما، فعلمت أن العادة بن جارية، والرزيّة فيه قديمة..."(٣).

ثم ينتقل إلى الكلام في الفصاحة فيقول: "إن الفصاحة –على ما قدمت– نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف، وبوجود

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٥٩.

(٢) نفسه: ٦١.

(٣) نفسه: ٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أضدادها تستحق الاطّراح والذم. وتلك الشروط تنقسم قسمين، فالأول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضمّ إليها شيء من الألفاظ وتؤلّف معه، والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض"(١).

ويعرض ابن سنان ثمانية شروط ينبغي ان تتوفر في اللفظة الفصيحة يمكن إجمال ما فصّله فيها على النحو التالي:

١. أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج، ومثاله كثير، وجلّ كلام العرب عليه، أمّا تأليف الحروف المتقاربة ففي كلمة (الهعخع).

٢. أن يكون لتأليف اللفظة الفصيحة في السمع حسن ومزية على غيرها وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة، ومثاله في الحروف (عذب) ومنه العذيب اسم موضع وعذيبة اسم امرأة وعذب صفة للماء، ففيها مالا يجده السامع في كلمة مخارج حروفها قريبة، لضرب من التأليف في النغم، كما نجد للألوان المتباعدة حسنا يتصور في النفس ويدرك بالبصر.

٣. أن تكون اللفظة غير متوعرة وحشية، مثل لفظة كهل.

٤. أن تكون اللفظة غير ساقطة عامية مثل كلمة (تفرعن).

٥. أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة، بحيث لا ينكرها أهل اللغة أو يردها علماء النحو للتصرف الفاسد فيها.

٦. أن لا تكون اللفظة قد عبّر بها عن أمر آخر يكره ذكره، وإن كملت فيها الصفات الأخرى. كالكنيف أصله الساتر، ومنه قيل للترس كنيف، غير أنه قد استعمل في الآبار التي تستر الحدث.

٧. أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف، كلفظه استسماجها.

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨. أن تكون مصغرة في موضع عبر فيها عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو وما يجرى ذلك. كلفظة قمير تستعمل للهلال غير المكتمل.

هذه هي شروط فصاحة اللفظة المفردة، وقد مثّل ابن سنان على ما يحسن منها وما هو بالضدّ، وشغلت أمثلته نحواً من خمسين صفحة. وانتقل منها إلى الكلام في الألفاظ المؤلفة، وتحدث عن مفهوم الفصاحة فيه، فرأى أن الفصاحة "عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار"(١). وأن الشرط الأول في فصاحة الكلمة ينطبق على تأليف الكلام، "وبيانه ان يتجنب الناظم تكرر الحروف المتقاربة في تاليف الكلام"(٢). والفصاحة لأمور عدة تقع في الكلام من جملتها التلاؤم في الحروف"(٣)، وكذلك الشرط الثاني "وهو أن تجد اللفظة في السمع حسنا ومزية على غيرها، لا من أجل تباعد الحروف فقط، بل لأمر يقع في التاليف، ويعرض في المزاج، كما يتفق في بعض النقوش... فإن هذا إنما يكون في التأليف إذا ترادفت الكلمات المختارة، فيوجد فيه الحسن فيه أكثر، وتزيد طلاوته على ما لا يجمع من تلك الكلمات إلا القليل"(٤) أمّا "الثالث والرابع من الأقسام، وهما أن تكون الكلمة غير وحشية ولا عامية، لأن هذين القسمين أيضاً لا علقة للتأليف بهما، وإنما يقبح إذا كثر فيه الكلام الوحشي أو العامّي، على حد ما يحسن إذا كثر فيه الكلام المختار"(٥) "وأمّا الخامس وهو أن تكون الكلمة جارية علىالعرف العربي الصحيح، وللتأليف بهذا القسم علقة وكيدة..."(٦) "وأمّا السادس مما ذكرناه وهو أن تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره. فللتأليف فيه تعلق بحسب إضافة الكلمة إلى غيرها(٧). وأمّا "السابع وهو

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٠٥.

(٢) نفسه: ١٠٧.

(٣) نفسه: ١١٠.

(٤) نفسه: ١٢٠.

(٥) نفسه: ١٢٠.

(٦) نفسه: ١٢٠.

(٧) نفسه: ١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجتناب الكلمة الكثيرة الحروف فلا علقة للتأليف بهذا، إلا أن ظهور قبحه أجلى إذا ترادفت فيه الكلمات الطوال...(١) "وأمّا الثامن وهو التصغير فلا علقة للتأليف به إذ كان لا يتعدى الكلمة بانفرادها، لكني أقول: إن تكرار التصغير والنداء والترخيم والنعت والعطف والتوكيد وغير ذلك من الأقسام، والاسهاب في إيرادها معدود في جملة التكرار ويجب التوسط فيه، فإن لكل شيء حدّاً ومقداراً لا يحسن تجاوزه ولا يحمد تعديه"(٢).

وينتقل ابن سنان إلى ما يختص بالتأليف وينفرد له، فيورد ما يسميه: الأصول في حسنه، ويمكن إجماله على النحو التالي:

١. وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازاً لا ينكره الاستعمال ولا يبعد فيه... فلا يكون في الكلام تقديم وتأخير(٣) حتى يؤدي ذلك إلى فساد معناه واعرابه في بعض المواضع، أو سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يصبح فصله في لغة العرب كالصلة والموصول وما اشبههما.. فلا يحمل الكلام على المقلوب...

٢. حسن الاستعارة(٤) وهي على ضربين: قريب مختار وبعيد مطّرح.

٣. الا تقع الكلمة حشوا(٥).

٤. ألا يكون الكلام شديد المداخلة يركب بعضه بعضاً وهذا هو المعاظلة...(٦).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٢٤.

(٢) نفسه: ١٢٤.

(٣) نفسه: ١٢٥.

(٤) نفسه: ١٦٩.

(٥) نفسه: ١٧٠.

(٦) نفسه: ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. ألا يعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم، ولا في الذم بالألفاظ المعروفة للمدح(١).

٦. حسن الكناية(٢).

٧. ألا يستعمل في الشعر والنثر ألفاظ مخصوصة بذوي المهن والاختصاص كالمتكلمين والنحويين والمهندسين وغيرهم(٣).

٨. أن يتحقق التناسب بين اللفظين(٤)، من طريق الصيغة ومن طريق المعنى، فمن حيث الصيغ تتناسب الأضداد، والسجع والازدواج والفواصل والتجميع(٥)، وأن القوافي في الشعر تجري مجرى السجع(٦)، فلا يقع فيها عيبٌ من عيوب القوافي كالاقواء(٧) والسناد(٨) والتضمين(٩) وغيرها.

٩. حمل اللفظ على اللفظ في ترتيب الكلام(١٠).

١٠. التناسب في المقدار(١١).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٨٨.

(٢) نفسه: ١٩٢.

(٣) نفسه: ١٩٥.

(٤) نفسه: ١٩٩.

(٥) نفسه: ٢٠٢.

(٦) نفسه: ٢١٠.

(٧) نفسه: ٢١٧.

(٨) نفسه: ٢١٨.

(٩) نفسه: ٢١٩.

(١٠) نفسه: ٢٢٥.

(١١) نفسه: ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١. المجانس: مجانس التركيب ومجانس التصحيف(١) أمّا من حيث المعنى، فيحسن:

١. تقارب معنى اللفظتين.

٢. أن يكون أحد المعنيين مضاداً للآخر أو قريباً من المضاد فتضاد الألفاظ في معانيها، ولا يتحقق تناسب في المعنى بين الألفاظ.

٣. أن تتوخى المقابلة في مراعاة المعاني، كالمطابق والمتكافيء(٢). غير أن ابن سنان يعاود وضع شروط للفصاحة والبلاغة فيذكر منها:

١. الايجاز والاختصار وحذف فضول الكلام وعدم الإطالة(٣).

٢. تحقيق دلالة الألفاظ على المعاني من خلال مراعاة:

أ. المساواة بين اللفظ والمعنى(٤).

ب. التذييل والتطويل والحشو في المواضع التي يحسن فيها ذلك(٥).

جـ. الإشارة، والايجاز المحمود من غير إخلال.

٣. أن يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جلياً(٦). وهذا يقوده إلى البحث في أسباب الغموض في الكلام.

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٢٦-٢٣٢.

(٢) نفسه: ٢٣٤.

(٣) نفسه: ٢٤١.

(٤) نفسه: ٢٥٥.

(٥) نفسه: ٢٥٦.

(٦) نفسه: ٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. الارداف والتتبيع(١).

هذه شروط الفصاحة والبلاغة كما رآها ابن سنان، ولا يفوتني -في هذا المقام- أن أذكر ما أشار إليه جميل سعيد حين قال: "ويقول ابن سنان كالمتهكم ببعض الذين لا يرون الفصاحة في التعبير إنما هي بيانه ووضوحه بقوله: (وجرى بين أصحابنا في بعض الأيام ذكر شيخنا أبي العلاء بن سليمان، فوصفه واصف من الجماعة بالفصاحة، واستدل على ذلك بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء، فعجبنا من دليله، وإن كنا لم نخالفه في المذهب، وقلت له: إن كانت الفصاحة عندك بالألفاظ التي يتعذر فهمها، فقد عدلت عن الأصل أولاً في المقصود بالفصاحة التي هي البيان والظهور، ووجب عندك أن يكون الأخرس أفصح من المتكلم، لأن الفهم من إشاراته بعيد، وأنت تقول: كلما كان الكلام أغمض وأخفى، كان أبلغ وأفصح). ونرى من كلام ابن سنان هذا، أن الكلام عندهم لا يوصف بالفصاحة إلا إذا كان واضحاً مفهوماً، وهو كلّما وضح ازداد وقعه في النفس، وقد نفى ابن سنان صفة الفصاحة -التي تعني الغموض- عن شيخه أبي العلاء المعري، ورآها هجنة لم يرضها له"(٢).

ولا أرى صواباً فيما ذهب إليه محمد جابر الفياض حين قال عن ابن سنان: "ولست بصدد نقد كتابه، فله قيمته التي لا تجحدفي دراسة الحروف وتأليف الألفاظ وما يستساغ منها ويستقبح، ويتآلف ويتنافر، ولكن حديثه عن مفهوم الفصاحة وحدها لا يتناسب وعنوان الكتاب والأهمية التي ذكرها لها في بداية حديثه عنها، مع أنه لم يكد يبق شيئاً من شروط الفصاحة إلا أشار إليه، ولكن حقيقة الفصاحة وماهيتها شيء، وشروطها شيء آخر"(٣).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٧٠.

(٢) جميل سعيد، دروس في البلاغة وتطورها: ١٠٥-١٠٦.

(٣) محمد جابر فياض، البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحاً: ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفواصل:

ينظر: السجع والازدواج والفواصل.

القافية وعيوبها:

أدّى البحث في السجع بابن سنان إلى أن يقول: "فأمّا القوافي في الشعر فإنها تجري مجرى السجع، وإن المختار منها ما كان متمكناً يدل الكلام عليه، وإذا أنشد صدر البيت عرفت قافيته، كما قال ابن نباته في وصف قصيدته: [البسيط]

خذها إذا أنشدتْ للقوم من طرب صدورها علمت منها قوافيها(١)

وقد قدّمنا لذلك أمثلة، وبيّنا ما يكون من القوافي حشواً في باب الحشو.

وقد صنّفت العلماء في باب القوافي كتباً بيّنوا فيها ما تجب إعادته من الحروف والحركات وما لا تجب إعادته، ووضعوا لتلك الحروف والحركات أسماء لا حاجة بنا إلى ذكر شيء من ذلك، لأنه هناك مستوفىً مستقصىً، وليس مما نحن بسبيله"(٢).

ثم يتناول ابن سنان لزوم ما لا يلزم، وما يسميه أصحاب القوافي حروف الرويّ، والدخيل بين ألف التاسيس وحرف الروي، إلى أن يقول: "وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفن لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه شيء من عيوب القوافي، لأنه إنما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير الجاء ولا إكراه. ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل، وليس بنا حاجة إلى المتكلف المطّرح، وإن ادّعى علينا قائلة أن مشقة نالته وتعباً مرّ به في نظمه. وورود القوافي متمكنة في الأشعار المختارة موجودة..."(٣) ويقول: "ومما يجب أن يعتمد في القافية

---

(١) ابن نباتة السعدي، ديوانه: ١/٤٨١.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢١٠.

(٣) نفسه: ٢١٢-٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألا تكون الكلمة إذا سُكت عليها كانت محتملة لمعنى يقتضي خلاف ما وضع الشعر له، مثل أن يكون مديحاً فيقتضي بالسكوت عليها وقطع الكلام بها وجهاً من الذم أو معنى يتطير منه الممدوح أو ما يجري هذا المجرى... ومن هذا الجنس أيضاً الابتداء في القصائد، فإنه يحتاج إلى تحرز فيه، حتى لا يستفتح بلفظ محتمل أو كلام يتطير منه.... ويروى أن أبا نواس لما أنشد الفضل بن يحيى قصيدته: [الطويل]

أربع البلى إن الخشوع لبادي عليك وإني لم أخنك ودادي(١)

تطيّر الفضل من هذا الابتداء. فلمّا انتهى إلى قوله في القصيدة:

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم بني برمكٍ من رائحين وغادِ

استحكم تطيّره، فلم يمضِ إلا أسبوع حتى نكب بنو برمك، وقتل جعفر بن يحيى..."(٢).

.... "ومن تناسب القوافي تجنب الاقواء فيها، وهو اختلاف إعرابها..."(٣)

"والايطاء في القوافي عيب..."(٤)، "والسناد أيضاً عيب...."(٥)

"ومن عيوب القوافي أن يتم البيت ولا تتم الكلمة التي منها القافية حتى يكون تمامها في البيت الثاني، مثل أبيات كتبها إليّ الشيخ أبو العلاء بن سليمان في بعض كتبه، وحكى أن أبا العباس المبّرد ذكرها في كتابه الموضوع في القوافي، وسمى هذا الجنس من عيوب القافية: المجاز. والأبيات: [الهزج]

شبيه بابن يعقوب ولكن لم يكن يو

---

(١) أبو نواس، ديوانه: ٤٧٣.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢١٦.

(٣) نفسه: ٢١٧.

(٤) نفسه: ٢١٨.

(٥) نفسه: ٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سـف يشـرب الخمر ولا يـزنـي ولا يـو

سـع الأمـواه بالقهـو ة مزجـاً لم يكن دو

ن في صبح وإمسـاءِ وهـذا منكـر يـو

شك الرحمن أن يصليه في نـار خزيٍ هـو

لها أهـل فـلا يكشـ ف عنـه ربنـا السو

ءإن الأخضر الإبطيـ ن ذا الفحشـاء لا يو

قِـدُ النـار لأضيافِ ولـو قيـل لـه ذو

دنـانـير وأمـوال فـيا رحـمـن لا تـو

سع الرزق على هذا الـ ذي منظـره لـو

لـؤ والفعـل ستّـوق فـوزن الريش لا يو[١]

وقطع الكلام على يو.

ومما يجري هذا المجرى: التضمين، وهو ألا تستقل الكلمة التـي هـي القافيـة بالمعنى حتى تكون موصولة بما في أول البيت الثاني..."[٢].

" ومـن عيـوب القوافـي فـي تـرك التناسـب أن يكـون الـرويّ علـى حرفيـن متقاربين، كما قال بعض العرب: [رجز]

بنيّ إن البرّ شيء هيّن المنطق الليّن والطُّعيّم[٣]

وهذا من الشاذ النادر الذي لا يلتفت إليه.

---

(١) أي لا يوزن، ولم أقف على هذه الأبيات ولا نسبتها في المظان التي رجعت إليها، ويسمى هذا النوع: التدوير، كما يعرف باسم الاقتضاء. المرزباني، الموشح: ٤٩.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢١٨-٢١٩.

(٣) ثعلب، قواعد الشعر: ٦٩، حيث تخريج البيت ونسبته واختلاف رواياته هناك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن عيوب القوافي أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على رويّ ينبىء أن تكون قافية آخر البيت بحسبه فياتي بخلافه، كقول عمرو بن شاس:[طويل]

تذكرت ليلى لات حين ادكارها وقد حني الأضلاع ضل بتضلال(١)

فلما قال: ادكارها، أوهم أن الروي حرف الراء بوصل وخروج وردف قبله، فجاء بالقافية على اللام.(٢)

"..... وأمّا التصريع فيجري مجرى القافية، وليس الفرق بينهما إلا أنه في آخر النصف الأول من البيت... والذي أراه أن التصريع يحسن في أول القصيدة ليميّز بين الابتداء وغيره، ويفهم قبل تمام البيت رويّ القصيدة وقافيتها.... ومن التناسب أيضاً الترصيع، وهو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة... ومن التناسب ايضاً حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب... ومن المناسبة أيضاً التناسب في المقدار، وهذا في الشعر محفوظ بالوزن... ومن التناسب بين الألفاظ: المجانس..."(٣) وهكذا تناول ابن سنان القافية بما رآه يحسن فيها أو يلحق بها عيوباً.

القديم والحديث:

صوّر ابن سنان الصراع بين أنصار القديم وبين أنصار الحديث، وحجج كل منهما، وناقشها. فهو يبدأ بسرد مذهب كل قوم، ويدلي بدلوه في هذه المسألة من خلال "فصل في ذكر الأقوال الفاسدة في نقد الكلام"، ابتدأ فيه قائلا: "ذهب قوم من الرواة وأهل اللغة إلى تفضيل اشعار العرب المتقدمين على شعر كافة المحدثين، ولم يجيزوا أن يلحقوا أحداً ممن تأخر زمانة بتلك الطبقة وإن كان عندهم محسناً، واختلفوا في علة ذلك: فزعمت طائفة من جهّالهم أن العلة فيه هي مجرد التقدم في

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/٤٢٥. وعمرو بن شاس الأسدي شاعر جاهلي كانت امرأته تعيره بسواده.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٢٠.

(٣) نفسه: ٢٢١-٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزمان، واستمروا في الترتيب فجعلوا الشعراء طبقات بحسب تواريخ أعصارهم. وقال قوم منهم: السبب في ذلك أن المتقدمين سبقوا إلى المعاني في أكثر الألفاظ المؤلّفة، وفتحوا طريق الشعر، وسلك الناس فيه بعدهم، وجروا على آثارهم، فلهم فضيلة السبق التي لا توازيها فضيلة.... وقال طائفة أخرى: إن العلة في تفضيل أشعار المتقدمين على أشعار المحدثين أن هذه الأشعار المتقدمة كانت تقع من قائلها بالطبع من غير تكلّف ولا تصنّع، والأشعار المحدثة تقع بتكلف وتعمّل..."(١).

ولا يتسع المقام لسرد ما قاله ابن سنان، فهو يسرد آراء الفريقين ولكنه لا ينسب الرأي إلى من قال به، وكلامه في هذه المسألة يحتاج إلى تبويب للمسائل، كتلك التي نجدها عند محمد الكتاني، إذ أحسن في كتابه الواقع في جزأين تناول قضية "الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث"(٢)، وبوّب المسائل التي عرضها، تبويباً يسّهل على الباحث تتبعّ المسألة تدريجياً لينتهي إلى ما آلت إليه. بيد أن ابن سنان يقول كلاماً عائماً يحتاج إلى تحقيق وتوثيق، لنعرف من قصد بقوله: "قوم من الرواة وأهل اللغة" أو قوله: "طائفة من جهّالهم"، و"طائفة أخرى" و"غير هؤلاء من أهل العلم بالشعر" وقوله: "وقد صنف قوم في نقد الشعر رسائل ذكروا فيها أبواباً من الصناعة لا تخرج عما ذكرناه...". ويمكن لنا أن نعدّ ابن سنان قد انتصر في رأيه للمحدثين، وإن اختتم الفصل بقوله: "وهذه كلها أقوال صادرة عن الهوى، ومقصورة على محض الدعوى، من غير دليل يعضدها، ولا حجة تنصرها، والطريق الذي يؤدي إلى المقصود من معرفة المختار في الألفاظ والمعاني هو ما ذكرناه ونبهنا عليه..."(٣).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٢٧-٣٢٨.

(٢) صدرت الطبعة الأولى من كتاب محمد الكتاني، الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، عن دار الثقافة بالدار البيضاء/ المغرب، عام ١٩٨٢م.

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلام:

أفرد ابن سنان في أوائل كتابة الحديث على الكلام في فصل مستقل بدأه بقوله: "الكلام اسم عام يقع على القليل والكثير، وذكر السيرافي أنه مصدر، والصحيح أنه اسم للمصدر، والمصدر: التكليم... ولعل أبا سعيد تسمح في إيراد ذلك وقاله مجازاً. فأمّا الكلم فإنه اسم يدل على الجنس... والكلمات جمع كلمة، وقد حكي كلمة وجمعها كلم.... والكلام عندنا: ما انتظم من هذه الحروف التي ذكرناها أو غيرها، على ما بيّناه من أننا لا نذكر إلا حروف اللغة العربية. وحدّه: ما انتظم من حرفين فصاعداً من الحروف المعقولة، إذا وقع ممن تصحّ عنه أو من قبيله الإفادة... والشروط التي ذكرناها فيه متى تكاملت صحّ الوصف بأنه كلام، ومتى اختلّ بعضها لم يوصف بذلك"(١).

ويمضي ابن سنان في شرح هذا الحد، وهل يشترط في حد الكلام كونه مفيداً، ومتى يقال تكلم لمن نطق، وينقل رأي أبي طالب العبدي النحوي في الكلام نقلاً عن سيبوية. ويدخل في حجج منطقية يحاجج بها أبا طالب، ثم ينقل آراء أخرى للجبائي والمجبّرة حتى ليكاد يكون الفصل الذي عقده أقرب إلى الحجج المنطقية إلى أن يؤدي به الحديث إلى القول: "والكلام على ضربين: مهمل ومستعمل، فالمهمل هو الذي لم يوضع في اللغة التي قيل له مهمل فيها لشيء من المعاني والفوائد. والمستعمل هو: الموضوع لفائدة أو معنى، وينقسم (إلى) قسمين: أحدهما ما له معنى صحيح وإن كان لا يفيد فيما سمي به، كنحو الألقاب مثل قولنا: زيد وعمرو... والقسم الثاني هو المفيد، وهو على ثلاثة أضرب، أحدها: أن يبيّن نوعاً من نوع كقولنا: كون ولون، وثانيهما: أن يبيّن جنساً من جنس كقولنا جوهر وسواد. وثالثها: أن يبيّن عيناً من عين، كقولنا: عالم وقادر. والمفيد من الكلام ينقسم (إلى) قسمين: حقيقة ومجاز، فاللفظ الموصوف بأنه حقيقة هو: ما أريد به ما وضع لإفادته. والمجاز: هو اللفظ الذي أريد به ما لم يوضع لإفادته، والكلام المفيد يرجع كلّه إلى

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٥-٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنى الخبر... أمّا الجحود والتشبيه والقسم والتمني والتعجب فالأمر في كونها أخباراً في المعنى ظاهر... وإذا كنا قد بيّنا حد الكلام وحقيقته، فينبغي ان نذكر حقيقة المتكلّم... ولما كنا قد ذكرنا طرقاً من القول في حقيقة الكلام والمتكلّم، فيحتاج إلى نبذ من الكلام في الحكاية والمحكي..."(١).

وكما بحث في الكلام والمتكلّم، في فصل أفرده، فإنه تحدث في الكلمة خلال تناوله الشروط الواجب أن تكون في اللفظة المفردة، وأبان أنّ تأليف الكلام له شروط تتحقق بمقتضاها للكلام صفة الفصيح المختار(٢)، وأن في كلام العرب ما هو متلائم في الطبقة العليا وفي الطبقة الوسطى(٣)، وقد أولى تأليف الكلام عناية أكبر من عنايته باللفظة المفردة من غير تأليف. ومثل الكلام الذي يدل بعضه على بعض ويأخذ بعضه برقاب بعض(٤) وألمح إلى أن في بعض الكلام فضول ينبغي أن تحذف(٥)، وتحدث عن عيوب تؤدي إلى نقص في الكلام(٦)، وأن في الكلام ألفاظاً غير مقصودة في انفسها، وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام(٧)، ونبه إلى تأمّل الكلام المؤلف إن كان المعنى فيه ناقصاً غير مستوفي فذلك الاخلال وإن كان المعنى تامّاً فهو متناسب أو فيه مساواة وإن زاد المعنى على اللفظ فهذا إيجاز في الكلام وإلاّ ففيه حشو أو تطويل(٨). ثم انتقل إلى القول: "ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام واضحاً جلياً لا يحتاج

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٤٠-٤٣.

(٢) نفسه: ١٠٧-١١٠.

(٣) نفسه: ١١١.

(٤) نفسه: ١٨٧.

(٥) نفسه: ٢٤١.

(٦) نفسه: ٢٤٤.

(٧) نفسه: ٢٥١.

(٨) نفسه: ٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى فكر في استخراجه وتأمل لفهمه، وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوماً أو منثوراً"(١).

ثم انتقل للأسباب التي لأجلها يغمض الكلام على السامع(٢). ويبدو أن الكلام وما يتعلق به قد شغل حيزاً كبيراً في كتاب ابن سنان.

كمال المعنى:

ينظر: المعنى

الكناية:

من وضع الألفاظ في موضعها الملائم عند ابن سنان: "حسن الكناية عما يجب أن يكنّى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح. وذلك أصل من أصول الفصاحة وشرط من شروط البلاغة... ومما يستحسن من الكنايات قول امرىء القيس: [الطويل]

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ورضت فذلت صعبة أي إذلال(٣)

لأنه كنى عن المباضعة بأحسن ما يكون من العبارة..."(٤) وأورد أمثلة أخرى، واعترض على بعض المفسرين الذي ذهب "إلى أن قوله تعالى: (كانا يأكلان الطعام)٧٥/المائدة. كناية عن الحدث، وليس الأمر على ما قال، بل معنى الكلام على ظاهره، لأنه كما لا يجوز أن يكون المعبود محدثاً، كذلك لا يجوز أن يكون طاعماً، وهذا شيء ذكره أبو عثمان الجاحظ، وهو صحيح"(٥).

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٥٩.

(٢) نفسه: ٢٥٩.

(٣) امرؤ القيس، ديوانه: ٣٢.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٩٢.

(٥) نفسه: ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومضى بنا القول في "الإرداف والتتبيع" الذي يؤتى فيه بلفظ هو ردف اللفظ المتبوع، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع، وهذا مما له علقة بالكناية.

لزوم ما لا يلزم:

تناوله ابن سنان في "القوافي" فقال فيه: "وقد التزم بعض الشعراء في القوافي إعادة ما لا يلزمه طلباً للزيادة في التناسب، والإغراق في التماثل... وكان شيخنا يذهب إلى أن قصيدة كثيّر التي أوّلها: [الطويل]

خليليّ هذا ربع عزّه فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّت(١)

قد لزم اللام في جميعها، فلما سألناه عن البيت الذي يروي فيها، وهو:

اصاب الرّدى من كان يهوى لك الردى وجنّ اللواتي قلن: عزّةُ جنّتِ

قال: هذا البيت ليس من القصيدة...

وكان علي بن العباس الرومي يلتزم هذا كثيراً، وهو موجود في شعره.

ونظم أبو العلاء أحمد بن سليمان شعره المعروف بلزوم ما لا يلزم على هذه الطريقة، وكذلك أكثر كلامه المنثور سلك فيه هذا المنهج.

وليس يُغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفن لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه شيء من عيوب القوافي، لأنه إنما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير إلجاء ولا إكراه..."(٢). وقد يسمى هذا الفن: الاعنات لما فيه من التزام أو تضييق أو تشديد(٣).

اللغة:

"اللغة عبارة عمّا يتواضع القوم عليه من الكلام"(٤) بهذا بدأ ابن سنان (فصل في اللغة) عقده في أوائل كتابه، وأضاف: "أو يكون توقيفاً"، ثم لم يلبث أن قال:

---

(١) كثير عزة، ديوانه (عباس): ٩٥.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢١١-٢١٢.

(٣) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم: ٢/٢١٤.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"والصحيح أن أصل اللغات مواضعه وليس بتوقيف... وقد ظنّ قوم أن المواضعة بيننا تحتاج إلى إذن سمعي، ولا حاجة لهذا القول، إذ الدواعي إلى التخاطب وتعريف بعضنا مراد بعض قوية، والانتفاع بذلك ظاهر..."(١). ثم يسرد ميزان اللغة العربية على "سائر اللغات وفضلها، كالسعة...، ولها فضل لأن الناظم أو الناثر إذا حظر عليه موضع إيراد لفظه، وكانت اللغة التي ينسج منها ذات ألفاظ كثيرة، تقع موقع تلك اللفظة في المعنى، أخذ ما يليق بالموضع من غير عنت ولا مشقة"(٢) ويؤدي به الحديث على ما في العربية من ميزات وفضل إلى الإفاضة بما لأهلها العرب من فضائل! ثم يقول: "ونعود إلى الكلام في اللغة، قالوا: مما اختصت به لغة العرب من الحروف وليس هو في غيرها حرف الظاء وقال آخرون: حرف الظاء والضاد..."(٣) ويمضي في شرح ما للعربية من سمات لا نظير لها في لغات أخرى.

اللف والنشر:

ويدعى الطيّ والنشر، غير أنه عند معظم البلاغيين يدعى اللفّ والنشر(٤)، وله تسميات أخرى. منها ما سمّاه ابن سنان "التناسب"، وعدّ "من التناسب حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب"(٥). وقد تقدمت الإشارة إليه.

اللفظ:

شغل كلام ابن سنان في اللفظ واللفظة والألفاظ حيّزاً واسعاً من كتابه، وقد اعتبر الفصاحة نعتاً للألفاظ إذا وجدت تلك الألفاظ على شروط عدة، مضت بنا في بحث الفصاحة، وكذلك عدّ من شروط الفصاحة المناسبة بين اللفظين، وقد تناولناها

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٤٧.

(٢) نفسه: ٤٨-٥٠.

(٣) نفسه: ٥٦.

(٤) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٧٣/٣.

(٥) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيما مضى، من طريق الصيغة ومن طريق المعنى(١)، واعتبر أحد الأصول في حسن تأليف الألفاظ بعضها مع بعض: وضع الألفاظ موضعها حقيقة او مجازاً(٢)، وقد تناولناه فيما مضى. وكذلك تكلّم في دلالة الألفاظ على المعاني(٣) فتناول المساواة والتذييل والاشارة وقد سبق القول فيها. وكرّر القول "أن الكلام غير مقصود في نفسه، وانما احتيج إليه ليعبّر الناس عن أغراضهم، ويفهموا المعاني التي في نفوسهم، فإذا كانت الألفاظ غير دالّة على المعاني ولا موضحة لها فقد رفض الغرض في أصل الكلام"(٤) ورأى أن الأسباب التي لأجلها يغمض الكلام على المسامع ستة، اثنان منها في اللفظ بانفراده، واثنان في تأليف الألفاظ بعضها مع بعض واثنان في المعنى(٥).

المبالغة في المعنى والغلوّ:

ينظر: المعنى

المجاز:

في ردّ ابن سنان على القاضي الجرجاني فيما ذهب إليه في الاستعارة(٦)، ورد قول ابن سنان: "لأن مقابلة اللفظ باللفظ على ما أراده مجاز، والمجاز لا يقاس عليه، وليس يحسن بنا أن نقابل اللفظ باللفظ في كل موضع من الكلام قياساً على

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٩٩-٢٣٢.

(٢) نفسه: ١٢٤-٢٣٢.

(٣) نفسه: ٢٤٣.

(٤) نفسه: ٢٥٩ وكذلك ٢٥١.

(٥) نفسه: ٢٥٩.

(٦) نفسه: ١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقابلة اللفظ باللفظ في قوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ٤٠/الشورى..."[١] وكرر هذا القول في مكان آخر[٢].

ومضى بنا في (القافية) كلام ابن سنان في عيوب القوافي، ومنه ما سماه المبرّد في كتابه الموضوع في القوافي المجاز. ولا حاجة إلى تكرار القول فيه هنا.

المجانس:

ينظر: التناسب.

المخالف:

ينظر: التضادّ.

المساواة:

مضى بنا الكلام في شروط الفصاحة والبلاغة قول ابن سنان: "وقد قسموا دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام، أحدها: المساواة.."[٣]. وفصّل ابن سنان القول في هذه المسألة مرة اخرى قائلاً: "فأمّا المساواة بين اللفظ والمعنى فكما وصف بعض الأدباء رجلاً فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه. أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر، وحدّ المساواة المحمودة هو: إيضاح المعنى باللفظ الذي لا يزيد عنه ولا ينقص، وقد احترزت بقولي: إيضاح مما احترزت منه في حدّ الايجاز، لما أذهب إليه من قبح العبارة عن المعنى باللفظ الذي لا يوضحه، وفرّقت بينْ المساواة والتذييل بقولي: لا يزيد عنه، لأن التذييل لفظ يزيد على المعنى، وفرّقت بين المساواة والايجاز والإخلال بقولي: ولا ينقص، لأن الايجاز -على ما ذكرناه- إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ، والإخلال هو نقص المعنى باختصار اللفظ،

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٥١.

(٢) نفسه: ١٦٤.

(٣) نفسه: ٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد فهم بهذا القول: الايجاز والإخلال والمساواة والتذييل، ولكل من ذلك أمثلـة. فأما أمثلة الايجاز والاخلال فقد ذكرناها، وأمّا أمثلة المساواة فكثيرة، ومنها قول زهير:

[الطويل]

ومهما يكن عند امرئ من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم(١)

... وقول طرفة بن العبد: [الطويل]

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد(٢)

... وقول أبي الطيب: [البسيط]

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم واتيناه على الهرم(٣)

... وأمثال هذا أكثر من أن تحصى"(٤).

المستحيل والممتنع:

ينظر: الاستحالة والتناقض.

المطابق:

ينظر: التضادّ.

المطابقة:

ينظر: التضاد والتطبيق والتكافؤ.

---

(١) زهير بن أبي سلمى، ديوانه (ثعلب): ٣٢.

(٢) طرفة، ديوانه (الجندي): ٦٦.

(٣) المتنبي، ديوانه (العكبري): ١٦٣/٤.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٥٥-٢٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعاظلة:

يرى ابن سنان ان "من وضع الألفاظ موضعها اللائق بها ألا يكون الكلام شديد المداخلة يركب بعضها بعضاً، وهذا هو المعاظلة التي وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه زهير بن أبي سلمى بتجنبها فقال: كان لا يعاظل بين الكلام. لأن المعاظلة: المداخلة. ومن ذلك يقال: تعاظلت الكلاب، وغيرها مما يتعلق بعضه ببعض عند السفاد. وقد غلط في تمثيل هذا أبو الفرَج قدامة بن جعفر الكاتب، وبيّن خطأه فيه ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي رحمه الله. لأن أبا الفرج قال: إن المداخلة التي تكره ووصف عمر رضي الله عنه زهيراً بتجنبها أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه. قال: وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة، مثل قول أوس بن حجر: [المنسرح]

وذات هدْم عارٍ نواشرها تصمت بالماء تولبا جَدِعا(١)

فسمى الصبي تولبا، والتولب ولد الحمار. ومثل قول الآخر: [الطويل]

وما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يُمريه بساق وحافر(٢)

فسمى رجل الانسان حافرا، وهذا ليس من المعاظلة التي هي ركوب بعض الكلام بعضاً، ومداخلة بعضه في بعض. والصحيح من تمثيل ذلك ما ذكره ابو القاسم الآمدي، وهو قول أبي تمام: [البسيط]

---

(١) أوس بن حجر، ديوانه (نجم): ٥٥، والبيت من قصيدة مطلعها: أيتها النفس أجملي جزعا... يرثي بها فضالة بن كَلَدة، وقبله: ليبكك الشرب والمدامة والـ ـفتيان طرّاً وطامع طمعا.

والهدم: الكساء أو الثوب الممزق البالي، وذات الهدم المرأة التي ترتديه يعني أنها امرأة ضعيفة. نواشرها: عروق وعصب في باطن ذراعها. تولباً: يريد ولداً صغيراً وهو اسم يطلق على ولد الحمار. الجدع: الصغير السيء الغذاء الضعيف، فهي تحفوه.

(٢) البيت لجبيها الأسدي كما في لسان العرب (حفر)، وفي حلية المحاضرة للحاتمي نسب للمزرد بن ضرار عن رواية للاصمعي ولكنه ليس في ديوان المزرد (حققه خليل العطية).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خان الصفاء أخ خان الزمان أخاً عنه فلم يتخوّن جسمه الكمد(١)

لأن ألفاظ هذا البيت يتشبث بعضها ببعض، وتدخل الكلمة من أجل كلمة أخرى تجانسها وتشبهها، مثل: خان وخان ويتخوّن وأخ وأخاً. فهذا هو حقيقة المعاظلة..."(٢). وأورد ابن سنان أمثلة أخرى، وعرض قول الآمدي في المعاظلة والمحمود من الكلام وصلتها به، وأيد أبا القاسم قائلاً: "وهذا الذي ذكره أبو القاسم رحمه الله صحيح، ويجب ان يقتدى به في هذا الباب..."(٣).

المعنى:

ينظر: الإلغاز. وفيه: كمال المعنى، والمبالغة في المعنى.

المماثل:

ينظر: المجانس المماثل في: التجنيس.

الممتنع:

ينظر: الاستحالة والتناقض.

مؤلف الكلام:

أورده ابن سنان في الكلام وتأليفه من المنظوم والمنثور، وختم كتابه بفصل "فيما يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفته"(٤) يمكن إجمال ما جاء فيه أن مؤلف الكلام يحتاج إلى معرفة اللغة قدر ما يعرف كل شيء باسمه الذي وضعته له، ويختار الأفصح، ويعرف ما يتصرف الاسم عليه من جمع وتثنية وتذكير وتأنيث وتصغير

---

(١) أبو تمام، ديوانه (عزّام): ٧٤/٤.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٨٣-١٨٥.

(٣) نفسه: ١٨٧.

(٤) نفسه: ٣٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترخيم، ليورده صحيحاً غير فاسد. وإلى علم النحو لمعرفة إعراب ما يقع له في التأليف.. والتصريف، وإلى العروض والقوافي والمشهور من أخبار العرب والمخاطبات والمكاتبات...

ويوصي ابن سنان بترك التكلف والاسترسال مع الطبع وفرط التحرز ومشاورة أهل المعرفة وبغض الإكثار والإطالة... فإن كلام الانسان ترجمان عقله ومعيار فهمه وعنوان حسه...

النثر:

وضعه ابن سنان في الكلام حين قسمه قسمين: المنظوم والمنثور، وأكثر ما يأتي حديثه عنهما مقترنين، وابن سنان أورد فصلاً في كتابه "في ذكر الفرق بين المنظوم والمنثور" بدأه بالقول: "أمّا حدّ النثر فهو حدّ الكلام الذي ذكرناه في هذا الكتاب"(١) ثم قال: "....وأمّا الذي نقوله من تفضيل النثر على النظم فهو أن النثر يُعلم فيه أمور لا تعلم في النظم، كالمعرفة بالمخاطبات، وبيّنة الكتب والعهود والتقليدات، وأمور تقع بين الرؤساء والملوك يعرف بها الكاتب أمورهم، ويطلّع على خفي أسرارهم. وإن الحاجة إلى صناعة الكتابة ماسّه، والانتفاع بها في الأغراض ظاهر... والكاتب ينال بالكتابة الوزارة فما دونها من رتب الرياسة... وأكثر النثر شرح أمور متيقنة وأحوال مشاهدة وما كثر فيه الجد والتحقيق أفضل مما كثر فيه المحال والتقريب. وقد يتسع الكلام فيما لا يخرج عن هذا الفن، وهذه الجملة كافية في مثل هذا الموضع"(٢).

الوحشي:

تنظر: الغرابة والغموض والوضوح.

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٣٧.

(٢) نفسه: ٣٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوزن:

قال ابن سنان: "والوزن هو التاليف الذي يشهد الذوق بصحته أو العروض، امّا الذوق فلأمر يرجع إلى الحس، وأمّا العروض فلأنه قد حصر فيه جميع ما عملت العرب عليه من الأوزان.

.... والذوق مقدم على العروض، فكل ما صح فيه لم يلتفت إلى العروض في جوازه، ولكن قد يفسد فيه بعض ما يصحّ بالعروض على ما ذكرناه، كالزحافات المروية في أشعار العرب المذكورة في كتب العروض، وهو الأصل الذي عملت العرب الأول عليه، وإنما العروض استقراء للأوزان حدث بعد ذلك بزمان طويل.

وأمّا التفضيل بين النظم والنثر فالذي يصلح أن يقوله من يفضّل النظم أن الوزن يحسّن الشعر، ويحصل للكلام به من الرونق ما لا يكون للكلام المنثور، ويحدث عليه من الطرب في إمكان التلحين والغناء به ما لا يكون للكلام المنثور ولهذه العلة ساغ حفظه أكثر من حفظ المنثور"(١).

الوصف:

أورده ابن سنان في الأوصاف التي تطلب من المعاني الموجودة في الألفاظ التي تدل عليها، اي الألفاظ المؤلفة المنظومة على طريقة الشعر والرسائل وما يجرى مجراهما، فالصحة في المعاني مطلوبة(٢)، "ومن الصحة صحة الأوصاف في الأغراض، وهو أن يُمدح الانسان بما يليق به ولا ينفر عنه... وكذلك في كل غرض من الأغراض الشعرية، من هجاء وفخر وعتاب ووصف وغير ذلك، حتى يكون كل شيء موضوعاً في المكان الذي يليق به... لكن أصول الأوصاف والمعاني مما لا تتبدل ولا تتغيّر، فليكن الانتمام بها واقعاً، والاجتهاد في جريها على

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٣٩.

(٢) نفسه: ٣٠١-٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قانون السداد والصواب حاصلاً..." ويورد ابن سنان أمثلة كثيرة على ما عيب فيه بعض الشعراء بما وصفوه في أشعارهم فيقول: .... "وعيب جميل في قوله:[طويل]

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغرّ من أنيابها بالقوادح(١)

وقيل: ليس هذا كلام صادق المحبة، بل هذا دعاء مبغض قد تجاوز قدر السلوة.... وعيب على أبي نواس قوله في الفضل بن يحيى: [الطويل]

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هواها لعل الفضل يجمع بيننا(٢)

وقال الفضل: ما زال على أن جعلني قوّاداً ..... وعيب على كثير قوله: [الطويل]

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل(٣)

وقيل: لمَ أراد أن ينسى ذكرها حتى تتمثل له؟!.(٤)

الوضوح والغموض:

ينظر: الغموض والوضوح.

---

(١) جميل بثينة، ديوانه (نصار): ٥٣. والقوادح: جمع قادح، وهو السواد الذي يظهر في الأسنان.

(٢) أبو نواس، ديوانه (الغزالي): ٤٧٤.

(٣) كثير عزة، ديوانه (عباس): ١٠٨.

(٤) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٠٤-٣٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

المصطلح البلاغي والنقدي

عند عبدالقاهر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الابتذال:

الابتذال في الألفاظ يعني استعمال الساقط العاميّ لفظاً أو معنى، وقد أشار عبدالقاهر إلى هذه المسألة، وذكر أن كثرة الاستعمال يجعل اللفظ أو المعنى مبتذلاً، قال: "لا يمتنع أن يسبق الأول إلى تشبيه لطيف بحسن تأمله وحدّة خاطره، ثم يشيع ويتسع، ويذكر ويشهر حتى يخرج إلى حد المبتذل، وإلى المشترك في أصله، وحتى يجري، مع دقة تفصيل فيه، مجرى المجمل الذي تقوله الوليدة الصغيرة والعجوز الورْهاء. فإنك تعلم أن قولنا: (لا يشقّ غباره) الآن في الابتذال كقولنا: (لا يُلْحق ولا يُدرك) و: (هو كالبرق) ونحو ذلك، إلا أنا إذا رجعنا إلى أنفسنا علمنا أنه لم يكن كذلك من أصله، وأن هذا الابتذال أتاه بعد أن قضى زماناً بطراءة الشباب وجدة الفتاء وبعزة المنيع"(١).

الاحتذاء:

"واعلم أن الاحتذاء، عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه، أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبا – والاسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه – فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره، فيشبّه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها؛ فيقال: قد احتذى على مثاله، وذلك مثل أن الفرزدق قال: [الطويل]

أترجو رُبيْعٌ أن تجيء صغارُها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها(٢)

احتذاه البعيثُ فقال: [الطويل]

أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير، وقد أعيا كليباً قديمها(٣)

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٧٤.

(٢) الفرزدق، ديوانه (الصاوي): ٣٣٨/١.

(٣) أبو عبيدة، النقائض: ١٠٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

.... وهذا الذي كتبت من جلي الأخذ في الحذو، ومما هو في حدّ الخفيّ قول البحتري: [الطويل]

ولن ينقل الحساد مجدك بعدما تمكّن رضوى واطمأن متالِعُ(١)

وقول أبي تمام: [الكامل]

ولقد جَهَدتم أن تزيلوا عزّة فإذا أبانٌ قد رسا ويَلَمْلَمُ(٢)

قد احتذى كل واحد منهما على قول الفرزدق: [الكامل]

فادفع بكفّك إن أردت بناءنا ثهلانَ ذا الهضباتِ هل يتحلحل(٣)

وجملة الأمر أنهم لا يجعلون الشاعر محتذياً إلا ما يجعلونه به آخذاً ومسترقاً...(٤).

... فأمّا أن يُجعل إنشاد الشعر وقراءته احتذاءً فمما لا يعلمونه، كيف وإذا عَمَد عامد إلى بيت شعر فوضع مكان كل لفظ لفظاً في معناه، كمثل أن يقول في قوله: [البسيط]

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي(٥)

ذرِ المآثر لا تذهب لمطلبها واجلس فإنك أنت الآكل اللابس

لم يجعلوا ذلك احتذاءً، ولم يؤهلوا صاحبه لأن يسموه محتذياً، ولكن يسمّون هذا الصنيع سلخاً، ويرذلونه ويسخفون المتعاطي له، ... والعجب من أنهم لم ينظروا

---

(١) البحتري، ديوانه: ١٣٠٥/٢.

(٢) أبو تمام، ديوانه: ٢٠٠/٣. من قصيدة في مدح مالك بن طوق التغلبي، وأبان ويلملم: جبلان.

(٣) الفرزدق، ديوانه (الصاوي): ٧١٧/٢.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٩٦-٢٩٧.

(٥) الحطيئة، ديوانه: ٢٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيعلموا أنه لو كان منشد الشعر محتذياً لكان يكون قائل شعر، كما أن الذي يحذوا النعل بالنعل يكون قاطع نعل. وهذا تقرير يصلح لأن يحفظ للمناظرة. ينبغي أن يقال لمن يزعم أن المنشد إذا أنشد شعر امرئ القيس كان قد أتى بمثله على سبيل الاحتذاء: أخبرنا عنك لماذا زعمت أن المنشد قد أتى بمثل ما قاله امرؤ القيس، ألأنه نطق بأنفس الألفاظ التي نطق بها؟ أم لأنه راعى النسق الذي راعاه في النطق بها؟ فإن قلت: إن ذلك لأنه نطق بأنفس الألفاظ التي نطق بها أحلت، لأنه إنما يصح أن يقال في الثاني أنه أتى بمثل ما أتى به الأول إذا كان الأول قد سبق إلى شيء فأحدثه ابتداء، وذلك في الألفاظ محال، إذ ليس يمكن أن يقال إنه لم ينطق بهذه الألفاظ التي هي قوله: [الطويل]

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .....

قبل امرئ القيس أحد..."(١).

وثمة فرق يراه بين الاحتذاء والسلخ، فالاحتذاء، "فالاحتذاء "مجاراة شاعر شاعراً آخر في أسلوبه، بينما السلخ هو أن يعمد عامد إلى بيت شعر فيضع مكان كل لفظة منه لفظة في معناها، ولا يعرض لنظمه وتأليفه".(٢)

الأخذ:

ينظر: السرقة، الاحتذاء.

الاستئناف:

ينظر: الفصل والوصل.

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٩٨. وامرؤ القيس، ديوانه: ٨، وعجز البيت:

..... بسقط اللوى بين الدخول فحومل.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٩٦-٢٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستخبار أو الاستفهام:

أدار البلاغيون مصطلح الاستفهام في مباحثهم ومؤلفاتهم، شأنهم شأن النحاة في حديثهم عن أدوات الاستفهام، في حين أن عبدالقاهر قال: "الاستفهام استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك"(١). فالسامع يُخبر بشيء قد لا يفهمه، فإن استخبر ثانية فهو مستفهم.

الاستعارة:

ينظر: المجاز.

الاستفهام:

ينظر: الاستخبار.

الأسلوب:

ينظر: النمط.

أسلوب الحكيم:

ينظر: المغالطة.

الإشارة:

يقول عبدالقاهر: "وكما أن الصفة إذا لم تأتك مصرحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولاً عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرونق، ما لا يقل قليله ولا يجهل موضع الفضيلة فيه"(١). وعبارة عبدالقاهر هنا توحي بأن كل فن من هذه الفنون قائم بنفسه، ومن القدماء من سمّي الاشارة: الإيماء، ومنهم من فرّق بينها وبين الايجاز، ومنهم من عدّها منه.

الإعجاز:

ما أن يسمع أحدنا كلمة "إعجاز" حتى يستحضر في ذهنه مسألة "إعجاز القرآن الكريم"، وهذا يعني لصوق الكلمة بكتاب العربية الأكبر، بعيداً عن أولئك الذين امتلكوا ناصية البيان فوقع كلامهم كالسحر في نفوس سامعية، فكم من خطيب أو شاعر أدّى الفكرة بطريقة عجز غيره عن الأتيان بها؟! إلا أن هذا لا ينتمي إلى القول بالاعجاز، لأن الكلمة قد لازمت القرآن الكريم.

ترك لنا عبدالقاهر رسالة في إعجاز القرآن الكريم عنوانها "الرسالة الشافية"، وكتابا عنوانه: "دلائل الاعجاز". وواضح "أن هدفه هو إثبات عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم"(٢)، وفي دلائل الاعجاز "استدل على ما قرره في (الشافية) من أن القرآن معجز في نفسه وأن إعجازه في نظمه وتأليفه..."(٣). وفي "جهود الامام عبدالقاهر الدليل الحي النابض على أثر قضية الاعجاز القرآني في تدوين البلاغة العربية وبلوغها مرحلة النضج والثراء"(٤).

ومجمل رأي عبدالقاهر في الاعجاز هو أن كتاب الله تعالى معجز بنظمه، فهو يقول: "ومعلوم أن المعوّل في دليل الاعجاز على النظم، ومعلوم كذلك أن ليس

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٣٧.

(٢) عبدالعزيز عبدالمعطي عرفة، قضية الاعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية: ٥٦٥.

(٣) نفسه: ٥٧٠-٥٧١.

(٤) نفسه: ٦٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدليل في المجيء بنظم لم يوجد من قبل فقط، بل في ذلك مضموماً إلى أن يبين ذلك النظم من سائر ما عرف ويعرف من ضروب النظم..."(١).

وهذا يعني أن الاعجاز يعود إلى تلاؤم المعاني في الكلمات المفردة تلاؤماً يؤدي إلى الغرض، فالنظم -لا اللفظ ولا المعنى- هو مجال التفاضل، ذلك أن الألفاظ فيما يراه "لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وإنما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"(٢). وفصل القول في: "بيان عجز العرب حين تحدوا إلى معارضة القرآن، وإذعانهم وعلمهم أن الذي سمعوه فائت للقوى البشرية ومتجاوز للّذي يتسع له ذرع المخلوقين"(٣). فذهب إلى أن العرب "حين تُلي عليهم القرآن وتُحدّوا إليه، وملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله، ومن التقريع بالعجز عنه، وبتّ الحكمُ بأنهم لا يستطيعونه ولا يقدرون عليه"(٤).

الإغماض:

ينظر: الغموض.

الايجاز:

يرى عبدالقاهر أنه "لا معنى للايجاز إلا أن يُدلّ بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى"(٥)، وفسّر المراد بكثرة المعنى مع قلة اللفظ قائلا: "إن المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظ

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، الرسالة الشافية/ضمن ثلاث رسائل: ١٣٣.

(٢) نفسه، دلائل الاعجاز: ٣٨.

(٣) نفسه، الرسالة الشافية/ ضمن ثلاث رسائل: ١١٧.

(٤) نفسه: ١١٨.

(٥) نفسه، دلائل الاعجاز: ٤٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثير"(١). وعدّ الايجاز قطباً من الأقطاب التي تدور عليها البلاغة والأعضاد التي تستند الفصاحة إليها(٢). وأقطاب البلاغة والفصاحة عنده هي "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل" و"المجاز" و"الايجاز"(٣). والايجاز عنده من أركان الاعجاز، "إذ لم يتعاط أحد من الناس القول في الاعجاز إلا ذكره وجعله من العمد والأركان فيما يوجب الفضل والمزية، وذلك أنك تراهم يجعلون الايجاز عنوان ما يذكرون، وأول ما يوردون..."(٤). ومثل للايجاز قائلا: "ومن الايجاز قوله تعالى: (وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذْ إليهم على سواء) الأنفال/٥٨. وقوله تعالى: (ولا ينبئُك مثل خبير) فاطر/١٤. وقوله: (فشرّدْ بهم مَنْ خلْفهم) الأنفال/٥٧. وتراهم على لسان واحد في أن "المجاز" و"الايجاز" من الأركان في أمر الإعجاز"(٥). وبمثل هذا رأي عبدالقاهر أن إعجاز النظم القرآني بإيجاز آياته، مبيّنا تحقّق حصول الزيادة في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ.

الإيماء:

ينظر: الاشارة.

البديع:

أراد عبدالقاهر به: فنون البلاغة المختلفة، فذكر عن الاستعارة مثلاً أثناء بحثه فيها قوله "وهكذا تراهم يعدونها في أقسام البديع حيث يذكر التجنيس والتطبيق والتوشيح ورد العجز على الصدر وغير ذلك"(٦). وفي موضع آخر نراه يقول: "وأمّا

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٤٦٤.

(٢) نفسه: ٥٢٠.

(٣) نفسه: ٤٦٠.

(٤) نفسه: ٥٢١.

(٥) نفسه: ٥٢١.

(٦) نفسه، أسرار البلاغة: ٣٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع..."(١). بل إنه قال: "أمّا الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل"(٢). وفي معرض رده على ما أوردُه القاضي الجرجاني عن الاستعارة يقول: "قال القاضي أبو الحسن في أثناء فصل يذكرها فيه: (وملاك الاستعارة تقريب الشبه ومناسبة المستعار للمستعار منه)(٣)، وهكذا تراهم يعدونها في أقسام البديع حيث يذكر التجنيس والتطبيق والتوشيح(٤)، ورد العجز على الصدر وغير ذلك، من غير أن يشترطوا شرطاً ويعقبوا ذكرها بتقييد فيقولوا: "ومن البديع الاستعارة التي شأنها كذا"، فلولا أنها عندهم لنقل الاسم بشرط التشبيه على المبالغة إمّا قطعاً وإمّا قريباً من المقطوع عليه، لما استجازوا ذكرها مطلقة غير مقيدة، يبين ذلك أنها كانت تساوق المجاز وتجري مجراه حتى تصلح لكل ما يصلح له. فذكرها في أقسام البديع يقتضي أن كل موصوف بأنه مجاز فهو بديع عندهم حتى يكون إجراء اليد على النعمة بديعاً وتسمية البعير حفضاً والناقة ناباً والربيئة عيناً والشاة عقيقة بديعاً كله، وذلك بيّن الفساد"(٥).

ويعترض عبدالقاهر على إطلاق "البديع" على كل استعارة من غير تقييد ذلك بالنقل للتشبيه على المبالغة قائلاً: "وهذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع، وهي الاستعارة والطباق والتجنيس، فهذا نصّ في موضع القوانين، على أن الاستعارة من

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٠.

(٢) نفسه: ٢٠.

(٣) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح أبو الفضل:٤١. ويبدو أن عبدالقاهر بما أورده هنا قد وقف على كتاب الوساطة.

(٤) التوشيح: أصل الموشّح من الوشاح، وهو عقد من اللؤلؤ والجوهر منظومين مخالف بينهما ومعطوف أحدهما على الآخر. وهو عند معظم البلاغيين: الارصاد والتسهيم، أي أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية: ٩٤/١.

(٥) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٦٨. الحفض: الدابة تحمل متاع البيت. الربيئة والربيء: الطليعة يرقب العدو من مكان عال لئلا يدهم قومه. العقيقة: شعر الجنين من الناس والبهائم ينبت في رحم أمه، وتطلق على الذبيحة تذبح عن المولود يوم أسبوعه عند حلق شعره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقسام البديع، ولن يكون النقل بديعاً حتى يكون من أجل التشبيه على المبالغة كما بينت لك، وإذا كان كذلك ثم جعل الاستعارة على الاطلاق بديعاً فقد أعلمك أنها اسم للضرب المخصوص من النقل دون كل نقل، فاعرفه"(١).

لقد أتى عبدالقاهر الجرجاني على أنواع من البديع دون أن يحصرها جميعها أو يستقصي ما أورده سابقوه منها، وكان يرى أن البديع يساعد على فضيلة الكلام حين لا يأتي متكلفاً خالياً من الإفادة لا يقصد به غير الزينة، فإذا أتى عفو الخاطر، أو كان المعنى هو الذي يطلبه أو يستدعيه، فإن في هذا المقام أساس للتفاضل وميدان للتسابق. فلم يتناول من ألوان البديع غير ما يثبت فيه أركان نظريته في النظم دون اعتبار أي عامل آخر يقع خارج إطار دائرة النظم، فلا يكثر من ألوان البديع، ونراه يقول: "وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم في البديع، إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم، ويقول ليبين. ويخيل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء، وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء، وربما طمس -بكثرة ما يتكلفه- على المعنى وأفسده"(٢). ويبدو أن عبدالقاهر الجرجاني لم ينفرد بجعل البديع يشمل علوم البلاغة فقد أشار الدكتور أحمد مطلوب إلى أن "البديع في القرون الستّة الأولى للهجرة كان يدل على فنون البلاغة المختلفة إلى أن أفرده السّكاكي"(٣).

البلاغة:

ورد هذا المصطلح عند عبدالقاهر مرادفاً للفصاحة والبراعة والبيان، فهي عنده بمعنى واحد لأنه "يعبّر بها عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٧١.

(٢) نفسه: ٩.

(٣) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"(١).

والبلاغة عند عبدالقاهر: "وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وأنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد. ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخصّ به، وأكشف عنه وأتمّ له، وأحرى بأن يكسبه نبلاً ويظهر فيه مزية"(٢).

ولعله يرى البلاغة والبيان أشمل من الفصاحة إذ يقول: "إنْ قصرنا صفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك وجعلناه المراد بها، لزمنا أن نخرج الفصاحة من حيز البلاغة ومن أن تكون نظيرة لها"(٣).

البيان:

عدّ عبدالقاهر الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان شيئاً واحداً، وهو "أن يعبّر بها عن فضل القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"(٤).

وهو يرى "أنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً وأبسق فرعاً، وأحلى جنىً وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً من علم البيان الذي لولاه لم تر لساناً

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٤٣.

(٢) نفسه: ٤٣.

(٣) نفسه: ٥٨-٥٩.

(٤) نفسه: ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"(١).

والبلاغة عند عبدالقاهر: "وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وآنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد. ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخصّ به، وأكشف عنه وأتمّ له، وأحرى بأن يكسبه نبلاً ويظهر فيه مزية"(٢).

ولعله يرى البلاغة والبيان أشمل من الفصاحة إذ يقول: "إنْ قصرنا صفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك وجعلناه المراد بها، لزمنا أن نخرج الفصاحة من حيز البلاغة ومن أن تكون نظيرة لها"(٣).

البيان:

عدّ عبدالقاهر الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان شيئاً واحداً، وهو "أن يعبّر بها عن فضل القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"(٤).

وهو يرى "أنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً وأبسق فرعاً، وأحلى جنىً وأعذب وردا، وأكرم نتاجا وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لساناً

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٤٣.

(٢) نفسه: ٤٣.

(٣) نفسه: ٥٨-٥٩.

(٤) نفسه: ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدرّ وينفث السحر ويقري[١] الشهد ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر، والذي لولا تحفّية بالعلوم وعنايته بها وتصويره إياها، لبقيت كامنة مستورة، ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولاستمرّ السرار بأهلّتها واستولى الخفاء على جملتها، إلى فوائد لا يدركها الاحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء"[٢].

ويبدو أن البيان على عهد عبدالقاهر اسم جامع شامل لكل ما يرتبط ببناء الكلام وتأليفة، سواء منه ما تناول الألفاظ أو المعاني أو غيرها من وجوه تحسين الكلام لفظاً أو معنى.

تتابع الإضافات:

أوضح عبدالقاهر ما قصد إليه في هذا الضرب مستشهداً بما للنظم من دقّة الصنع، فأورد قول الصاحب "إياك والإضافات المداخِلة، فإن ذلك لا يحسن" وعلق عبدالقاهر قائلا: "ولا شبهة في ثقل ذلك في الأكثر، ولكنه إذا سلم من الاستكراه لطف وملح"[٣]. واستشهد بما يكثر الحسن فيه بسبب النظم قول ابن المعتز: [طويل]

وظلت تدير الراح أيدي جآذرٍ عتاقِ دنانيرِ الوجوهِ ملاحِ[٤]

التجريد:

أورده عبدالقاهر عند بحثه الاستعارة، وأخرجه منها فقال: "فإن قلت: فما تقول في نحو قولهم: (لقيت به أسداً) و(رأيت منه ليثاً)؟ فإنه مما لا وجه لتسميته استعارة، ألا تراهم قالوا: (لئن لقيتُ فلاناً ليلقينك منه الأسد) فأتوا به معرفةً على حدّة إذ قالوا: (احذر الأسد)! وقد جاء على هذه الطريقة ما لا يُتصور فيه التشبيه،

---

(١) أي يجمع.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٦-٧، كذلك: ٢٠-٢١.

(٣) نفسه: ٨٢.

(٤) ابن المعتز، ديوانه:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيُظنّ أنه استعارة، وهو قوله عز وجل: (لهم فيها دار الخلد) فصلت/٢٨، والمعنى -والله أعلم- أن النار هي دار الخلد، وأنت تعلم أن لا معنى ههنا لأن يُقال: (إن النار شبهت بدار الخلد)، إذ ليس المعنى على تشبيه النار بشيء يسمى (دار الخلد) كما تقول في زيد إنه (مثل الأسد) ثم تقول: (هو الأسد)، ... وإنما يُتصوّر الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجه على ما يُدّعى أنه مستعار له، والاسم في قولك: (لقيت به أسداً) أو (لقيني منه الأسد)، لا يُتصور جريه على المذكور بوجه، لأنه ليس بخبر عنه، ولا صفةٍ له، ولا حالٍ، وإنما هو بنفسه مفعول (لقيت) وفاعل (لقيني)(١). وهكذا بيّن عبدالقاهر أن الباء ومن: (تجريديتان).

التجنيس:

اشترط عبدالقاهر أن يرتبط التجنيس بالمعنى ارتباطا قوياً بعيداً عن التكلّف، فهو يقول: "... وههنا أقسام قد يتوهم -في بدء الفكرة وقبل إتمام العبرة- أن الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس، إلى ما يناجي فيه العقل النفس، ولها إذا حقق النظر مرجع إلى ذلك، ومنصرف فيما هنالك، منها التجنيس والسجع. أما التجنيس فإنك لا تحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمىً بعيداً، أترالك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله: [الكامل]

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمَذهب أم مُذهب(٢)

واستحسنت تجنيس القائل: [الرجز]

"حتى نجا من خوفه وما نجا"(٣)

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣١٠.

(٢) أبو تمام، ديوانه: ١/١٢٩.

(٣) لم أقف على اسم قائله، والبيت في البيان والتبيين للجاحظ: ١/١٥٠. ونجا الأولى من النجو، وهو: ما يخرج من البطن من غائط. يريد أنه من خوفه أحدث، ثم لم ينج.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول المحدث: [الخفيف]

ناظراه فيما جنى ناظراه أودعاني أمت بما أودعاني(١)

لأمر يرجع إلى اللفظ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني؟. ورأيتك لم يزدك بمَذهب ومُذهب على أن أسمعك حروفاً مكررة، تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها، فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصاً المستوفي منه المتفق في الصورة من حلي الشعر ومذكوراً في أقسام البديع، فقد تبين لك أن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن، ولما وجد فيه معيب مستهجن"(٢). ويقول في موضع آخر: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه... ومن ها هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقُّه بالحُسن وأولاه، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى اجتلابه وتأهُّبٍ لطلبه"(٣). ولم يحفل عبدالقاهر بتتبع أقسام التجنيس ولا فصل القول في تفريعاته، بيد أنه ذكر من أنواعه: "التجنيس المستوفي"(٤)، ويقال له: التام والكامل، والمرفوّ(٥) المركّب، والتجنيس المذيّل(٦)، والناقص(٧) المطرف، وهو ما عرف بـ"التتميم"(٨).

---

(١) أبو الفتح البستي، ديوانه (الخطيب والصقال): ٢٠٤. وقبله:

قلت للقلب: من دهاك أجبني قال لي: بائع الفراني فراني

وبعده: كنت في الحب ذا انبساط ولكن كاشح من بني الزواني زواني

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٨. ودلائل الاعجاز: ٥٢٣.

(٣) نفسه، أسرار البلاغة: ٢٠.

(٤) نفسه: ٨. والمستوفي ما فيه كل كلمة مستوفاة في الأخرى.

(٥) نفسه: ٨. ويعرف بالمذيل أو المتوج أو الزائد أو الناقص بحرف.

(٦) نفسه: ١٩. وهو عند غيره الناقص أو الزائد أو المتوّج.

(٧) نفسه: ١٨.

(٨) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/٢٧-٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبيّن عبدالقاهر مواطن الحسن في مجيء التجنيس غير متكلَّف، ويقول: "ولذلك ذمّ الاستكثار منه والولوع به، وذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذ بها التجنيس إليه، إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرَّفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكةَ سياستها المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وذلك مظنة الاستكراه، وفيه فتْحُ أبوابِ العيب، والتعرض للشيْن"(١)، إلى أن يقول: "واعلم أن النكتة التي ذكرتها في التجنيس وجعلتُها العلة في استيجابه الفضيلةَ، وهي حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة، وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه، إلا في المستوفَى المتفق الصورة منه، كقوله: [الكامل]

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيى لدى يحيى بن عبدالله(٢)

أو المرفوّ الجاري هذا المجرى كقوله: ... أو دعاني أمت بما أودعاني"(٣).

التحليل:

لقي التحليل عناية من عبدالقاهر، إذ عرض له أثناء كلامه في الفصاحة والبلاغة، ومما قاله: "وجملة الأمر أنك لن تعلم في شيء من الصناعات علماً تُمِرُّ فيه وتُحلي، حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب، ويفصل بين الإساءة والاحسان، بل حتى تفاضِل بين الاحسان والاحسان، وتعرف طبقات المحسنين. وإذا كان هذا هكذا، علمت أنه لا يكفي في علم الفصاحة أن تنص لها قياساً ما، وأن تصفها وصفاً مجملا، وتقول فيها قولاً مرسلا، بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصّل القول وتحصّل، وتضع اليد على الخصائص التي تعرِض في نظم الكلم، وتعدّها واحدة واحدة، وتسمّيها شيئا شيئا، وتكون معرفتك معرفة الصنَّعَ الحاذق الذي

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة:٨.

(٢) أبو تمام، ديوانه: ٣٤٧/٣. وروايته هناك: من مات من حدث الزمان فإنه..... .

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعلم علم كل خيط من الإبريسَم الذي في الديباج، وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطَّع، وكل آجرة من الآجر الذي في البناء البديع. وإذا نظرت إلى الفصاحة هذا النظر، وطلبتها هذا الطلب، احتجت إلى صبر على التأمل، ومواظبة على التدبر، وإلى همة تأبى لك أن تقنع إلا بالتمام"(١). وهكذا يمضي في الدعوة إلى الأخذ بأسباب التمكن من صناعة نقد الكلام.

التخييل:

أورده عبدالقاهر في موضعين من كتابه: أسرار البلاغة، الأول في ثنايا حديثه عن التشبيه وإظهار الفرق بين المعاني العقلية والمعاني التخييلية فقال: "وأمّا القسم التخييلي فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صدق، وأن ما أثبته ثابت وما نفاه منفي"(٢). وفي حديثه عن الاستعارة يقول: "واعلم أن الاستعارة لا تدخل في قبيل التخييل، لأن المستعير لا يقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة، وإنما يعمد إثبات شبهٍ هناك، فلا يكون مَخبره على خلاف خبره" إلى أن يجمل حديثه بقوله: "وجملة الحديث أن الذي أريده بالتخييل ههنا، ما يثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً، ويدّعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى"(٣). وقد رأى الدكتور أحمد مطلوب أن حديث عبدالقاهر عن التخييل "يفهم منه أنه يريد به حسن التعليل"(٤). غير أن باحثاً ذهب إلى أن عبدالقاهر أراد بالتخييل "الخيال أو ما نسميه الآن بالصورة الذهنية"(٥) بل إنه حمّل عبدالقاهر ما لا سبيل إلى الأخذ به، فقد بلغ به اجتهاده إلى القول: "أمّا عبدالقاهر فلم يبحث سيكولوجية التخيّل الشعري من وجهة نظر فلسفية وإن تأثر بالمنهج المنطقي للفلاسفة في التعرف على

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٤١.

(٢) نفسه، أسرار البلاغة: ٢٤٥.

(٣) نفسه: ٣٥٣.

(٤) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢٩٨/٢.

(٥) إبراهيم محمد سالم، المصطلح البلاغي والنقدي عند عبدالقاهر الجرجاني: ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنواعه وأقسامه، وإنما قسم المعاني إلى قسمين: عقلي وتخييلي، فالعقلي هو ما يشهد له العقل بالصحة والاستقامة والتحقيق... . وأما المعنى التخييلي فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صدق وإن ما أثبته ثابت وما نفاه منفي"(١) ومضى يعرض هذا التصور إلى أن قال: "وهذا التخييل الذي رأينا دوره في رسم الصورة السابقة والذي يجري عند عبدالقاهر في الشعر والخطابة، يتذبذب عنده بين معنى منطقي ومعنى فني، فمن الناحية المنطقية نظر عبدالقاهر إلى التخييل على أنه نوع من القياس المخادع... ومن الناحية الفنية نظر عبدالقاهر إلى التخييل على أنه محاكاة تميل إليها النفوس ميلاً طبيعياً، لأنه يخادع النفس ويريها ما لا ترى..."(٢). بل إن الباحث نفسه انتهى إلى اتهام عبدالقاهر بالتذبذب، فهو يقول: "وبعد هذا التذبذب بين معنيي التخييل، نرى عبدالقاهر يتناسى هذه الفوارق المصطنعة ويُدخل الاستعارة والتشبيه ضمن التخييل... فنراه يقول وهو يتحدث عن أنواع التخييل: (فقد حصل من هذا الباب أن الاسم المستعار كلما كان قدمُه أثبتَ في مكانه، وكان موضعه من الكلام أظنّ(٣) به، وأشدّ محاماةً عليه وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظاهر وتصرّح بالتشبيه، فأمر التخييل فيه أقوى ودعوى المتكلم له أظهر وأتم)، وهكذا تصبح الاستعارة عنده في حكم التخييل بعد أن كانت قد خرجت منها أول كلامه"(٤). وإني لأرى أن الباحث قد حمّل عبدالقاهر في هذا المصطلح ما لم يقصد إليه، وغاب عنه فن من فنون القول يدعى حسن التعليل، وقد تبين لي أن شواهد عبدالقاهر وشروحه فيها لا تخرج عما سماه الرازي بعدئذ في كتابه نهاية الايجاز بـ(حسن التعليل)(٥). ولعل ما يؤيد

---

(١) ابراهيم محمد سالم، المصطلح البلاغي والنقدي عند عبدالقاهر الجرجاني: ٦٨-٦٩.

(٢) نفسه: ٧١-٧٣.

(٣) كذا في المنقول عنه، وفي المطبوع "أضن" وهو تصحيف ظاهر في المنقول عنه.

(٤) ابراهيم محمد سالم، المصطلح البلاغي والنقدي عند عبدالقاهر الجرجاني: ٧٣-٧٤.

(٥) فخرالدين الرازي، نهاية الايجاز في دراية الاعجاز. (تح إبراهيم السامرائي ومحمد بركات أبو علي): ١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الرأي تسمية معاصر لعبدالقاهر هو ابن سنان الخفاجي هذا الفن باسم (الاستدلال بالتعليل)(١).

وما لنا نذهب بعيداً وقد أشار حفني محمد شرف من قبل إلى أن عبد القاهر "تكلم عن حسن التعليل حينما عرض لألوان التخييل وتقسيمه"(٢) .

والتخييل عند عبدالقاهر ذو ضروب تناول منها بعضها، ولم يكن معنياً باستقصائها جميعاً، إذ يقول: "فغرضي الآن أن أريك أنواعاً من التخييل، وأضع شبه القوانين ليستعان بها على ما يراد بعد من التفصيل والتبيين"(٣). ويبدو أن عبدالقاهر وقف موقفا حذرا من الأخذ بالتخييل، إذ يقول: "وستمر بك ضروب من التخييل هي أظهر أمراً في البعد عن الحقيقة وأكشف وجهاً في أنه خداع للعقل وضربٌ من التزويق"(٤).

ومما أورده عبدالقاهر من أمثلة التخييل قوله: "وهذا نوع آخر من التخييل وهو يرجع إلى ما مضى من تناسي التشبيه وصرف النفس عن توهمه إلا أن ما مضى معلل وهذا غير معلل. بيان ذلك أنهم يستعيرون الصفة المحسوسة من صفات الأشخاص للأوصاف المنقولة، ثم تراهم كأنهم قد وجدوا تلك الصفة بعينها، وأدركوها بأعينهم على حقيقتها، وكأن حديث الاستعارة والقياس لم يجرِ منهم على بال"(٥)، ومثل لهذا النوع بقول أبي تمام: [المتقارب]

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء(٦)

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٣٢٧.

(٢) حفني محمد شرف، البلاغة العربية نشأتها وتطورها: ٢٧١.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٧٨.

(٤) نفسه: ٢٥٣.

(٥) نفسه: ٢٧٨-٢٧٩.

(٦) أبو تمام، ديوانه: ٣٤/٤، ورواية الديوان: ويصعد حتى لظن الجهول أن له منزلاً في السماء والبيت من مرثية في خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التزاوج:

في معرض خوض عبدالقاهر "في النظم يتّحد في الوضع ويدِقّ فيه الصنع" يرى أن الأصل "في أن يدقّ النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني.. أن تتّحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتدّ ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج – في الجملة – إلى أن تضعها(١) في النفْس وضعاً واحداً... وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدٌّ يحصره، وقانونٌ يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وانحاءٍ مختلفة: فمن ذلك أن تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء معاً، كقول البحتري...:

[طويل]

إذا احتربتْ يوماً ففاضت دماؤها ... تذكرتْ القربى ففاضت دموعها(٢)

فهذا نوع. ونوع منه آخر... ونوع ثالث..."(٣).

والتزاوج يسمى مزاوجة وازدواجاً(٤)، وفيه قضيتان تتعلق إحداهما بالأخرى، ويدخلها البلاغيون المتأخرون في المحسّنات المعنوية باعتبارها من التجانس.

التسجيع:

ينظر: السجع.

التشبيه:

---

(١) أي تضع أجزاء الكلام.

(٢) البحتري، ديوانه: ١٢٩٩/٢.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٧٤-٧٥.

(٤) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٤١/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو عند عبدالقاهر: "أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك أو حكماً من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجّة حكم النور في أنك تفصل بها بين الحق والباطل كما يفصل بالنور بين الاشياء"(١).

وهو يرى "أن الشيئين إذا شُبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين: أحدهما أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأويل، والآخر أن يكون الشبه محصّلا بضرب من التأوّل"(٢). ويمثل للأول قائلاً: "فمثال الأول تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، نحو أن يشبّه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه، وبالحلقة في وجه آخر، وكالتشبيه من جهة اللون: كتشبيه الخدود بالورد والشعر بالليل والوجه بالنهار... أو جمع الصورة واللون معاً كتشبيه الثريّا بعنقود الكرم المنوّر"(٣) ويمضي في ضرب الأمثلة على هذا الضرب، إلى أن يأتي على إيراد الضرب الثاني بقوله: "ومثال الثاني، وهو الشبه الذي يحصل بضرب من التأوّل، كقولك: هذه حجة كالشمس في الظهور، وقد شبّهتَ الحجة بالشمس من جهة ظهورها، كما شبهت -فيما مضى- الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرهما. إلاّ أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك إلاّ بتأوّل، وذلك أن تقول: حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه، مما يحول بين العين وبين رؤيتها، ولذلك يظهر الشيء لك إذا لم يكن بينك وبينه حجاب، ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب"(٤). ويبسط الرأي في هذا الضرب حتى يقول: "ثم إن ما طريقة التأوّل يتفاوت تفاوتاً شديداً، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه... ومنه ما يدِقّ ويغمُض حتى يُحتاج في استخراجه إلى فضل روية ولطْف فكرة"(٥).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٧٨.

(٢) نفسه: ٨٠-٨١.

(٣) نفسه: ٨١.

(٤) نفسه: ٩٢.

(٥) نفسه: ٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويفرّق عبدالقاهر بين التشبيه والتمثيل بقوله: "فاعلم أن التشبيه عامٌّ والتمثيل أخصّ منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً"(١).

ويسهب عبدالقاهر في تناول التشبيه وضروبه، حتى ليكاد في كتابه أسرار البلاغة أن يخص التشبيه من علم البيان بأوفر سهم، وهو يرى أن التشبيه من دلائل قوة الطبع، وعيار في الفرق بين الذهن المستعد للشعر وغير المستعد له(٢).

ويرى أن التشبيه حقيقة وليس مجازاً بقوله "إن كل متعاط لتشبيه صريح لا يكون نقْل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه، فإذا قلت: (زيد كالأسد)، و(هذا الخبر كالشمس في الشهرة) و(له رأي كالسّيف في المضاء) لم يكن نقل للفظ عن موضوعه، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب أن لا يكون في الدنيا تشبيه إلاّ وهو مجاز، وهو محال، لأن التشبيه معنى من المعاني، وله حروف وأسماء تدل عليه، فإذا صرح بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني فاعرفه"(٣).

وناقش الدكتور أحمد مطلوب صلة التشبيه بالمجاز، فانتهى إلى قوله: "والحق أن التشبيه مجاز لأنه يعتمد على عقد الصلة بين شيئين أو أشياء لا يمكن أن تفسر على الحقيقة، ولو فسّرت كذلك لأصبح كذباً، وهو الفن الكثير الاستعمال في كلام العرب. ويبدو أن عدم الانتقال فيه من معنى إلى آخر -كما في الاستعارة- دعاهم إلى إخراجه من المجاز الذي هو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له، أو إسناد أمر إلى آخر على سبيل التوسّع(٤).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٩٥.

(٢) نفسه: ١٧٥.

(٣) نفسه: ٢٢١.

(٤) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٧٢/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأوسع عبدالقاهر البحث في التشبيه فتناول أقسامه من حيث أركان التشبيه: المشبه والمشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه، ومن حيث تعدده في الكلام، وبعده وقربه من السامع، وإيجازه وتفصيله وغرابته وندرته، وفيما يلي مجمل ما فصل القول فيه من أقسام التشبيه:

١. التشبيه الصريح (الحقيقي، الأصلي):

وفيه يقول عبدالقاهر: "إعلم أن الذي أوجب أن يكون في التشبيه هذا الانقسام أنّ الاشتراك في الصفة يقع مرة في نفسها وحقيقة جنسها، ومرة في حكمٍ لها ومقتضى، فالخدّ يشارك الورد في الحمرة نفسها، وتجدها في الموضعين بحقيقتها"(١)، إلى أن يقول: "وأمّا الضرب الأول فإذا كان المثبت من الشّبه في الفرع من جنس المثبت في الأصل كان أصلاً بنفسه، وكان ظاهر أمره وباطنه واحداً، وكان حاصل جمعك بين الورد والخدّ أنك وجدت في هذا وذاك حمرة... وإذا تقررت هذه الجملة حصل من العلم بها أن التشبيه الحقيقي الأصلي هو الضربُ الأول"(٢)، ويمضي عبدالقادر في بيان أنّ "الجنس لا تتغير حقيقته بأن يوجد في شيئين، وإنما يتصور فيه التفاوت بالكثرة والقلة والضعف والقوة نحوُ أنّ حمرة هذا الشيء أكثر وأشد من حمرة ذاك، وإذا تقررت هذه الجملة حصل من العلم بها أن التشبيه الحقيقي الأصلي هو الضرب الأول، ... ويزيد ذلك بياناً أنّ مدار التشبيه على أنه يقتضي ضرباً من الاشتراك، ومعلوم أن الاشتراك في نفس الصفة أسبق في التصور من الاشتراك في مقتضى الصفة..."(٣).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٨٨.

(٢) نفسه: ٨٩.

(٣) نفسه: ٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشبيه غير الصريح:

يقول عبدالقاهر: "إن التشبيه كما لا يخفى يقتضي شيئين: مشبّها ومشبهاً به، ثم ينقسم إلى الصريح وغير الصريح، فالصريح أن تقول: (كأنّ زيداً الأسد) فتذكر كل واحد من المشبه والمشبه به باسمه، وغير الصريح أن تسقط المشبه به من الذّكر وتُجري اسمه على المشبه، كقولك: (رأيت أسداً) تريد رجلا شبيها بالأسد، إلا أنك تغير اسمه مبالغة وإيهاماً أن لا فصل بينه وبين الأسد وأنه قد استحال إلى الأسدية. فإذا كان الأمر كذلك وأنت تشبّه شخصاً بشخص، فإنك إذا شبهت فعلاً بفعل كان هذا حكمه، فأنت تقول مرة: (كأن تزيينه لكلامه نظم درّ) فتصرّح بالمشبه والمشبه به، وتقول أخرى: (إنما ينظم درّاً) تجعله كأنه ناظمٌ درّاً على الحقيقة"(١).

التشبيه المركب:

وفيه يقول عبدالقاهر: "ومما يكثر فيه التفصيل ويقوى معناه فيه، ما كان من التشبيه مركّباً من شيئين أو أكثر، وهو ينقسم قسمين: أحدهما أن يكون شيئاً يقدّره المشبّه ويضَعه ولا يكون، ومثال ذلك تشبيه النرجس بمداهن درّ حشوهنّ عقيق(٢)، وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد(٣)، لأنك في هذا النحو تحصّل الشّبه بين شيئين تُقدّر اجتماعهما على وجه مخصوص وبشرط معلوم..."(٤).

والقسم الثاني أن تعتبر في التشبيه هيئةً تحصُل من اقتران شيئين وذلك الاقتران مما يوجد ويكون... ثم اعلم أن هذا القسم الثاني الذي يدخل في الوجود يتفاوت حاله، فمنه ما يتّسع وجوده ومنه ما يوجد في النادر. ويبين ذلك بالمقابلة، فأنت إذا قابلت قوله: [الكامل]

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٥٣.

(٢) يشير إلى قول ابن المعتز: كأن عيون النرجس الغض حولها مداهن در حشوهنّ عقيق

(٣) يشير إلى قول الصنوبري: وكأن محمرّ الشقيـ ـق إذا تصوّب أو تصعّد
أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

(٤) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكأنّ أجرام النجوم لوامعاً درٌّ نُثرن على بساط أزرق(١)

بقول ذي الرّمة: [البسيط]

كأنها فضة قد مسّها ذهبُ(٢)

علمت فضل الثاني على الأول في سعة الوجود، وتقدُّم الأول على الثاني في عزته وقلّته وكونه نادر الوجود"(٣).

ومن أنواع التشبيه المركب ما سمّاه عبدالقاهر التشبيه في هيئة الحركة(٤)، وفيه يزداد التشبيه دقة وسحرا، والتشبيه في هيئة السكون(٥)، ويقع التركيب فيه في شيء من هيئات الجسم في سكونه تركيب وتفصيل، فيلطف التشبيه ويحسن، ومثّل له بقول الشاعر: [البسيط]

كأنّه عاشق قد مدّ صفحته يوم الوداع إلى توديع مرتحلِ

أو قائم من نعاسٍ فيه لُوثتُه مواصلٌ لتمطّيهِ من الكسلِ(٦)

---

(١) نسب الجرجاني هذا البيت ص١٤٦ من أسرار البلاغة إلى أبي طالب الرقي. والبيت ثاني ثلاثة أبيات أوردها له الثعالبي، اليتيمة: ٢٤٤/١.

(٢) صدر البيت: كحلاء في برج صفراء في نعج – والبيت من بائيته المشهورة التي مطلعها:

ما بال عينك منها الماء ينسكب ..... ذو الرمة، ديوانه: ٢٠/١.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٥٤-١٥٥.

(٤) نفسه: ١٦٤.

(٥) نفسه: ١٧٠.

(٦) البيتان للأخيطل برقوقا الأهوازي وقالهما في مصلوب، وقد وردا في مظان كثيرة منها: الوافي بالوفيات: ١٠٣/١. وتخريجهما في أسرار البلاغة، هامش ص ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشبيه المتعدد:

تناوله عبدالقاهر بقوله: "فالمشابهات المتأولة التي ينتزعها العقل من الشيء للشيء، لا تكون في حدّ المشابهات الأصلية الظاهرة، بل الشبه العقلي كأن الشيء به يكون مشبهاً(١) بالمشبه. ثم إن هذا الشبه العقلي ربما انتزع من شيء واحد، كما مضى من انتزاع الشبه للّفظ من حلاوة العسل، وربما انتزع من عدة أمور يُجمع بعضها إلى بعض، ثم يُستخرج من مجموعها الشبه، فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر، حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد، لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما"(٢)، وهو هنا يتناول التشبيه المتعدد، ويمثل له بقوله: "ومثال ما يجيء فيه التشبيه معقوداً على أمرين إلا أنهما لا يتشابكان هذا التشابك قولهم: (هو يصفو ويكدر) و(يمرّ ويحلو) و(يشجّ ويأسو) و(يسرج ويلجم)، لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له الصفتين، فليست إحداهما ممتزجة بالأخرى"(٣).

تشبيه شيئين بشيئين:

ألحق عبدالقاهر هذا الضرب من التشبيه بالمتعدد، ونفى أنه من المركب بقوله: "اعلم أني قد قدّمت بيان المركب من التشبيه، وههنا ما يذكر مع الذي عرّفتك أنه مركب ويقرن إليه في الكتب، وهو في الحقيقة لا يستحق صفة التركيب... وذلك أن يكون الكلام معقوداً على تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة، إلا أن أحدهما لا يداخل الآخر في الشبه، ومثاله قول أمرئ القيس: [الطويل]

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي(٤)

---

(١) في أسرار البلاغة بتحقيق شاكر: شبيهاً، تصويبا عن نسخة رشيد رضا.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٩٠.

(٣) نفسه: ٩١-٩٢.

(٤) أمرؤ القيس، ديوانه: ٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك أنه لم يقصد إلى أن يجعل بين الشيئين اتصالاً، وإنما أراد اجتماعاً في مكان فقط..."(١).

تشبيه المبالغة:

تناوله عبدالقاهر في معرض حديثه عن الفرق بين الاستعارة والتمثيل، وحديثه عن الفرق بين التشبيه والاستعارة فهو يرى أن "التشبيه يحصل بالاستعارة على وجه خاص وهو المبالغة... ألا ترى أنك تفيد بالاسم الواحد الموصوف والصفة والتشبيه والمبالغة، لأنك تفيد بقولك: (رأيت أسداً) أنك رأيت شجاعا شبيها بالأسد، وأن شبهه به في الشجاعة على أتم ما يكون وأبلغه، حتى إنه لا ينقص عن الأسد فيها، وإذا ثبت ذلك فكما لا يصح أن يقال: (إن الاستعارة هي الاختصار والايجاز على الحقيقة، وأن حقيقتها وحقيقتهما واحدة) ولكن يقال: إن الاختصار والإيجاز يحصلان بها أو هما غرضان فيها، ومن جملة ما دعا إلى فعلها، كذلك حكم التشبيه معها. فإذا ثبت أنها ليست التشبيه على الحقيقة، كذلك لا تكون التمثيل على الحقيقة، لأن التمثيل تشبيه إلا أنه تشبيه خاص، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا..."(٢)، ويمضي عبدالقاهر في بيان أن ليس كل مشبه به يجوز تسليط الاستعارة عليه، وأن ما يصلح فيه التشبيه الظاهر قد لا تصلح فيه المبالغة والاستعارة، حتى يقول: "اعلم أن الاسم إذا قصد إجراؤه على غير ما هو له لمشابهة بينهما، كان ذلك -على ما مضى- من الوجهين: أحدهما أن تسقط ذكر المشبه من البيْن، حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته، وذلك أن تقول: (عنّت لنا ظبية) وأنت تريد امرأة... والوجه الثاني أن تذكر كل واحد من المشبه والمشبه به فتقول: (زيد أسد) (وهند بدر)... والوجه الذي يقتضيه القياس... أن لا تطلق الاستعارة على نحو قولنا (زيد أسد) و(هند بدر) ولكن تقول: هو تشبيه، وإذا قال: (هو أسد) لم تقل (استعار له اسم الأسد) ولكن تقول: (شبّهه بالأسد)... وإذا افترقا هذا الافتراق،

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٧٦.

(٢) نفسه: ٢١٩-٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجب أن نفرق بينهما (التشبيه والاستعارة) في الاصطلاح والعبارة"(١)، ولا يخفى أن عبدالقاهر يتناول هنا ما سماه البلاغيون من بعد بالتشبيه البليغ وفيه لا يكون من أركان التشبيه إلا المشبه والمشبه به، فالاستعارة يسقط فيها ذكر المشبه حتى لا يعلم من ظاهر اللفظ أنك أردته.

التشبيه المقلوب:

أو التشبيه المعكوس أو المنعكس، وفيه يجعل المشبه مشبهاً به ويجعل المشبه به مشبها. وقد وقف عبدالقاهر عند هذا اللون وقال إنه يفتح (دقائق وحقائق) وذلك بجعل (الفرع أصلا والأصل فرعاً)(٢)، ولخص قاعدة قلب التشبيه بقوله: "متى لم يُقصَد ضرب من المبالغة في إثبات الصفة للشيء والقصد إلى إيهام في الناقص أنه كالزائد، واقتُصر على الجمع بين الشيئين في مطلق الصورة والشكل واللون، أو جمعٍ وصفين على وجه يوجد في الفرع على حدّه أو قريب منه في الأصل، فإن العكس يستقيم في التشبيه، ومتى أريد شيء من ذلك لم يستقم"(٣)، ومثّل عبدالقاهر له قائلاً: "فمن أظهر ذلك أنك تقول في النجوم: (كأنها مصابيح) ثم تقول في حالة أخرى في المصابيح: (كأنها نجوم)، ومثله في الظهور والكثرة تشبيه الخد بالورد والورد بالخد..."(٤)، وأكثر عبدالقاهر من إيراد الأمثلة عليه إلى أن قال: "وإنما يمتنع القلب في طرفي التشبيه لسبب يعرض في البين فيمنع منه ولا يكون من صميم الوصف المشترك بين الشيئين المشبه أحدهما بالآخر، فمن ذلك وأقواه -فيما أظن- أن يكون بين الشيئين تفاوت شديد في الوصف الذي لأجله تُشبّه ثم قصدتَ أن تلحق الناقص منهما بالزائد مبالغة ودلالة على أنه يفضل أمثاله فيه"(٥).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٩٦.

(٢) نفسه: ١٨٧.

(٣) نفسه: ٢٠٤-٢٠٥.

(٤) نفسه: ١٨٨.

(٥) نفسه: ٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشبيه التفصيلي:

من نظرات عبدالقاهر الثاقبة، حديثه عن: "ضربين من العبرة يجب أن تضبطهما أولا، ثم ترجع في أمر التشبيه، فإنك حينئذٍ تعلم السبب في سرعة بعضه إلى الفكر وإباء بعضٍ أن يكون له ذلك الاسراع. فإحدى العبرتين أنّا نعلم أن الجملة أبداً أسبق إلى النفوس من التفصيل، وإنك تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى التفصيل، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر، ولذلك قالوا: (النظرة الأولى حمقاء)... وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس، فإنك تتبين من تفاصيل الصوت بأن يعاد عليك حتى تسمعه مرة ثانية ما لم تتبينه بالسماع الأول... والعبرة الثانية أن مما يقتضي كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس أن يكثر دورانه على العيون... وان تدركه الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات... واعلم أنّ قولنا: (التفصيل) عبارة جامعة، ومحصولها على الجملة أن معك وصفين أو أوصافاً فأنت تنظر فيها واحداً واحداً وتفصل بالتأمل بعضها من بعض، وأن بك في الجملة حاجة إلى أن تنظر في أكثر من شيء واحد، وأن تنظر في الشيء الواحد إلى أكثر من جهة واحدة"(١). ويعدد عبدالقاهر أوجه التفصيل في التشبيه، ويتناول ثلاثة أوجه: أولها: أن تفصل بأن تأخذ بعضاً وتدع بعضاً، والثاني: أن تفصل بأن تنظر من المشبه في أمور لتعتبرها كلّها وتطلبها فيما تشبه به، والثالث أن تفصل بأن تنظر إلى خاصّة في بعض الجنس، كالتي تجدها في صوت البازي وعين الديك، فأنت تأبى أن تمر على جملة أن هذا صوت وذاك حمرة، ولكن تفصل فتقول فيهما ما ليس في كل صوت وكل حمرة(٢).

ولعلّ أوضح الأمثلة على ما جاء به عبدالقاهر في تشبيه التفصيل قوله: "ألا ترى أن أحد التفصيلين يفضل الآخر بأن تكون قد نظرت في أحدهما إلى ثلاثة أشياء أو ثلاث جهات وفي الآخر إلى شيئين أوجهتين، والمثال في ذلك قول بشّار: [طويل]

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٤٧-١٥٢.

(٢) نفسه: ١٥٢-١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنّ مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه(١)

مع قول المتنبي: [الطويل]

يزور الأعادي في سماء عجاجة أسنّته في جانبيها الكواكب(٢)

أو قول كلثوم بن عمرو: [الكامل]

تبني سنابكها من فوق أرؤسهم سقفا كواكبه البيض المباثير(٣)

التفصيل في الأبيات الثلاثة كأنه شيء واحد، لأن كل واحد منهم يشبه لمعان السيوف في الغبار بالكواكب في الليل، إلا أنك تجدلبيت بشار من الفضل ومن كرم الموقع ولطف التأثير في النفس ما لا يقل مقداره ولا يمكن إنكاره، وذلك لأنه راعى ما لم يراعه غيره..."(٤).

التشبيه الغريب:

أو البعيد أو النادر أو الطريف أو البديع، وهو يقابل التشبيه المبتذل أو القريب أو النازل، وفيه يقول عبدالقاهر: "اعلم أن معرفة الشيء من طريق الجملة غير معرفته من طريق التفصيل، فنحن وإن كنا لا يُشكل علينا الفرق بين التشبيه الغريب وغير الغريب، إذا سمعنا بهما، فإن لوضع القوانين وبيان التقسيم في كل شيء، وتهيئة العبارة في الفروق فائدة لا ينكرها المميز، ولا يخفى أن ذلك أتم للغرض وأشفى للنفس، والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكون الشبه المقصود من الشيء مما لا يتسرع إليه الخاطر ولا يقع في الوهم عند بديهة النظر إلى نظيره

---

(١) بشار بن برد، ديوانه (ابن عاشور): ٣١٨/١.

(٢) المتنبي، ديوانه (عكبري): ١٠٧/١.

(٣) كلثوم بن عمرو العتابي شاعر أموي، توفي ٢١٨ هـ، وجمع شعره ناصر حلاوي، ونشره في "المربد" مجلة جامعة البصرة، العدد ٢-٣ لسنة ١٩٦٩، وتخريج هذا البيت في أسرار البلاغة: ١٦٠.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٥٩-١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يشبّه به، بل بعد تثبت وتذكّر وفلْي للنفس عن الصور التي تعرفها وتحريك للوهم في استعراض ذلك واستحضار ما غاب منه. بيان ذلك أنك كما ترى الشمس ويجري في خاطرك استدارتها ونورها تقع في قلبك المرآة المجلوّة ويتراءى لك الشبه منها فيها... ولكنك تعلم أن خاطرك لا يُسرع إلى تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشلّ، كقوله: [الرجز]

والشمس كالمرآة في كفّ الاشل(١)

هذا الاسراع ولا قريبا منه..."(٢).

ويرى عبدالقاهر أن التشبيه كلما كان فيه "تباين بين المشبه والمشبه به كانت له خصوصيته"(٣).

التصوير:

ينظر: الصورة.

التضاد:

ينظر: التطبيق.

التطبيق:

أو التضاد أو المطابقة، أو التكافؤ أو الطباق أو المقاسمة(٤). ولا علاقة لمعنى التطبيق البلاغي بمعناه اللغوي(٥). وعدّ عبدالقاهر التطبيق من أقسام البديع،

---

(١) الرجز لجبار بن جزء بن ضرار، ابن أخي الشماخ، يصف الثور وقد أتاه قانص لمّا غفل. وينسب البيت كذلك لأبي النجم، وتخريجه في أسرار البلاغة: ١٤٤.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٤٤-١٤٥.

(٣) نفسه: ١١٥.

(٤) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢٥٢/٢.

(٥) نفسه: ٢٦٧/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال: "وأمّا التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعاني خاصة، من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب، أو أن يكون لها في التحسين أو خلاف التحسين تصعيد وتصويب"(١)، ولعل أظهر مثال عليه قول دعبل: [الكامل]

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى(٢)

فضحك المشيب: مجاز وبكاء الرجل حقيقة. والمطابق في اللغة: الموافقة بينما في البلاغة تعني: الجمع بين ضدين(٣).

التعريض والكناية:

عقد عبدالقاهر فصلاً في "اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره فقال: "اعلم أن لهذا الضرب اتساعا وتفننا لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يدور -في الأمر الأعم- على شيئين: (الكناية) و(المجاز)"(٤). وحدد المراد بالكناية قائلاً: "والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه. مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة، و(كثير رماد القدر) يعنون كثير القرى، وفي المرأة: (نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها. فقد أرادوا في هذا كلّه -كما ترى- معنى، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان. أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد؟ وإذا كثر القرى كثر

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٠.

(٢) دعبل بن علي الخزاعي، شعره (صنعة الأشتر): ١٦١.

(٣) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٢/٢٥٣.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها رديفَ ذلك أن تنام إلى الضحى؟(١).

ويفصل عبدالقاهر القول في الكناية مبينا حقيقتها ومحصول أمرها، شارحاً الأمثلة عليها بقوله: "اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم. فالقسم الأول: (الكناية) و(الاستعارة) و(التمثيل الكائن على حد الاستعارة) وكل ما كان فيه -على الجملة- مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر، فما من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقع على الصواب وعلى ما ينبغي، أوجب الفضل والمزية. فإذا قلت: (هو كثير رماد القدر) كان له موقع وحظ من القبول لا يكون إذا قلت: (هو كثير القرى والضيافة). وكذا إذا قلت: (هو طويل النجاد) كان له تأثير في النفس لا يكون إذا قلت: (هو طويل القامة).

... وإذ قد عرفت هذه الجملة فينبغي أن تنظر إلى هذه المعاني واحداً واحداً، وتعرف محصولها وحقائقها، وأن تنظر أولاً إلى (الكناية)، وإذا نظرت إليها وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنها إثبات لمعنى، أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ..."(٢).

وعبدالقاهر يتحدث عن التعريض والكناية والرمز والاشارة والتلويح غير مرة باعتبارها مترادفات، من غير أن يتناول مقدار تمايز أي منها عن غيره، فهو يقول: "هذا فن من القول دقيق المسلك لطيف المأخذ، وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب.

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٥٧.

(٢) نفسه: ٢٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تُلقِه إلى السامع صريحا، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية، والرّمز والاشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله، ولا يُجهل موضع الفضيلة فيه"(١).

ويقول في موضع آخر: "فإذا جعلوا للكناية مزية على التصريح، لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المكنّى عنه، ولكن في إثباته للذي يُثبَت له... وقد ذكرت هذا في صدر الكتاب، وذكرت أن السبب في أن كان يكون للإثبات -إذا كان من طريق الكناية- مزية لا تكون إذا كان من طريق التصريح أنك إذا كنَيْتَ عن كثرة القرى بكثرة رماد القدر كنت قد أثبتَ كثرة القرى بإثبات شاهدها ودليلها وما هو عَلَمٌ على وجودها، وذلك -لا محالة- يكون أبلغ من إثباتها بنفسها"(٢).

وتناول عبدالقاهر أقسام الكناية، عارضاً -بالشرح والتحليل- نماذج منها، مبيناً تأثيرها لدى أولئك الذين "يرومون وصف الرجل ومدحه، وإثبات معنى من المعاني الشريفة له، فيدَعون التصريح بذلك، ويكْنون عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبّس به، ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الاثبات، لا من الجهة الظاهرة المعروفة بل من طريق يخفى ومسلك يدِقّ، ومثاله قول زياد الأعجم:

[الكامل]

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج(٣)

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٠١.

(٢) نفسه: ٢٨٣.

(٣) زياد الأعجم: أبو أمامة بن سليم وقيل سليمان وقيل جابر، مولى عبدالقيس، سمي الأعجم للكنة في لسانه أو لأنه نشأ بفارس، عاش في بدء دولة بني أمية، والبيت في الأغاني: ٢٠/١٢، ومعاهد التنصيص للعباسي: ١٧٣/٢، وفيه: وابن الحشرج الممدوح اسمه عبدالله، كان سيداً من سادات قيس، ولي كثيراً من أعمال خراسان، وفارس وكرمان، وكان كثير العطاء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أراد -كما لا يخفى- أن يثبت هذه المعاني والأوصاف خلالا للممدوح وضرائبَ فيه فترك أن يصرّح فيقول: (إن السماحة والمروءة والندى لمجموعة في ابن الحشرج) أو (مقصورة عليه) أو(مختصة به) وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبات الأوصاف للمذكورين بها، وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح، فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه، وإشارة إليه، فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة، وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة، ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البين، لما كان إلاّ كلاماً غُفْلاً وحديثاً ساذجاً"(١). ثم ما يلبث أن يقول: "وكما أن من شأن الكناية الواقعة في نفس الصفة أن تجيء على صور مختلفة، كذلك من شأنها إذا وقعت في طريق إثبات الصفة أن تجيء على هذا الحد، ثم يكون في ذلك ما يتناسب، كما كان ذلك في الكناية عن الصفة نفسها... ومما هو إثبات للصفة على طريق الكناية والتعريض، قولهم: (المجد بين ثوبيه، والكرم في برديه)، وذلك أن قائل هذا يتوصل إلى إثبات المجد والكرم للممدوح، بأن يجعلهما في ثوبه الذي يلبسه، كما توصل زياد إلى إثبات السماحة والمروءة والندى لابن الحشرج بأن جعلها في القبة التي هو جالس فيها... وهكذا ان اعتبرت قول الشنفرى يصف امرأة بالعفّة: [الطويل]

يبيت بمنجاةٍ من اللؤم بيتُها إذا ما بيوتٌ بالملامة حُلَّتِ(٢)

وجدته يدخل في معنى بيت زياد، وذلك أنه توصّل إلى نفي اللؤم عنها وإبعادها عنه، بأن نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه، وكان مذهبه في ذلك مذهب زياد... وإنما الفرق أن هذا ينفي وذاك يثبت، وذلك فرق لا في موضع الجمع، فهو لا يمنع أن يكونا من نصاب واحد"(٣).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٠١.

(٢) المفضل الضبي، المفضليات: ١٠٩، والبيت في المفضلية رقم ٢٠، وفيها: تحل بمنجاة، بيوت بالمذمّة. والشنفرى شاعر جاهلي اشتهر بلاميته وهو أخت تأبط شراً.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما تقدم من كلام عبدالقاهر ذكرٌ للكناية عن صفة، وهي غير الكناية عن نسبة التي يقول فيها: "واعلم أنه ليس كلّ ما جاء كناية في إثبات الصفة يصلح أن يُحكم عليه بالتناسب... وقد يجتمع في البيت الواحد كنايتان المغزى منهما شيء واحد، ثم لا تكون إحداهما في حكم النظير للأخرى. مثال ذلك أنه لا يكون قوله: (جبان الكلب) نظيراً لقوله: (مهزول الفصيل)، بل كل واحدة من هاتين الكنايتين أصلٌ بنفسه، وجنس على حدة... وليس لشُعَب هذا الأصل وفروعه وأمثلته وصوره وطرقه ومسالكه حدٌّ ونهاية"(١).

التعليل:

ينظر: التخييل.

وينظر فيه: حسن التعليل.

التقديم والتأخير:

لعبدالقاهر قول في التقديم والتأخير شغل فصلا من فصول كتابه: دلائل الاعجاز، وقد افتتحه بقوله: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية... ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء، وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"(٢). ويرى عبدالقاهر أن تقديم الشيء على وجهين: تقديم على نية التأخر، كتقديم الخبر إذا قُدّم على المبتدأ، وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن يُنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وذلك كأن يعمد إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فيقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا مثل: (زيد المنطلق) و(المنطلق زيد) فالتقديم والتأخير يؤثران فيّ معنى الجملة لأن

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٠٤.

(٢) نفسه: ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما يقدم هو المبتدأ أو المسند إليه وما يؤخر هو الخبر أو المسند. ومعلـوم أن المسـند إليه يقدم لأغراض بلاغية، منها:

أنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول والمبتدأ على الخبر وصاحب الحال عليها. ومنها أن يتمكن الخبر في ذهن السامع، وغيرها مما لا يتسع له المقام(١).

وتناول عبدالقاهر مسألة التقديم والتأخير في الكلام باعتبارها لعلل بلاغية "يقتضيها النظم"(٢)، فمثّل لها بالاستفهام بالهمزة يليها الفعل مرة والاسم أخرى كقولك أفعلت؟ وقولك أأنت فعلت؟. ومثل لها بتقديم الفعل وتقديم الاسم وما يفيده الكلام في كل حالة، ثم تقديم المفعول على الفاعل وإفادته في إذكار وقوع مثل ذلك الفعل على المفعول كقوله تعالى (قل أغير الله أتخذ وليا) الانعام/١٤. وانتقل إلى التقديم والتأخير في حالة النفي، وحكم الجار والمجرور في التقديم والتأخير، وكان في تناوله للتقديم والتأخير لا يقفو أثر النحاة ولم ينهج نهج تقعيد القواعد، بل درسها من خلال تركيب الجملة وتأثيره في الأسلوب وطرائق التعبير وبيان المعاني المحدثة من تقديم مواضع في الكلم وتحويلها من مكان إلى مكان.

التمثيل:

فرّق عبدالقاهر بينه وبين التشبيه حين قال: "... فاعلم أن التشبيه عام، والتمثيل أخصّ منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً"(٣)، والتمثيل عنده "تشبيه من طريق العقل والمقاييس التي تجمع بين الشيئين في حكم تقتضيه الصفة المحسوسة لا في نفس الصفة"(٤). ويعرض عبدالقاهر لتأثير التمثيل في النفس

---

(١) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغة وتطورها: ٣٢٦/٢. حيث فصّل القول في هذه الأغراض البلاغية.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٠٢.

(٣) نفسه، أسرار البلاغة: ٨٤.

(٤) نفسه: ٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائلاً:"واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو أبرزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة وكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها... فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم... وإن كان ذما كان مسّه أوجع وميسمه ألذع... وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر، وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب... وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر وأدعى إلى الفكر... وهكذا الحكم إذا استقريت فنون القول وضروبه، وتتبعت أبوابه وشعوبه"(١) ويمضي في بيان ذلك فيقول: "فأمّا القول في العلة والسبب لم كان للتمثيل هذا التأثير وبيان جهته ومأتاه، وما الذي أوجبه واقتضاه... فإذا بحثنا عن ذلك وجدنا له أسباباً وعللاً كل منها يقتضي أن يفخُم المعنى بالتمثيل وينبُل ويشرُف ويكمل. فأول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن يخرجها من خفي إلى جلّيّ، وتأتيها بصريح بعد مكني... نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع..."(٢).

ويكون التمثيل عند عبدالقاهر من باب المجاز إذا جاء على حدّ الاستعارة فهو يقول: "وحكم التمثيل حكم الاستعارة سواء، فإنك إذا قلت: (أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى) فأوجبت له الصورة التي يُقطع معها بالتحيّر والتردد كان أبلغ لا محالة من أن تجري على الظاهر فتقول: قد جعلت تتردد في أمرك، فأنت كمن يقول: أخرج ولا أخرج، فيقدم رجلاً ويؤخر أخرى"(٣).

ولعل عبدالقاهر حينما قسم التشبيه قسمين، أحدهما: أن يكون تشبيه الشيء بالشيء من جهة أمرٍ بيّن لا يحتاج فيه إلى تأويل، وهذا هو التشبيه الأصلي،

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٠١-١٠٢.

(٢) نفسه: ١٠٨-١١٥.

(٣) نفسه: دلائل الاعجاز: ٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثاني: أن يكون التشبيه محصلاً بضرب من التأويل وهذا هو التشبيه التمثيلي أو التمثيل، فكل تشبيه يكون الوجه فيه حسيّاً مفرداً أو مركباً أو كان من الغرائز أو الطباع العقلية هو "تشبيه غير تمثيلي" وكل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقلياً مفرداً أو مركباً غير حقيقي ومحتاجاً في تحصيله إلى تأول هو "تشبيه تمثيلي"(١).

الحذف:

عدّه عبدالقاهر باباً "دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيها بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"(٢). ومعلوم أن الحذف يدخل في باب الإيجاز عند البلاغيين، ويكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تدل على المحذوف وعد عبدالقاهر من المواضع التي يطّرد فيها الحذف: إضمار المبتدأ بأن لا يقع في الكلام بل يحذف منه، ومن مواضع إضماره القطع والاستئناف(٣)، فيبنى الخبر على مبتدأ محذوف، وقد يحذف المفعول به ومن ما هو "جليّ كقولهم أصغيت إليه وهم يريدون أذني، وأغضيت عليه والمعنى: جفني"(٤)، وأمّا "الخفي الذي تدخله الصنعة فيتفنن ويتنوع كقولك: قد ملّ فلان، تريد أن تقول: قد دخله الملال من غير أن تخص شيئاً(٥). وأورد مثلاً على ما حذف منه المفعول في أربعة مواضع قوله تعالى: "ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمّة من الناس يسقون. ووجد من دونهم امرأتين تذودان، قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يُصْدِرَ الرّعاء وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل) القصص٢٣/٢٤، ففيها حذفُ مفعول في أربعة مواضع، إذ المعنى: وجد عليه أمة

---

(١) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٨٤/٢.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٠٤.

(٣) نفسه: ١٠٥.

(٤) نفسه: ١١١.

(٥) نفسه: ١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الناس يسقون (أغنامهم أو مواشيهم) وامرأتين تذودان (غنمهما) وقالتا لا نسقي (غنمنا) فسقى لهما (غنمهما)"(١).

وعدّ عبدالقاهر من الحذف "الا ضمار على شريطة التفسير، وذلك مثل قولهم: (اكرمني واكرمت عبدالله) تركت ذكره في الأول استغناء بذكره في الثاني"(٢).

الحذو:

ينظر: السرقة.

حسن التعليل:

ينظر: التخييل.

الحشو:

دعا عبدالقاهر إلى "سلامة الكلام من الحشو غير المفيد، والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد، وشيء داخلَ المعاني المقصودة مداخلة الطفيلي الذي يستثقل مكانه، والأجنبي الذي يكره حضوره. وسلامته من التقصير الذي يفتقر معه السامع إلى تطلب زيادة"(٣). فهو يرى أن "الحشو كُره وذُمّ وأُنكر لأنه خلا من الفائدة، ولم يُخْلَ منه بعائدة، ولو أفاد لم يكن حشوا ولم يُدْعَ لغواً"(٤). غير أنه عاد ليقول "وقد تراه مع إطلاق هذا الإسم عليه واقعاً من القبول أحسن موقع، ومُدركاً من الرضى أجزل حظ. ذاك لإفادته إياك على مجيئه مجيءَ ما لا معوّل في الإفادة عليه، ولا طائل للسامع لديه، فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لم ترتقبها، والنافعة أتتك

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١١٤.

(٢) نفسه: ١١٥.

(٣) نفسه، أسرار البلاغة: ٢٢.

(٤) نفسه: ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم تحتسبها، وربما رزق الطفيلي ظرفاً يحظى به حتى يُحلَّ محلَّ الأضياف الذين وقع الاحتشاد لهم، والأحباب الذين وثق بالأنس منهم وبهم"(١).

فالحشو عند عبدالقاهر منه القبيح الذي لا محل له، والمليح الذي يزدان به الكلام.

الحصر:

وهو القصر؛ وعقد عبدالقاهر فصلا في مسائل إنما، تناول فيه الحصر فقال: "ليس كل كلام يصلح فيه (ما) و(إلا) يصلح فيه (إنما). ألا ترى أنها لا تصلح في مثل قوله تعالى: (وما من إله إلا اللّه) آل عمران/٦٢، وقولنا: (ما أحد إلا وهو يقول ذاك). إذ لو قلت: (إنما من إله الله) و(إنما أحدٌ وهو يقول ذاك)، قلتَ ما لا يكون له معنى"(٢). ثم يمثّل بعدئذٍ لما تجيء إنّما له، ويقول: "وأمّا الخبر بالنفي والإثبات نحو (ما هذا إلا كذا) و(إن هو إلا كذا) فيكون للأمر ينكره المخاطبُ ويشكُّ فيه. فإذا قلْت: (ما هو إلا مصيب) أو (ما هو إلا مخطئ) قُلته لمن يدفعُ أن يكون الأمر على ما قلت..."(٣). ويمضي في إيراد الأمثلة إلى أن يقول: "وجملة الأمر أنك متى رأيت شيئاً هو من المعلوم الذي لا يُشكُّ فيه قد جاء بالنفي، فذلك لتقدير معنىً صار به في حكم المشكوك فيه، فمن ذلك قوله تعالى: (وما أنت بمسمع من في القبور. إن أنت إلا نذير) فاطر/٢٢-٢٣ والله أعلم. ويقول: "وههنا كلام ينبغي أن تعلمه، إلاّ أني أكتب لك من قبله مسألة لأن فيها عوناً عليه. قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر/٢٨، في تقديم اسم الله عز وجل معنىً خلافُ ما يكون لو أُخّر، وإنما يبين لك ذلك إذا اعتبرت الحكم في (ما) و(إلاّ) وحصّلت الفرق بين أن تقول: (ما ضرب زيداً إلا عمرو) وبين قولك: (ما ضرب عمرٌو إلا زيداً)... وههنا، إذا تأمّلت، معنى لطيف يوجب ذلك، وهو أنك إذا قلت: (ما ضرب زيداً إلا عمرو) كان

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ١٩-٢٠.

(٢) نفسه، دلائل الاعجاز: ٢١٥-٢١٦.

(٣) نفسه: ٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غرضك أن تختصَّ عمراً بضرب زيد، لا بالضرب على الاطلاق. وإذا كان كذلك، وجب أن تعدّي الفعل إلى المفعول من قبل أن تذكر عمراً الذي هو الفاعل، لأن السامع لا يعقل عنك أنك اختصصته بالفعل معدّى حتى تكون قد بدأت فعدّيته، أعني لا يفهم عنك أنك أردت أن تختص عمراً بضرب زيد، حتى تذكره له معدّىً إلى زيد"(١). ولم يخرج عبدالقاهر في بحث القصر (أو الحصر) عما أورده علماء البلاغة.

الحقيقة والمجاز:

ولا يذكر هذا المصطلح إلا ويقترن بـ "المجاز"، فهي مقترنة به، يقول عبدالقاهر: "كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع، وإن شئت قلت في مواضعة، وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة"(٢). هذا في الكلمة المفردة، أمّا في الجملة فقال: "كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه منه فهي حقيقة"(٣). وإذا كان عبدالقاهر قد بدأ بحدّ الحقيقة في المفرد وفي الجملة، فإن له في حدّ اللفظة رأياً ينبغي معرفته لما له من علاقة وطيدة في "المصطلح"، فهو يقول: "وإنما اشترطت هذا كله لأن وصف اللفظة بأنها حقيقة أو مجاز حكمٌ فيها من حيث أن لها دلالة على الجملة، لا من حيث هي عربية أو فارسية أو سابقة في الوضع أو محدثة مولّدة، فمن حق الحدّ أن يكون بحيث يجري في جميع الألفاظ الدالة. ونظير هذا أن تضع حدّاً للاسم والصفة في أنك تضعه بحيث لو اعتبرت به لغةً غير لغة العرب وجدته يجري فيها جريانه في العربية، لأنك تحد من جهةٍ لا اختصاص لها بلغة دون لغة"(٤).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٢١-٢٢٨.

(٢) نفسه، أسرار البلاغة: ٣٢٤.

(٣) نفسه: ٣٥٥.

(٤) نفسه: ٣٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعرّف عبدالقاهر المجاز قائلاً: "وأمّا المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة جُزْتَ بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جُزْتَ بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تُجُوِّز بها إليه وبين أصلها الذي وُضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"(١). ويقول: "لا يُعقل من المجاز أن تسلب الكلمة دلالتها ثم لا تعطيها دلالة وأن تُخليها من أن يراد بها شيء علي وجه من الوجوه"(٢).

ونقرأ لعبدالقاهر قوله: "من حقك إذا أردت أن تقضي في الجملة بمجاز أو حقيقة أن تنظر إليها من جهتين؛ إحداهما: أن تنظر إلى ما وقع بها من الاثبات، أهو في حقه وموضعه أم قد زال عن الموضع الذي ينبغي أن يكون فيه، والثانية: أن تنظر إلى المعنى المثبت، أعني ما وقع عليه الاثبات، كالحياة في قولك: (أحيا الله زيداً) والشيب في قولك: (أشاب الله رأسي) أثابت هو على الحقيقة أم قد عُدل به عنها. وإذا مُثّل لك دخول المجاز على الجملة من الطريقين عرفت ثباتها على الحقيقة منهما. فمثال ما دخله المجاز من جهة الاثبات دون المثبت قوله: [الطويل]

وشيّب أيام الفراق مفارقي وأنشزن نفسي فوق حين تكونُ(٣)

وقوله: [المتقارب]

أشاب الصغير وأفنى الكبيـ ـر كرُّ الغداةِ ومرُّ العشيّ(٤)

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٢٥-٣٢٦.

(٢) نفسه: ٣٨٥.

(٣) البيت من شعر جميل بثينة، ديوانه (نصار): ٢٠٢. ورواية الديوان: فشيّب روعات الفراق.... ومعنى أنشزن نفسي: رفعنها إلى الحلقوم.

(٤) البيت للصلتان العبدي، واسمه قثم بن خبية بن عبدالقيس، كان معاصراً لجرير والفرزدق ويقضي بينهما، والبيت من قصيدة أوردها العباسي، معاهد التنصيص: ١/٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز واقع في إثبات الشيب فعلاً للأيام ولكرّ الليالي، وهو الذي أزيل عن موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه..."(١).

ويقول عبدالقاهر: "المجاز مَفْعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه. وإذا عُدل باللفظ عما يوجبه أصلُ اللغة وُصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أوّلاً. ثم أعلم بعدُ أن في إطلاق المجاز على اللفظ المنقول عن أصله شرطاً، وهو أن يقع نقله على وجهٍ لا يعرَىٰ معه من ملاحظة الأصل"(٢). إلى أن يقول بعدئذ: "والغرض المقصود بهذه العبارة -أعني قولنا المجاز- أن نبين أن للفظ أصلا مبدوءاً به في الوضع ومقصوداً، وأن جريه على الثاني إنما هو على سبيل الحكم يتأدّى إلى الشيء من غيره..."(٣). ثم يقول: "قصدي في هذا الفصل أن أبين أن المجاز أعمُّ من الاستعارة، وأن الصحيح من القضية في ذلك أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة...."(٤). حتى يصل به القول إلى "أنّا إذا أنعمنا النظر وجدنا المنقول من أجل التشبيه على المبالغة أحق بأن يوصف بالاستعارة من طريق المعنى... ولو كان اللفظ يستحق الوصف بالاستعارة بمجرد النقل، لجاز أن توصف الاسماء المنقولة من الأجناس إلى الأعلام بأنها مستعارة، فيقال: حجر مستعار في اسم الرجل، ولزم كذلك في الفعل المنقول نحو يزيد ويشكر وفي الصوت نحو ببّه... وذلك ارتكاب قبيح وفرط تعصب على الصواب"(٥).

ورأى عبدالقاهر أن من المجاز ما يكون في الاسناد، وهو المجاز العقلي. ومنه ما يكون في الكلمة؛ وهو المجاز اللغوي، والمجاز اللغوي عنده قسمان: أحدهما

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) نفسه: ٣٦٥.

(٣) نفسه: ٣٦٦.

(٤) نفسه: ٣٦٨.

(٥) نفسه: ٣٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعتمد العلاقة فيه على المشابهة، وهو الاستعارة، والتمثيل الذي يجيء على حدّ الاستعارة. والآخر علاقته غير المشابهة، وإنما الصلة والملابسة بين ما نقل إليه وما نقل عنه، وهو ما عرف عند لاحقيه من علماء البلاغة بالمجاز المرسل، كأنهم لمحوا عند تسميته أن عبدالقاهر قال فيه: "إن ذلك قد يتفق حيث ترسل العبارة"(١).

وعند عبدالقاهر "المجاز على ضربين: مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: (اليد مجاز في النعمة)... كان حكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة، لأنّا أردنا أن المتكلّم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداءً في اللغة وأوقعها على غير ذلك، إمّا تشبيهاً وإمّا لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه، ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام كان مجازاً من طريق المعقول دون اللغة، وذلك أن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث هي جمل لا يصح ردّها إلى اللغة، ولا وجه لنسبتها إلى واضعها..."(٢).

ويفصّل عبدالقاهر القول في وقوع المجاز في الجملة فيقول: "كل جملة أخرجْتَ الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضربٍ من التأوّل فهي مجاز"(٣). والمجاز في الجملة عند عبدالقاهر مجاز حكمي أو إسنادي "لأن التأليف هو إسناد فعل إلى اسم أو اسم إلى اسم..."(٤). ونصّ على أن المجاز العقلي توصف به الجملة من الكلام دون الكلمة الواحدة، لأنه لا يكون إلا في الإسناد، ومعلوم أن الإسناد لا يكون إلا بين شيئين، فهو يقول: "بقي أن نعلم لم خصّصْت المجاز -إذا كان طريقة العقل- بأن توصف به الجملة من الكلام دون الكلمة الواحدة، وهلاّ جوزت أن يكون (فَعَلَ) على الانفراد موصوفا به؟ فإن سبب ذلك أن المعنى الذي له وُضع (فَعَلَ) لا

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٧١.

(٢) نفسه: ٣٧٦.

(٣) نفسه: ٣٥٦.

(٤) نفسه: ٣٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُتصوّر الحكم عليه بمجاز أو حقيقة حتى يسند إلى الاسم، وهكذا كل مثال من أمثلة الفعل، لأنه موضوع لاثبات الفعل للشيء...."(١).

ويرى عبدالقاهر أن "هذا الضرب من المجاز على حِدَته كنز من كنوز البلاغة، ومادّة الشاعر المفلِق والكاتب البليغ في الإبداع والاحسان، والاتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعاً مصنوعاً، وأن يضعه بعيد المرام قريباً من الأفهام..."(٢).

الخطاب بالجملة الفعلية:

أورده عبدالقاهر في القول في التقديم والتأخير قائلاً: "فإذا قلت: (ما ضربت زيداً) فقدمت الفعل، كان المعنى أنك قد نفيت أن يكون قد وقع ضرب منك على زيد، ولم تعرِض في أمرٍ غيره لنفي ولا إثبات، وتركته مبْهَماً محتمِلاً. وإذا قلت: (ما زيداً ضربت) فقدمت المفعول، كان المعنى على أن ضرباً وقع منك على إنسان، وظُنّ أن ذلك الانسان زيد، فنفيت أن يكون إياه..."(٣)، ويتحدث في موضع آخر عن "الفرق بين الاثبات إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل، وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه. وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء، وأمّا الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء، فإذا قلت: (زيد منطلق) فقد أثبتّ الانطلاق فعلاً له من أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: زيد طويل وعمرو قصير، فكما لا يقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث... وأمّا الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت: زيد ها هو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً وجعلته يزاوله ويزجيه... لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ويقتضي الاسم ثبوت

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٨٢.

(٢) نفسه، دلائل الاعجاز: ١٩٤.

(٣) نفسه: ٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتجدد فعل ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً... فإذا قلت: زيد طويل وعمرو قصير لم يصلح مكانه يطول ويقصر، وإنما تقول: يطول ويقصر إذا كان الحديث عن شيء يزيد وينمو كالشجر والنبات والصبي ونحو ذلك مما يتجدد فيه الطول أو يحدث فيه القصر"(١).

فالخطاب بالجملة الفعلية يدل على التجدد، وبالجملة الاسمية يدل على الثبوت، "ومما يعلم به ضرورة أنه لا تكون البدايةُ بالفعل كالبداية بالاسم أنك تقول: أقلت شعراً قط؟ أرأيت اليوم إنساناً؟ فيكون كلاماً مستقيماً. ولو قلت: أأنت قلت شعراً قط؟ أأنت رأيت إنساناً؟ أخطأت(٢). وذاك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل مَنْ هو في مثل هذا، لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الاشارة إلى فعل مخصوص، نحو أن تقول: من قال هذا الشعر؟... وما أشبه ذلك مما يمكن أن يُنصّ فيه على معيَّن"(٣).

الذَّوق:

عني عبدالقاهر بأهمية الأخذ بالذوق في نقد الكلام وتمييز جيده من رديئه، وذلك حين تناول اللفظ والنظم فقال: لا يصادق القول في هذا الباب موقعاً من السامع، ولا يجد لديه قبولاً، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة"(٤). وختم كتابه دلائل الإعجاز بفصل فيه "بيان أن العمدة في إدراك البلاغة الذوق والإحساس الروحاني"(٥). وفيه يقول: "وكما لا تُقيم الشعر في نفس من لا ذوق له، كذلك لا تفهم

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٢١-١٢٢.

(٢) في مطبوعة السيد محمد رشيد رضا: أخطأت، وصححها محمود شاكر في مطبوعته من دلائل الاعجاز ص١١٢: أحلت أي أتيت بالمُحال.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٨٥.

(٤) نفسه: ١٩٢.

(٥) نفسه: ٣٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الشأن من لم يؤتَ الآلة التي بها يفهم..."(١). "وقد يخصّ الذوق بما يتعلق بلطائف الكلام لكونه بمنزلة الطعام اللذيذ الشهيّ لروح الانسان المعنوي"(٢). من هنا تحدث عبدالقاهر عن أولئك القاصرين عن فهم موطن الجمال: "فليس الداء فيه بالهيّن، ولا هو إذا رمت العلاج منه وجدت الامكان فيه مع كل أحد مسعفا، والسعي منجحا، لأن المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها، أمور خفية ومعان روحية أنت لا تستطيع أن تنبّه السامع لها وتحدث له علماً بها، حتى يكون مهيأ لادراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساساً(٣).

الرّمز:

للتعريض والكناية والرمز والإشارة فضل ومزية عند عبدالقاهر نبه إليها قائلاً: "هذا فن من القول دقيق المسلك، لطيف المأخذ، وهو أنّا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب، ... وكما أن الصفة إذا لم تأتك مصرّحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولاً عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها، كذلك اثباتك الصفة للشيء تثبتها له، إذا لم تُلْقه إلى السامع صريحاً، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق، ما لا يقل قليله، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه. وتفسير هذه الجملة وشرحها: أنهم يرومون وصف الرجل ومدحه وإثبات معنى من المعاني الشريفة له، فيدَعون التصريح بذلك، ويكْنون عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبس به، ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الاثبات، لا من الجهة الظاهرة المعروفة، بل من طريق يخفى، ومسلك يدِقّ.

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٣٤٥.

(٢) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم: ٤٨٨/١.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٣٤٣-٣٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثاله قول زياد الأعجم: [الكامل]

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج"(١)

السجع:

أو التسجيع، أو الأسجاع. وقد قرنه عبدالقاهر بالتجنيس في معرض تناولهما، ففي توخي اللفظ السليم يقول: "وليس اللفظ السليم من ذلك بمعوزٍ ولا بعزيز الوجود، ولا بالشيء لا يستطيعه إلا الشاعر المفلق والخطيب البليغ، فيستقيم قياسه على السجع والتجنيس ونحو ذلك مما إذا رامه المتكلم صعب عليه تصحيح المعاني وتأدية الأغراض..."(٢). وفي موضع آخر يقول: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً، ولا تجد عنه حِوَلا... ومثال ما جاء من السجع هذا المجيء، وجرى هذا المجرى في لين مقادته، وحل هذا المحل من القبول، قول القائل: (اللهم هب لي حمدا، وهب لي مجدا، فلا مجد إلا بفَعال، ولا فعال إلا بمال)"(٣). ويقول: "لو عمد عامد إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعى فيها معنىً ويؤلف منها كلاماً، لم تر عاقلا يعتد السهولة فيها فضيلة، لأن الألفاظ لا تراد لأنفسها، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني. فإذا عدمت الذي له تراد، أو اختلّ أمرها فيه، لم يعتدّ بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها، وكانت السهولة وغير السهولة فيها واحدا. ومن ههنا رأيتَ العلماء يذمّون من يحمله تطلّب السجع والتجنيس على أن يَضيم لهما المعنى، ويُدخل الخلل عليهما من أجلهما كالذي صنع أبو تمام... ويصنعه المتكلفون في الأسجاع"(٤). ويقول في تكلف السجع: "فصعوبة ما صعب من السجع هي صعوبة عرضت في المعاني من أجل الألفاظ، وذلك أنه

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٠١. والبيت مضت الإشارة إليه في (التعريض والكناية).

(٢) نفسه: ٥٤.

(٣) نفسه، أسرار البلاغة: ١٠-١٢.

(٤) نفسه، دلائل الاعجاز: ٣٣٠-٣٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صعب عليك أن توفق بين معاني تلك الألفاظ المسّجعة وبين معاني الفصول التي جعلت أردافا، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدلت عن أسلوب إلى أسلوب، ... وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك وإزاء ناظرك، وإنما كان يتصور أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى أن لو كنت إذا طلبت المعنى فحصّلته، احتجت إلى أن تطلب اللفظ على حدة، وذلك محال"(١). وكلام عبدالقاهر هذا يدل على تغليب الاهتمام بالنظم على أن يكون السجع مقصوداً إليه ومتكلّفاً في إيراده.

السرقة:

أو الأخذ؛ أو الحذو. وفيه يقول عبدالقاهر: "اعلم أن الحكم على الشاعر بأنه أخذ من غيره وسرق، واقتدى بمن تقدم وسبق، لا يخلو من أن يكون في المعنى صريحاً، أو في صيغة تتعلق بالعبارة"(٢). وفي موضع آخر يقول: "ومما إذا تفكر فيه العاقل أطال التعجب من أمر الناس ومن شدة غفلتهم قول العلماء حيث ذكروا الأخذ والسرقة: إن من أخذ معنى عاريا فكساه لفظاً من عنده كان أحق به، وهو كلام مشهور متداول... ثم لا ترى أحداً من هؤلاء الذين لهجوا بجعل الفضيلة في اللفظ يفكر في ذلك فيقول: من أين يتصور أن يكون ههنا معنى عار من لفظ يدل عليه؟ ثم من يعقل أن يجيء الواحد منا لمعنى من المعاني بلفظ من عنده إن كان المراد باللفظ نطق اللسان؟"(٣). ويمضي عبدالقاهر في بيان فساد الرأي بأن المعنى يكسى لفظاً من عند غير صاحبه، مبيّناً ما للنظم الذي حقيقته توخّي معاني النحو وأحكامه من فضل ومزية، لينتهي إلى القول: "واعلم أنه إنما أتى القوم من قلة نظرهم في الكتب التي وضعها العلماء في اختلاف العبارتين على المعنى الواحد، وفي كلامهم في أخذ الشاعر من الشاعر، وفي أن يقول الشاعر أن على الجملة في معنى واحد وفي الاشعار التي دوّنوها في هذا المعنى ولو أنهم كانوا أخذوا أنفسهم بالنظر في تلك

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٥٥.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٤١.

(٣) نفسه، دلائل الاعجاز: ٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتب وتدبروا ما فيها حق التدبر لكان يكون ذلك قد أيقظهم من غفلتهم وكشف الغطاء عن أعينهم. وقد أردت أن أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد، وهو ينقسم قسمين: قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلاً ساذجا، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب، وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصوّر..."(١). ثم يورد أمثلة على كل قسم لينتهي إلى القول: "واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر، وكان التالي من الشاعرين يجيئك به معادا على وجهه لم يُحدث فيه شيئاً ولم يغير له صفة، لكان قول العلماء في شاعر: إنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد، وفي آخر: إنه أساء وقصّر لغواً من القول من حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئاً..."(٢). وكل ما يسوقه عبدالقاهر من أمثلة يؤيد فيها دعواه بأن اللفظ لا شأن له، وأن المعنى هو موضع التفاضل: "لو عمد عامد إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعي فيها معنى ويؤلف منها، كلاماً، لم تر عاقلاً يعتد السهولة فيها فضيلة، لأن الألفاظ لا تراد لأنفسها وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني"(٣).

ليست السرقة عند عبدالقاهر مجرد لفظ ومعنى، وإنما الأمر صياغة وتصوير، فهو يقول: "وجملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتماً أو سواراً أو غيرهما من أصناف الحلي بأنفسهما، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف كلاماً وشعراً من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النمو وأحكامه. فإذن ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من أن يعمد إلى بيت فيضع مكان كل لفظة منها لفظة في معناها إلا أن يسترك عقله ويستخف..."(٤).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٣٠٦.

(٢) نفسه: ٣٢٠.

(٣) نفسه: ٣٣٠.

(٤) نفسه: ٣٠٥-٣٠٦، وكذلك ٣١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلّق جماعة من العلماء المحدثين على رأي عبدالقاهر في السرقة الأدبية، فرأى إحسان عباس أن "عدم وقوفه طويلا عند السرقة يدلنا على أنه لم يعد يعد تلك الظاهرة أمراً أساسياً في النقد الأدبي"(١). بينما يرى محمود السمرة أن "نظرية عبدالقاهر في معالجة السرقات هي أرقى ما وصل إليه النقاد الغربيون، ولكن هذه النظرية جمدت عند النقاد العرب بعد عبدالقاهر"(٢). وأبان شوقي ضيف جذور بحث السرقة عند عبدالقاهر قائلا: "ويلتفت عبدالقاهر إلى معنى مهم، هو أن تفسير بيت أو آية من الذكر الحكيم لا يساويهما في نظم التعبير وأدائه، وفي ذلك الشهادة الناطقة بأن المعوّل في البلاغة والاعجاز إنما هو على النظم، وإلا أصبح لتفسير البيت بلاغته ولتفسير القرآن إعجازه، وهو ما لا يقول به أحد. ويؤديه ذلك إلى فكرة دقيقة في بحث السرقات الشعرية، وهي أن يتبين مهما اتّفقا في المعنى لا بد أن يقوم بينهما خلاف في أدائه ونظمه وهيئة تعبيره... ويبيّن ما كل بيتين أو أبيات تشترك في معنى من فرق في النظم والأداء، ويسمى هذا الفرق باسم (الصورة)..."(٣). غير أن شوقي ضيف يرى في موضع آخر أن "أطرف ما وصل إليه عبدالقاهر عن طريق نظريته في النظم أن أنكر السرقات في الشعر جملة، لأن لكل شاعر أسلوبه ونظمه في عرض المعنى الذي يشترك فيه مع غيره"(٤).

وفي معرض تتبع أحمد مطلوب لرأي عبدالقاهر في السرقة وكلامه على الاحتذاء قال: "لقد ربط عبدالقاهر السرقات بنظرية النظم، ولذلك لم يحكم على السرقة بالمعاني العامة أو بالألفاظ، وإنما بترتيب الكلام وإخراجه في صورة جديدة... وذكر أيضاً أن إضافة الشعر إلى صاحبه ليس في الألفاظ بل في النظم... وكان عبدالقاهر آخر من صدر في معالجة مشكلة السرقة والأخذ عن فلسفة ثابتة

---

(١) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٤٣٨.

(٢) محمود السمرة، القاضي الجرجاني: ٢٦٠.

(٣) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ: ١٨٦.

(٤) نفسه، النقد: ٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفكرة واضحة، لأن الذين جاءوا من بعده لم يستفيدوا مما أثاره، لابتعادهم عن نظرية النظم التي التزم بها وبنى عليها آراءه في البلاغة والنقد"(١).

وكذلك ردّ محمد بركات أبو علي ما عرضه من رأي عبدالقاهر في الأخذ والسرقة إلى الصورة، فهو يقول: "ولهذا جعل عبدالقاهر من أسس نظرية النظم عنده فهم معنى الصورة، وفهم المعاني المثبتة بين الكلم..."(٢).

ويتسع بنا المقام إن استقصينا آراء علماء محدثين آخرين في موقف عبدالقاهر من السرقة، والأخذ، ولعل فيما استدللنا به غنى. ومهما يكن من أمر، فإن عبدالقاهر عرض لمشكلة السرقات في كتابه أسرار البلاغة من منظور بلاغي، وعرض لها في كتابه دلائل الإعجاز من منظور نظرية النظم، ولم يكن حفيّاً بها، وإنما عرض لها دون أن يقف مطوّلا، واهتم بفكرة تصوير المعنى التي سنعرض لها في "الصورة" عند عبدالقاهر، فالصّور المتعددة عند الأدباء هي موضوع الموازنة بين كل منهم، بعيداً عن الألفاظ المترادفة أو المعاني المتّحدة. وأظهر ما للتخييل من تأثير في إحداث التفاضل بين الأدباء من حيث ألوان الجمال وكيف يمكن للشاعر المبدع أن يضفي جمالا على النص من خلال تصوير المعنى. ومن هنا ألمح محمد مصطفى هدارة إلى أن تناول عبدالقاهر لمشكلة السرقة كانت في كتابيه متكاملة، وأنه "قد قال الكلمة الأخيرة في دراسة السرقات، عندما أبعدها عن دائرة الجمود والاتهام وتلفيق أخذ المعاني، وجعلها جزءاً من علم البلاغة يتوصل عن طريقها إلى أسراره. ودرسها دراسة فنية خالصة للمعاني وتطورها وتأثر الشعراء بعضهم ببعض"(٣).

---

(١) أحمد مطلوب، عبدالقاهر الجرجاني، بلاغته ونقده: ١٨٣-١٩٨.

(٢) محمد بركات أبو علي، معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني: ١٢٣.

(٣) محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي: ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصدق والكذب:

في بحث عبدالقاهر قضية الأخذ والسرقة عرض للأخذ من المعاني بقسميها: العقلي والتخييلي، وبسط القول في القسم العقلي، ثم انتقل إلى القسم التخييلي فقال: "وأمّا القسم التخييلي فهو الذي لا يمكن أن يقال إنه صدق وأن ما أثبته ثابت وما نفاه منفي... ثم إنه يجيء طبقات، ويأتي على درجات، فمنه ما يجيء مصنوعا قد تُلطّف فيه واستعين عليه بالرفق والحِذق حتى أعطي شبها من الحق وغُشّي رونقا من الصدق، باحتجاج تُمحّل وقياس تُصنع فيه وتُعمّل... وعلى هذا موضوع الشعر والخطابة أن يجعلوا اجتماع الشيئين في وصف علة لحكم يريدونه وإن لم يكن كذلك في المعقول ومقتضيات العقول، ولا يؤخذ الشاعر بأن يصحّح كونَ ما جعله أصلاً وعلّة كما ادّعاه فيما يُبرم أو يُنقض من قضية. وأن يأتي على ما صيّره قاعدة وأساساً ببينة عقلية، بل تُسلّم مقدمته التي اعتمدها بلا بيّنة... وكذلك قول من قال: (خير الشعر أكذبه) فهذا مراده لأن الشعر لا يكتسب -من حيث هو شعر- فضلاً ونقصاً وانحطاطا وارتفاعاً بأن ينحل الوضيع صفة من الرفعة هو منها عارٍ... وأمّا من قال في معارضة هذا القول: (خير الشعر أصدقه)... فقد يجوز أن يراد به أن خير الشعر ما دلّ على حكمة يقبلها العقل وأدب يجب به الفضل، وموعظة تروّض جماح الهوى... فمن قال: (خيره أصدقه) كان تركُ الإغراق والمُبالغة والتجوز إلى التحقيق والتصحيح، واعتمادُ ما يجري من العقل على أصل صحيح، أحبَّ إليه وآثر عنده، إذ كان ثمره أحلى، وأثره أبقى... ومن قال: (أكذبه) ذهب إلى أن الصنعة إنما تمدّ باعها وتنشر شعاعها ويتسع ميدانها... حيث يُعتمد الاتساع والتخييل، ويُدّعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل، وحيث يُقصد التلطف والتأويل... وما كان العقل ناصره والتحقيق شاهده، فهو العزيز جانبه المنيع مناكبه، وقد قيل: الباطل مخصوم وإن قضي له والحق مُفلِجٌ وإن قضي عليه..."(١).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٤١-٢٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا نرى عبدالقاهر يربط بين التخييل والكذب، ولا ريب في أن قضية الصدق الفني ترتبط بالتخييل. وقد أوضح عبدالقاهر ما أراده بالتخييل فقال: "الذي أريده بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً، ويدّعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى"(١).

الصورة:

يقول عبدالقاهر: "واعلم أن قولنا: الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان بَيْنُ إنسانٍ مِنْ إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان بيْنُ خاتم من خاتم وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونةً في عقولنا وفرقاً، عبّرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورةٌ غير صورته في ذلك، وليس العبارة عن ذلك بالصور شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر... واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر، وكان التالي من الشاعرين يجيئك به معاداً على وجهه لم يُحدث فيه شيئا ولم يغير له صفة، لكان قول العلماء في شاعر: أنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد، وفي آخر: أنه أساء وقصّر، لغواً من القول من حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئاً..."(٢).

ويوضح عبدالقاهر ذلك بقوله: "وجملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتما أو سوارا أو غيرهما من أصناف الحليّ بأنفسهما، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف كلاماً وشعراً من غير أن يُحدِث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٥٣.

(٢) نفسه: دلائل الاعجاز: ٣٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحكامه"(١). وينتهي إلى القول: "وجملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة، إن لم يقدم فيه ما قدم ولم يؤخر ما أخر وبُدئ بالذي ثُنّي به أو ثني بالذي ثلث به، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصنعة. وإذا كان كذلك فينبغي أن ينظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصنعة في الألفاظ، يحصل له ذلك أم من معاني الألفاظ؟..."(٢).

وجليٌّ أن نظرية النظم عند عبدالقاهر تقوم على التصوير، والمعاني هي المادّة التي يشكّل منها الشاعر صورة كما يصنع الصانع الحاذق، وقد يأخذ شاعران معنى واحداً فيخرجه كل منهما بصورة تختلف عن الصورة الأخرى، يقول: "وقد أردت أن اكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد، وهو ينقسم قسمين: قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلا ساذجاً، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب. وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصور"(٣). وتحدث عبدالقاهر عن تشكيل الصورة وأهمية أن تكون متكاملة بحيث إذا حذف جزء منها انهارت أو اضطربت، فقال: "وإنما الصنعة والحذق والنظر الذي يلطف ويدق في أن تُجمع أعناقُ المتنافرات والمتباينات في ربقة... وما شرُفت صنعة، ولا ذُكر بالفضيلة عمل إلا لأنهما يحتاجان من دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما، ويحتكمان على من زاولهما والطالب لهما من هذا المعنى ما لا يحتكم ما عداهما، ولا يقتضيان ذلك إلا منجهة إيجاد الائتلاف في المختلفات. وذلك بيّن لك فيما تراه من الصناعات وسائر الأعمال التي تنسب إلى الدقة، فإنك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها أشدّ اختلافاً في الشكل والهيئة، ثم كان التلاؤم بينها -مع ذلك- أتمّ، والائتلاف أبين، كان شأنها أعجب، والحذق لمصوّرها أوجب"(٤). ويقول:

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٣٠٥.

(٢) نفسه: ٢٣٥.

(٣) نفسه: ٣٠٦.

(٤) نفسه، اسرار البلاغة: ١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فقد عرفت قضية الأصنام وما عليه أصحابها من الافتتان بها والاعظام لها، كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور، ويشكّله من البدع، ويوقعه في النفوس من المعاني التي يُتوهم بها الجماد الصامت في صورة الحي الناطق، والموات الأخرس في قضية الفصيح المعرب والمبين المميز، والمعدوم المفقود في حكم الموجود المشاهد"(١).

وأقطاب الصورة عند عبدالقاهر، التي منها تتشكل وتُخلق هي ما عرضه في كتابيه الأسرار والدلائل من أقطاب البلاغة عنده وهي: "الكناية والاستعارة والتمثيل وضروب المجاز والايجاز"(٢)، فهي السبب في المحاسن التي نراها في النظم، وبقدر الإجادة فيها يكون لنظم مزية على نظم. وإلى هذا ذهب محمد بركات أبو علي في قوله تعقيباً على مقولة عبدالقاهر "انهم لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسهم أساساً وبنوا على قاعدة، فقالوا: إنه ليس إلا المعنى واللفظ ولا ثالث" فقال: "ولهذا جعل عبدالقاهر من أسس نظرية النظم عنده فهم معنى الصورة، وفهم المعاني المثبتة بين الكلم، وهذا يفسر مفهوم (الاسناد) الذي يدخل في دائرة النظم"(٣).

ويعلق شوقي ضيف على مفهوم الصورة عند عبدالقاهر بقوله: "وهي فكرة طريفة منتهى الطرافة، ولو اعتنقها أصحاب البلاغة في عصر عبدالقاهر وبعده لخففوا من حدة بحثهم في السرقات الشعرية، وعرفوا أن للاحق دائماً فضلاً في الصورة التي يُخرج بها المعنى إخراجاً جديداً. وإنما أدّى عبدالقاهر إليها بحثه في نظم الكلام ونسقه، واتخاذهما ميزاناً لبلاغته..."(٤).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣١٧.

(٢) نفسه، دلائل الاعجاز: ٣٣١.

(٣) محمد بركات حمدي أبو علي، معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني: ١٢٣، ١٣٢.

(٤) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ: ١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الضرب:

ينظر: النمط.

الطريقة:

ينظر: النمط.

الغموض:

يرى عبدالقاهر أنه "من المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضنّ وأشغف"(١). وفي موضع آخر يقول: "إن ما طريقه التأول يتفاوت تفاوتاً شديداً، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ويُعطى المقادة طوعاً... ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدقّ ويغمُض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة... لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة.."(٢). ويرى أن "أُنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفيّ إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكنى، وأن تردّها في الشيء تعلّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الاحساس، وعمّا يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواسّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدّ الضرورة يفضُل المستفادَ من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام..."(٣). وينتهي إلى القول: "ان الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدن له، كانت صبابة النفوس به أكثر، وكان

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٢٦.

(٢) نفسه: ٨٣-٨٤.

(٣) نفسه: ١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالشغف منها أجدر..."(١). و"المعنى إذا أتاك ممثّلا فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له، والهمّة في طلبه، وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر، وإياؤه أظهر، واحتجابه أشدّ..."(٢).

ويرى أحمد مطلوب أن عبدالقاهر لا يريد بالغموض "ذلك المعقد الذي يعثر الفكر في متصرفه ويشيك الطريق إلى المعنى ويوعر المذهب، بل ربما قسم الفكر وشعّب الظن حتى يلتبس الأمر"(٣).

فرط الاستقصاء:

تحدث عبدالقاهر عنه في بحث التشبيه وفضل العناية بتأكيد ما بدئ به، فكان مما قاله: "... ويشبه هذا الموضع في زيادة أحد التشبيهين -مع أن جنسهما جنس واحد وتركيبهما على حقيقة واحدة- بأن في أحدهما فضل استقصاء ليس في الآخر قول ابن المعتز في الآذريون: [الطويل]

وطاف بها ساقٍ أديبٌ بمبزل كخنجر عيّار صناعته الفتْكُ

وحُمّل آذريونة فوق أذنه ككأس عقيق في قرارتها مسكُ(٤)

مع قوله: [الرجز]

مداهن من ذهبٍ فيها بقايا غالية(٥)

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١١٨.

(٢) نفسه: ١٢٦.

(٣) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم: ١٥٣/٢.

(٤) ابن المعتز، ديوانه:٢٨٨/٢. وبين البيتين بيت آخر. العيار: أصله النشيط في المعاصي ويريد: الفاتك، والآذريون: ورد له أوراق حمر في وسطه سواد، والقرارة: يعني أسفل جوفها، والغالية: أخلاط من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن، لونه مائل إلى السواد.

(٥) نفسه: ٤٨٣/٢. وقبله: كأن آذريونها غبّ سماء هامية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول ينقص عن الثاني شيئاً... وممّا حقه أن يكون على فرط الاستقصاء في التشبيه وفضل العناية بتأكيد ما بدئ به قول أبي نواس في صفة البازي: [الرجز]

كـأن عينيــه إذا مـا أتْـأرا فصّان قيضا من عقيق أحمـرا

في هامة غلباء تهدى مِنْسَرا كعطـفـة الجـيم بكـفـّ أعسـرا(١)

أراد أن يشبه المنقار بالجيم... وجملة القول أنك متى زدت في التشبيه على مراعاة وصف واحد أو جهة واحدة، فقد دخلت في التفصيل والتركيب وفتحت باب التفاضُل، ثم تختلف المنازل في الفضل بحسب الصورة في استنفادك قوة الاستقصاء، أو رضاك بالعفو دون الجهد"(٢).

الفصاحة:

ينظر: البراعة.

الفصل والوصل:

ربطه عبدالقاهر بباب العطف، وأجمل مواضعه قائلاً: "أعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلاّ الأعراب الخلّص، وإلاّ قومٌ طبعوا على البلاغة، وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدّاً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سُئل عنه فقال: (معرفة الفصل من الوصل)، ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمُل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلا كَمَلَ لسائر معاني

---

(١) أبو نواس، ديوانه: ٢٢٤.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٦١-١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاغة... واعلم أنّه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: (إنه خفي غامض، ودقيق صعب) إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدقّ وأصعب"(١).

وبحثَ في شأن فصل الجمل ووصلها فانتهى إلى "أن الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكَّد، فلا يكون فيها العطف البتة، لشبه العطف فيها لو عُطِفت بعطف الشيء على نفسه. وجملةٌ حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافا إليه، فيكون حقها العطف. وجملة ليست في شيء من الحالين بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء، فلا يكون إياه ولا مشاركا له في معنى، بل هو شيء إن ذُكر لم يُذكر إلاّ بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواءً في حاله، لعدم التعلق بينه وبينه رأساً، وحق هذا ترك العطف البتة. فترك العطف يكون إمّا للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطةٌ بين الأمرين، وكان له حال بين حالين، فاعرفه"(٢).

ويرى شوقي ضيف أن عبدالقاهر يورد في مبحث الفصل والوصل: "ملاحظة دقيقة على ما يكون بين فصول الكلام وفقره من روابط يجب أن يُعرف ربطها ومكان هذا الربط، ويصوّر ذلك في آيات التنزيل: "وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين، ولكنّا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العُمُر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين". القصص/٤٤-٤٥. فإننا لو جرينا على الظاهر وجعلنا كل جملة معطوفة على ما يليها منع من ذلك المعنى، إذ يلزم أن يكون قوله: (وما كنت ثاويا في أهل مدين) معطوفا على قوله: (فتطاول عليهم العمر) مما يقتضي دخول (وما كنت ثاويا) في معنى لكن، ويصبح اطراد الكلام كأنه قيل: ولكنك ما كنت ثاويا، وذلك ما لا يخفى

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٤٩-١٥٥.

(٢) نفسه، دلائل الاعجاز: ١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-كما يقول عبدالقاهر- فساده... وهي ملاحظة نفيسة لم يستغلها البلاغيون بعد عبدالقاهر في بحث الصلة بين الفِقَر وما بداخلها من عبارات. ونؤمن بأنّه استلهم في ذلك كلام أرسطو في الخطابة عن الفقر ومراعاة الروابط وتداخل الكلام بعضه في بعض"(١).

ومما تناوله عبدالقاهر في بحثه الوصل بالواو ولأنه "إنما يعرض الإشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف، وذاك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني، مثل أن (الفاء) توجب الترتيب من غير تراخ و(ثم) توجبه مع تراخ و(أو) تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه... وليس للواو معنى سوى الاشراك في الحكم الذي يقتضيه الاعراب الذي أتْبعت فيه الثاني الأول... ولا يُتصوّر إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشراك فيه"(٢).

الفنّ:

ينظر: النّمط.

القصر:

ينظر: الحصر.

الكناية:

ينظر: التعريض والكناية.

اللفظ والمعنى:

يرتبط اللفظ بغيره، كارتباطه بلفظ آخر أو ارتباطه بالمعنى، وقد يقع الاهتمام باللفظ مجرداً عن غيره، فيكون لفظاً خفيفاً غير متنافر الحروف ولا سخيفاً بارداً،

---

(١) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ: ١٧٩-١٨٠.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغير ذلك من صفات لمحاسن الألفاظ وعيوبها. والأكثر عند علماء البلاغة أن يقترن اللفظ بالمعنى. ولعبدالقاهر في هذه ا لقضية وجهة نظر نجدها في قوله: "ينبغي لنا أن ننظر إلى المتكلم هل يستطيع أن يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئاً ليس هو له في اللغة حتى يجعل ذلك من صنيعه مزية يعبر عنها بالفصاحة؟ وإذا نظرنا وجدناه لا يستطيع أن يصنع باللفظ شيئاً أصلا، ولا أن يحدث فيه وصفاً! كيف وهو إن فعل ذلك أفسد على نفسه وأبطل أن يكون متكلّماً، لأنه لا يكون متكلماً حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت هي عليه... ولمّا لم تزد إفادته في اللفظ شيئاً لم يبق إلا أن تكون عبارة عن مزية في المعنى. وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للّفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بما يليها..."(١).

وفي موضع آخر يقول: "ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على اللفظ ثم تعترضك شبهة ولا يكون منك توقف في أنها ليست له ولكن لمعناه، قولهم: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك، وقولهم: يدخل في الأذن بلا إذن. فهذا مما لا يشك العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى، وأنه لا يتصور أن يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة،... وجملة الأمر أنه إنما يتصور أن يكون المعنى أسرع فهماً منه لمعنى آخر إذا كان ذلك مما يدرك بالفكر... وذلك محال في دلالات الألفاظ اللغوية، لأن طريق معرفتها التوقيف والتقدم بالتوقيف. وإذا كان ذلك كذلك، علم بالضرورة أن مصرف ذلك إلى دلالات المعاني على المعاني، وأنهم أرادوا أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى لأول تجعله دليلاً على المعنى الثاني..."(٢).

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) نفسه: ١٧٧-١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقرر عبدالقاهر أن اللفظ والمعنى كلاهما معاً ليس لهما شأن كبير ما لم ينتظم اللفظ فيقول: "واعلم أنا لم نوجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه فنستند إلى اللغة، ولكنا أوجبناها للعلم بمواضعها وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأن الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ وثم له بشرط التراخي... ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت وألّفت رسالة أن تحسن التخير وأن تعرف لكل من ذلك موضعه"(١).

فعبدالقاهر لم يجعل للمعنى قيمة تعلو على اللفظ ولا أعطى اللفظ مزية على المعنى، لكنه رأى "أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة... كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه..."(٢). وعنده أن: "الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"(٣).

وليس غريباً على عبدالقاهر الخوض في مسألة اللفظ والمعنى وهو من المتكلمين، ومعلوم أن هذه القضية كانت وليدة خوضهم في القول بإعجاز القرآن، أمعجز بلفظه أم في معناه؟ فكان لمتكلمي المعتزلة رأي وللأشاعرة رأي "ولهذا نرى عبدالقاهر يوجه النقد في مواضع عديدة من الدلائل إلى اللفظ والمعنى في مرد الفصاحة والاعجاز إليهما أو أحدهما، بل يجعل الفصاحة والاعجاز في النظم

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٦٧.

(٢) نفسه: ١٧٠.

(٣) نفسه، أسرار البلاغة: ٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتراكيب الكلام"(١) وهكذا حتى سلكت قضية اللفظ والمعنى طريق النقاد في بحثهم عن عملية الابداع والمراحل التي يقطعها الشاعر أو الأديب في خلق عمله الفني.

وأوضح عبدالقاهر اعتداده بـ "الصورة" وإبراز قيمتها وأطّراحه أهمية اللفظ والمعنى في تشكيل هذه الصورة، بأن عقد فصلا للموازنة بين "المعنى المتحد واللفظ المتعدد"(٢) لبيان فساد رأي من قال بأهمية المعنى ولم يحفل باللفظ، ثم عقد فصلا آخر من الموازنة بين شعرين "فإنك ترى عيانا أن للمعنى في كل واحد من البيتين... صورة وصفة غير صورته وصفته في البيت الآخر"(٣). ويقول: "ليس العبارة بالصورة (عن البينونة بين المعنى في أحد البيتين وبينه عن المعنى في الآخر) شيئا نحن ابتكرناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء، ويكفيك قول الجاحظ: (وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير)"(٤).

المجاز:

ينظر: الحقيقة والمجاز.

المذهب:

ومذاهب نقاد الكلام.

ينظر: النمط.

---

(١) عبدالقادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي: ٣٥٩.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٣٠٦.

(٣) نفسه: ٣١٩.

(٤) نفسه: ٣٢٠. وكلام الجاحظ: "فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير" ورد في كتابه الحيوان: ١٣٢/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعاني:

قسمها عبدالقاهر "قسمين: عقلي، وتخييلي، وكل واحد منهما يتنوع"(١). وأطال الكلام عليها وسمى موضوعات علم المعاني (معاني النحو) أو النظم، وهو عنده "تعليق الكلام بعضه ببعض وجعل بعضه بسبب من بعض"(٢). "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك"(٣).

وإذا كان الكلام لا بد أن "يشتمل على نسبة تامّة بين طرفيه وهي تعلّق أحدهما بالآخر تعلّقاً يصح السكوت عليه"(٤) انحصر علم المعاني في أبواب تنتظم "الاسناد ومتعلقات الفعل والقصر والانشاء والفصل والوصل والايجاز والاطناب والمساواة"(٥).

المعقّد والملخّص:

يقول عبدالقاهر: "والمعقد من الشعر والكلام لم يذم لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة، بل لأن صاحبه يعثر فكرك في متصرفه ويشيك طريقك إلى المعنى ويوعر مذهبك نحوه، بل ربما قسّم فكرك وشعّب ظنك حتى لا تدري من أين تتوصل وكيف تطلب"(٦). وأمّا الملخص فيفتح لفكرتك الطريق المستوي ويمّهده، وإن كان فيه تعاطف أقام عليه المنار وأوقد فيه الأنوار، حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته، وتقطعه قطع الواثق بالنُّجح في طيّته، فترد الشريعة زرقاء، والروضة غناء، فتنال الرّيّ وتقطف الزهر الجنيّ".

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٤١.

(٢) نفسه، دلائل الاعجاز: ١٢.

(٣) نفسه: ٥١.

(٤) بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية: ٤٥٣.

(٥) نفسه: ٤٥٣.

(٦) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وواضح أن الملخص من الكلام هو ما كان واضحاً بيّنا، خلاف المعقد الذي يحتاج إلى جهد في تقريب المعنى.

المعنى:

ينظر: اللفظ والمعنى.

معنى المعنى:

فرّق عبدالقاهر بين المعنى ومعنى المعنى، أي المعنى الأول والمعنى الثاني، فقال: "... تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"(١). ولا يتوصل إلى معنى المعنى إلا عن طريق صور البيان، ومن هنا قال عبدالقاهر: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل..."(٢) إلى أن يقول: "فاعلم أنهم يضعون كلاماً قد يفخمون به أمر اللفظ ويجعلون المعنى أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى فكنّى وعرّض ومثّل واستعار، ثم أحسن في ذلك كله وأصاب، ووضع كل شيء منه في موضعه وأصاب به شاكلته، وعمد فيما كنّى به وشبّه ومثّل لما حسن مأخذه ودقّ مسلكه ولطفت إشارته، وأن المِعْرض وما في معناه، ليس هو اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني كمعنى قوله: [الوافر]

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٧٥.

(٢) نفسه: ١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما يك فيّ من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل(١)

الذي هو دليل على أنه مضياف، فالمعاني الأول المفهومة من أنفس الألفاظ هي المعارض والوشْيُ والحلْيُ وأشباه ذلك، والمعاني الثواني التي يومأ إليها بتلك المعاني هي التي تُكسى تلك المعارض وتُزيّن بذلك الوشْي والحلْي"(٢).

وهكذا مضى عبدالقاهر في شرح "معنى المعنى" المنبثق عن المعنى الأول والذي ينتقل بمتلقي الكلام عن طريق الدلالات إلى المعنى المراد فيما وراء ظلال التراكيب، فكأنه معنى مصور في صور فنيّة، ولا يصلح شيء منه إذا أخذ معنى الكلام على الحقيقة اللغوية، بينما إذا زيّن الكلام بكناية أو استعارة أو تمثيل أو تشبيه، فإن معناه يؤدي إلى المعنى الآخر. والشاعر في قوله: "جبان الكلب مهزول الفصيل" انتقل من معنى الألفاظ الوضعية إلى معنى آخر هو أنه مضياف، جبُن كلبه لأنه ألف نزول الناس للقرى وصار الفصيل هزيلا لأن أمه ذبحت للضيفان فلم تعد ترأم فصيلها.

ويرى حمّادي صمّود أن البلاغيين قبل عبدالقاهر "ينظرون إلى الكلمة من زاوية استبدالية، أي من زاوية إمكانيات التعاوض القائمة بين وحدات المعجم، ولم يهتموا كثيرا بعلاقاتها السياقية، وأهمية تلك العلاقات في تحديد بنية الصورة... وأول مظهر من مظاهر انفصال الجرجاني عن هذه الطريقة في النظر، ربطه المجاز بمعنى اللفظ لا باللفظ، ورفضه فكرة النقل مقياساً للتفسير"(٣). ويقرر صمّود أن "الجرجاني من أبرز من اعتبروا المجاز مندرجا في علم دلالات اللغة، ولهذا السبب اتجهت عنايته إلى التركيب اللغوي وطرق أداء المعنى، في نطاق منهج متكامل تؤلف نظرية النظم بين أجزائه... وسنرى إبان دراسة المنهج كيف أن

---

(١) هذا البيت بلا نسبة، وهو عائر لا ثاني له، أورده الجاحظ في الحيوان: ٣٨٤/١. وهو في حماسة المرزوقي: ١٦٥٠/٤.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٧٥-١٧٦.

(٣) حمّادي صمّود، التفكير البلاغي عند العرب: ٤١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة الفنية عنده لا تنفصل عن السياق الذي تتنزل فيه، وهذا التصور ينم عن فهم عميق لما يحدث بين عناصر اللغة من تفاعل عندما ينتظمها الكلام"(١). ويقول في موضع آخر: "ونظرية معنى المعنى بالإضافة إلى كونها قانوناً كلّيا يفسّر دلالة المجاز، تساعد على فهم جانب مهم من المقاييس البلاغية وتخريجها على وجه صحيح معقول. ففي ضوء هذا القانون نفهم الايجاز والايحاء، فقولهم في البلاغة إنها كثرة المعنى مع قلة اللفظ لا معنى له إذا لم نقرّ بتولد المعنى عن المعنى، لأنه لا سبيل أن ندخل تغييراً في المواضعة بتكثير معنى اللفظ أو تقليله. غير أنه (يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظ كثير)"(٢).

وكذلك ألمح إحسان عباس إلى أن عبدالقاهر "انتقل من تفاوت الدلالة إلى مرحلة لم يتنبه إليها أحد قبله من النقاد، وقد اسعفته نظرية الجاحظ في "المعاني المطروحة" على ذلك، فقد خيل إليه أن الناس حين أساءوا فهم نظرية الجاحظ لم يلحظوا تفاوت الدلالات الناجم عن طريق الصياغة. فقولك (خرج زيد) قول تصل منه إلىالمقصود بدلالة اللفظ وحده، ولكنك حين تقول: (هو كثير رماد القدر)، أو (رأيت أسداً) وأنت تريد رجلاً شجاعاً، أو (بلغني أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى)، فإنك في هذه الأقوال تطرح أولاً دلالة أولية، تنتقل منها إلى دلالة ثانية تصل بها إلى غرض جديد.... فمرحلة (معنى المعنى) هي المستوى الفني من الكناية والاستعارة والتشبيه، وفي هذه المرحلة يكون التفاوت أيضاً في الصورة أو الصياغة، لأنه تفاوت في الدلالة المعنوية أيضاً، ومن مرحلة المعنى يتكون علم المعاني ومن مرحلة معنى المعنى يجيء علم البيان"(٣).

---

(١) حمّادي صمّود، التفكير البلاغي عند العرب: ٤١٣.

(٢) نفسه: ٤١٥.

(٣) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٤٢٨-٤٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد شغلت فكرة "معنى المعنى" التي أوردها عبدالقاهر مساحة واسعة من جهود الباحثين في البلاغة العربية والنقد العربي القديم، وحين نستعرض أسماء هؤلاء الباحثين نملأ صحفاً وصحفا، فكيف بنا إذا تجاوزنا الأسماء إلى رأي كل منهم؟! إن النتيجة المرتضاة هي أن يؤتى بالقليل الدالّ على الكثير، ويلمح إلى عدد منهم من غير أن تستقصى جهودهم جميعاً. وفي هذا المقام يحضرني قول الدكتور أحمد أحمد بدوي: "توهّم كثير من الناس عندما سمع عبدالقاهر يعلن في صراحة أن الألفاظ خدم للمعاني وتابعة لها، وأن البلاغة تتبع المعنى... وذلك كله خطأ في التصور، وغلط في التصوير، فلا عبدالقاهر من أنصار المعنى دون اللفظ، ولا الجاحظ من أنصار الصياغة حتى المتكلف منها وما اغتصب. والواقع أن الرجلين متفقان في النظرة إلى الكلام، وأن عبدالقاهر لا يهمل الصياغة، بل يعنى بها كعناية الجاحظ... ويقرّب عبدالقاهر تلك الفكرة للناس ببيان أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه...(١).

ولعلّ ما أفضى به محمد بركات أبو علي بأن "جلّ الدراسات التي قامت حول عبدالقاهر الجرجاني، والتعريف بجهوده البلاغية والأدبية والنقدية والنحوية، وعلى عظيم نفعها ودقة منهجها وصبر دارسيها في استخلاص القيم والنتائج والغايات، فإنها ما قطعت بقولة واحدة: وهي أن الدراسات حول عبدالقاهر قد انتهت أو قيلت فيها الكلمة الأخيرة"(٢).

ويقول أحمد مطلوب: "إن عبدالقاهر المؤمن بنظرية النظم وتوخي معاني النحو لا يمكن أن يميل إلى الألفاظ كل الميل فيجعلها أساساً للمفاضلة، ولا يمكن أن يجنح إلى المعنى الخالي من كل مزية، وإن كان هو الذي يخطر في الذهن ثم يتبعه اللفظ، ولذلك مال إلى ما أشار إليه الجاحظ وهو الصياغة والتصوير ليوفق بين اللفظ

---

(١) أحمد أحمد بدوي، عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية: ١٢٥.

(٢) محمد بركات أبو علي، معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني: ١٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعنى ويجمع بينهما... وهو في هذه المسألة قد قضى على ثنائية اللفظ والمعنى التي شغلت النقاد القدامى زمناً طويلاً... فكان ناقداً ينظر إلى النصوص حيث ينبغي أن ينظر إليها"(١).

وفي معرض شرحه معنى المعنى يقول عبدالقاهر: "وجملة الأمر أنه إنما يتصور أن يكون لمعنى أسرع فهماً منه لمعنى آخر إذا كان ذلك مما يدرك بالفكر وإذا كان مما يتجدد له العلم به عند سمعه للكلام، وذلك محال في دلالات الألفاظ اللغوية، لأن طريق معرفتها التوقيف، والتقدم بالتوقيف(٢). وإذا كان ذلك كذلك، علم(٣) الضرورة أن مصرف ذلك إلى دلالات المعاني على المعاني، وأنهم أرادوا أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول تجعله دليلا على المعنى الثاني، ووسيطا بينك وبينه متمكنا في دلالته مستقلا بوساطته، يسفر بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أبين إشارة، حتى يخيل إليك أنك فهمته من حاقّ اللفظ، وذلك لقلة الكلفة فيه عليك، وسرعة وصوله إليك..."(٤).

ويرى عزالدين اسماعيل أنه "في محاولة من الجرجاني لتطوير نظريته أو لإدراجها ضمن السياق المضموني لقضية اللفظ والمعنى التي كانت الشغل الشاغل للنقاد والبيانيين العرب... نراه يأخذ بأن الألفاظ بمثابة الكساء الذي يبرز المعنى، ثم يذهب إلى أن هذا المعنى الأول يصبح هو نفسه الكساء الذي يبرز المعنى الثاني... ومع التسليم بالأهمية التاريخية لتحديد موقع نظرية الجرجاني من الفكر البياني، فإن نص الجرجاني نفسه في نظرية معنى المعنى ما يزال مفتوحاً للنظر وإعادة النظر... إن المعنى الثاني الذي يحكمه السياق الحضاري ليست له قوة المعنى الأول واستقراره، وإنما هو قابل للتعدد، بل قابل للتغيير أو التراجع أو الاهمال والنسيان

---

(١) أحمد مطلوب، عبدالقاهر الجرجاني: ١١٨.

(٢) كذا في مطبوعة محمد رشيد رضا، وفي مطبوعة شاكر: بالتعريف.

(٣) كذا في مطبوعة محمد رشيد رضا، وفي مطبوعة شاكر: علم علم.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٧٧-١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع مضي الزمن، ولأنه متولد أصلاً من علاقة خاصة بين (المدلولات) المعاني لا (الدوال) الألفاظ..."(١).

المغالطة:

وردت في تناول عبدالقاهر لانقسام المعاني قسمين عقلي وتخييلي، وبيانه أن كل واحد منهما ينتوع، فبدأ بأنواع العقلي ثم عطف على القسم التخييلي "الذي لا يمكن أن يقال إنه صدق وإن ما أثبته ثابت وما نفاه منفي، وهو مفتن المذاهب، كثير المسالك، لا يكاد يحصر إلا تقريبا، ولا يحاط به تقسيماً وتبويباً، ثم إنه يجيء طبقات ويأتي على درجات، فمنه ما يجيء مصنوعاً قد تُلطّف فيه واستعين عليه بالرفق والحذق... ومن ذلك صنيعهم إذا أرادوا تفضيل شيء أو نقصه، ومدحه أو ذمه، فتعلوا ببعض ما يشاركه في أوصاف ليست هي سبب الفضيلة والنقيصة... وعلى هذا موضوع الشعر والخطابة أن يجعلوا اجتماع الشيئين في وصف علة لحكم يريدونه وإن لم يكن كذلك في المعقول ومقتضيات العقول... وحيثُ يُقصد التلطّف والتأويل ويُذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق في المدح والذم والوصف والنعت والفخر والمباهاة وسائر المقاصد والأغراض"(٢).

ويمضي عبدالقاهر في بيان هذا النوع "ونوع آخر وهو أن يدّعى في الصفة الثابتة للشيء أنه إنما كان لعلّةٍ يضعها الشاعر ويختلقها إمّا لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح أو تعظيم أمر من الأمور... وذاك أنّا في وضع الشاعر للأمر الواجب علة غير معقولٍ كونها علة لذلك الأمر... ومما يشبه هذا الفن الذي هو تأوّل في الصفة فقط من غير أن يكون معلول وعلة ما تراه من تأوّلهم في الأمراض والحمّيات أنها ليست بأمراض ولكنها فِطَنٌ ثاقبة وأذهان متوقدة وعزمات... إلا أن ذلك الإيهام أحسن من هذا البيان، وذلك التعجب موقوفاً غير مجاب أولى بالاعجاب"(٣).

---

(١) عز الدين اسماعيل، قراءة في معنى المعنى عند عبدالقاهر الجرجاني - مجلة فصول مج٧، ٣-٤/٤٠-٤٣.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٤٥-٢٥٠.

(٣) نفسه: ٢٥٦-٢٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهنا يذكر الايهام، وهو ما يدعوه المغالطة في مكان آخر بقوله: "ومن هذا الباب قول عُلبة: [الخفيف]

وكأن السماء صاهرت الأر ضَ فصار النثار من كافورِ(١)

وقول أبي تمام: [الطويل]

كأن السحاب الغرّ غيّبْن تحتها حبيباً فما ترقأ لهنّ مدامعُ(٢)

وقول السريّ يصف الهلال: [المنسرح]

جاءك شهر السرور شوّالُ وغال شهرَ الصيام مغتالُ

ثم قال:

كأنّه قيْد فضّةٍ حرِجٍ فُضّ عن الصائمين فاختالوا(٣)

كل واحد من هؤلاء قد خدع نفسه عن التشبيه وغالطها وأوهم أن الذي جرى العرف بأن يؤخذ منه الشبه قد حضر وحصل بحضرتهم على الحقيقة ولم يقتصر على دعوى حصوله حتى نصب له علّة وأقام عليه شاهدا. فأثبت عُلبةُ زقافاً بين السماء والأرض وجعل أبو تمام للسحاب حبيباً قد غُيّب في التراب، وادّعى السريّ أن الصائمين كانوا في قيد وأنه كان حرِجاً فلما فضّ عنهم انكسر بنصفين أو اتسع فصار على شكل الهلال"(٤).

---

(١) ينسب البيت للصاحب بن عباد، الثعالبي، اليتيمة: ٢٣٧/٣. وقوله: علبة توهمه محمد عبدالمنعم خفاجي في تحقيقه أسرار البلاغة: ١٥١/٢، فجعله علية بنت المهدي!.

(٢) أبو تمام، ديوانه: ٥٨٠/٤. والضمير في تحتها عائد إلى دياره، فهو يفخر بقومه في القصيدة التي منها هذا البيت.

(٣) السري الرفاء، ديوانه (الحسني): ٥٨٤/٢.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٦٧-٢٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالايهام، أو المغالطة، أو الأسلوب الحكيم، أو التخييل أو التوجيه، مسميات لما عرف عند البلاغيين بالمعنى من المعاني يُذكر وله مثل في شيء آخر ونقيض، والنقيض أحسن موقعاً وألطف مأخذاً. أو يذكر الشيء وما يُتوهم مقابلاً له وليس كذلك، أو مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب أو تلقي السائل غير ما يتطلب.

الملاحن:

أورد عبدالقاهر في ذكر المجاز وبيان معناه قوله: "ثم اعلم بعد أن في إطلاق المجاز على اللفظ المنقول عن أصله شرطاً وهو أن يقع نقله على وجه لا يعرى معه من ملاحظة الأصل... ولوجوب اعتبار هذه النكتة في وصف اللفظ بأنه مجاز لم يجز استعماله في (الألفاظ التي يقع فيها اشتراك من غير سبب يكون بين المشتركيْن، كبعض الاسماء المجموعة في الملاحن)(١) ، مثل الثور يكون اسما للقطعة الكبيرة من الأقط(٢) والنهار اسم لفرخ الحُبارى والليل لولد الكروان ..."(٣) وذلك أن اسم الثور لم يقع على الأقط لأمر بينه وبين الحيوان المعلوم، ولا النهار على الفرخ لأمر بينه وبين ضوء الشمس أداه إليه وساقه نحوه"(٤). فالملاحن من الألغاز التي يشتبه فيها الكلام في معناه المراد لاشتراكه بمعنيين.

الملخّص:

ينظر: المعقد والملخّص.

---

(١) الملاحن: جمع لحن على غير قياس، أو ملحن، وهو القول الذي يورى به عن غيره.

(٢) الأقط: الجبن المصنوع من اللبن الحامض.

(٣) الحبارى: طائر يضرب به المثل في الحمق، والكروان: طائر طويل الرجلين وهو قريب من الحمامة وله صوت جميل.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٦٥-٣٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المماثلة:

يقول عبدالقاهر: "ينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمّى تمثيلاً لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر... وقد يجيء الشيء من هذا القبيل يُتوهم فيه أن إحدى الجملتين أو الجمل تنفرد وتستعمل بنفسها تشبيها وتمثيلا، ثم لا يكون كذلك عن حسن التأمّل... ومن الواضح في كون الشبه معلقاً بمجموع الجملتين حتى لا يقع في الوهم تميز إحداهما على الأخرى قوله: (بلغني أنك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام). وذلك أن المقصود من هذا الكلام التردد بين الأمرين وترجيح الرأي فيهما، ولا يتصور التردد والترجيح في الشيء الواحد... وذكر أبو أحمد العسكري أن هذا النحو من الكلام يسمَّى المماثلة، وهذه التسمية توهم أنه شيء غير المراد بالمَثَل والتمثيل، وليس الأمر كذلك..."(١).

الموازنة:

قال عبدالقاهر: "... وأعود إلى حديث المجاز وإخفائه ودعوى الحقيقة وحمل النفس على تخيُّلها. فمما يدخل في هذا الفن ويجب أن (يوازَن) بينه وبين ما مضى قولُ سعيد بن حميد: [الخفيف]

وعد البـــدر بالزيارة لـيـلا ... فإذا ما وفى قضيت نذوري

قلت: ســيدي ولم تؤثــر اللــ ... ـيل على بهجة النهار المنير

قال لي: لا أحب تغيير رسمي ... هكذا الرسم في طلوع البدور(٢)

قالوا: وله في ضده: [الخفيف]

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٩٦-١٠٠.

(٢) الأصفهاني، الأغاني (الثقافة): ٩/١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت زوري فأرسلت أنا آتيك سُحرةً

قلت فالليل كان أخـ ـفى وأدنى مسرة

فأجابت بحجة زادت القلب حسرة

أنا شمس وإنما تطلع الشمس بكرة(١)

وينبغي أن تعلم أن هذه القطعة ضد الأولى... فأمّا من حيث يختلف جوهر الشعر ويتفق، وخصوصاً من حيث ننظر الآن، فمثلٌ وشبيه وليس بضد ولا نقيض.

ثم اعلم أنا إن (وازنّا) بين هاتين القطعتين وبين ما تقدم من بيت العباس بن الأحنف: [المتقارب]

هي الشمس مسكنها في السماء فعزّ الفؤاد عزاء جميـــلا

فلن تستطيع إليها الصعـــــود ولن تستطيع إليك النزولا(٢)

وما هو في صورته وجدنا أمراً بين أمرين..."(٣).

وفي موضع آخر يورد بيتي العباس بن الأحنف ويفسرهما ثم يقول: "ويبين لك هذا التفسير والتقرير فضلَ بيانٍ بأن (تقابل) هذا البيت بقول الآخر..."(٤).

وعقّب عبدالقاهر على فصاحة اللفظ بقوله: "إن قصرنا صفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك وجعلناه المراد بها لزمنا أن نخرج الفصاحة من حيّز البلاغة ومن أن تكون نظيرة لها، وإذا فعلنا ذلك لم نخل من أحدِ أمرين: إما أن نجعل العمدة في (المفاضلة) بين العبارتين ولا نعرّج على غيره، وإمّا أن نجعله أحد ما (نفاضل)

---

(١) الأصفهاني، الأغاني (الثقافة): ٧/١٧.

(٢) العباس بن الأحنف، ديوانه (عاتكة): ٢٢١.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٩١-٢٩٢.

(٤) نفسه: ٢٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

به..." وإذا أخذنا بالثاني وهو أن يكون تلاؤم الحروف وجهاً من وجوه الفضيلة وداخلاً في عداد ما (يُفاضل) به بين كلام وكلام..."(١).

ويقول في موضع آخر: "والمقابلات التي تريك الفرق بين الجملة والتفصيل كثيرة، ومن اللطيف في ذلك أن تنظر إلى قوله: [المتقارب]

يتابعُ لا يبتغي غيره بأبيض كالقبس الملتهب(٢)

ثم تقابل به قوله: [الطويل]

جمعت ردينيّاً كأن سنانه سنا لهبٍ لم يتّصل بدخانِ(٣)

فإنك ترى بينهما من التفاوت في الفضل ما تراه..."(٤).

وتبين هذه النقول عن عبدالقاهر أنه تكلم في الموازنة والمفاضلة والمقابلة، إضافة إلى ما عقده في دلائل الاعجاز من الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد، وبين الشعرين والإجادة فيهما بين الطرفين(٥)، ونقوله عن الآمدي صاحب الموازنة(٦)، وعن موازنات المرزباني في أحد فصول "الشعر والشعراء" الذي ذكره بقوله: "وفي كتاب الشعر والشعراء للمرزباني فصل في هذا المعنى حسن" يريد أن

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٥٣.

(٢) البيت لعنترة، ديوانه: ٢٩٤. يصف سيفاً، وهو من أربعة أبيات قالها في مقتل ورد بن حابس بن نضلة الأسدي أحد أبطال حروب داحس. ويروى صدر البيت في ديوانه: تدارك لا يتقي نفسه. وعلى إثره: أي على اثر نضلة، بأبيض: أي بالسيف الذي يشبه القبس في بريقه ولمعانه.

(٣) أمرؤ القيس، ديوانه (السندوبي): ٢١٧. والبيت في وصف رمحه، الرديني: الرمح المقوم منسوب إلى قبيلة ردينة المعروفة بتقويم الرماح.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٤٩-١٥٠.

(٥) نفسه، دلائل الاعجاز: ٣٠٦-٣٢١.

(٦) نفسه، أسرار البلاغة: ٣٥٢، ٣٧٠، ٣٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر "إذا أخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان أحق به"(١). وما أورده عبدالقاهر من أشعار لشعراء متعددين وقدّم الكلام على جملة من ذلك بقوله: "وقد أردت أن اكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد، وهو ينقسم قسمين: قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلاً ساذجاً، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب، وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصوّر..."(٢) بل إن أحمد أحمد بدوي يقول "لعبدالقاهر حسّ مرهف يوازن به بين الشعراء... كما نراه محللا دقيقا في كثير من مواضع الموازنات، ولديه مقدرة قوية لإدراك الفروق بين المعاني... فهو ذو إحساس دقيق بالفروق الدقيقة وبأوجه الشبه الدقيقة بين المعاني"(٣).

وعقّب محمد بركات أبو علي على نقولات عبدالقاهر عن الآمدي بقوله: "هل هذا النقل من عبدالقاهر لآراء الآمدي توصف بأنها جهود نقدية تنضم إلى جهود الآمدي؟ أو أن عبدالقاهر يريد أن يؤصل لنظرية النقد العربي؟ كما فعل الآمدي من خلال كتابه الموازنة"(٤). وما لبث أن تساءل ثانية: "هل يتحدث عبدالقاهر عن النموذج الكامل في صفات الموازن وحقيقة الموازنة، كما كان الهدف الأول الواضح للآمدي في موازنته وللقاضي في وساطته؟. مع هذا وذاك فقد انتفع عبدالقاهر بمنهاج الموازنة بما يعين على توضيح فكره النقدي ومنهجه البلاغي"(٥). وانتهى إلى أن "عبدالقاهر ينقل موازنات في المعاني بين أبي تمام والبحتري والمتنبي ومسلم ومحمد بن بشير وبشار وغيرهم. هذه اللفتات التي تراها مبثوثة في تضاعيف مؤلفات عبدالقاهر، لم تصل إلى درجة النظرية في الأدب أو النقد أو البلاغة، إنما

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٣٠٣.

(٢) نفسه: ٣٠٦.

(٣) أحمد أحمد بدوي، عبدالقاهر الجرجاني: ٢٦٦-٢٧١.

(٤) محمد بركات أبو علي، معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني: ٥٨.

(٥) نفسه: ٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي مواقف ينتفع بها لتبيان أمر هو مشغول به، ومعنيٌّ بتأسيسه..."(١). وفي موضع آخر يقرر أن هذا النقل جاء من عبدالقاهر: "كأن عبدالقاهر بهذا العمل يوجّه إلى أن التعليم ينبغي أن يكون على موائد الفحول لشيوع انتاجهم ومعرفته لدى أغلب الباحثين..."(٢).

النظم:

أوضحه عبدالقاهر بقوله: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض..."(٣). وأوضح هذا التعريف في تفريقه بين الحروف المنظومة والكلم المنظومة، فنظم الحروف هو تواليها في النطق من غير أن يكون هذا النظم متولدا عن معنى اقتضاه، فلا صلة بين الكلمة ومعناها ولم يصف واضع اللغة رسماً عقليا اقتضاه المعنى "فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"(٤).

وليس الأمر كذلك في نظم الكلم، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على وفق ترتيب المعاني في النفس، يقول: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك. فلا تخل بشيء منها"(٥). ويكرر هذا المعنى ويعيده، مبيّناً ما للنحو من معنى واسع، وأن النظم والتأليف "عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها، وهو بما يصنع في

---

(١) محمد بركات أبو علي، معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني: ٦٠.

(٢) نفسه: ٦٦.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٢.

(٤) نفسه: ٤٨.

(٥) نفسه: ٦٦-٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة فيتوخى فيها ترتيباً يحدث عنه ضروب من النقش والوشي..."(١).

ويرى فتحي أحمد عامر أن "عبدالقاهر لم يبدأ من فراغ، وإنما سبق بمحاولات جادّة، كانت تتوخى الوقوف على السرّ الكامن في إعجاز القرآن من الأدباء والبلاغيين والمفسّرين والمحدّثين أيضاً، إذ شاعت فكرة النظم في بيئة الأشاعرة كما شاعت في بيئة المعتزلة... إلا أن عبدالقاهر يعد -غير منازع- أكبر مفلسفي هذه النظرية حيث شرحها.. وشفع هذا الشرح النظري بطائفة متنوعة من النماذج والأمثلة من القرآن والشعر، ... وبهذا النحو البلاغي أو البلاغة النحوية أكّد عالم جرجان ما نسميه الآن بنظرية العلاقات النحوية في فن الأدب: شعره ونثره... ومن الواضح أن منهج عبدالقاهر يستند إلى نظرية تؤكد أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات... فالمعاني تترتب في الذهن، ثم تستدعي من الكلمات والألفاظ ما ينسجم مع هذا الترتيب، بحيث توجد علاقة في مؤاخاة الألفاظ في الجملة أو العبارة أو الأسلوب، ولا تجيء كيفما اتفق..."(٢).

"وعبدالقاهر الأشعري الذي تنسب إليه نظرية النظم، يتبع في هذا الاصطلاح، أي الأخذ بكلمة النظم دون كلمة اللفظ والمعنى، ما هو مأثور عند الأشاعرة، لأن كلمة النظم اصطلاح يشيع في بيئتهم، وان كان يجري على بعض ألسنة المعتزلة أحياناً مثل الجاحظ الذي ألف كتاباً في نظم القرآن، والقاضي عبدالجبار الذي تناول النظم بشيء من الدقة والتفصيل...."(٣) .

وكلام عبدالقاهر في النظم ما هو إلا مجموع جهوده اللغوية والبلاغية ومجمل لمنهج عبدالقاهر في بسط القضايا، فقد أفاض فيه شارحاً ومناقشاً ومحلّلاً

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز : ٢٣٢.

(٢) فتحي أحمد عامر، نظرية العلاقات عند عبدالقاهر الجرجاني، مجلة الفكر العربي، العدد٥٥، شباط ١٩٨٩م، ص.ص(٧٠) وما بعدها.

(٣) عبدالقادر حسين، أثر النحاة في النحت البلاغي: ٣٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومطبّقاً بفكر عميق ونفس طويل، وهذا يفسر لنا كثرة ما قيل في هذا الموضوع لدى الباحثين والدارسين، ولسنا في موضع يتيح لنا استقصاء الدراسات التي قامت على فكرة عبدالقاهر، كتباً مستقلة وبحوثاً ضمن كتب النقد والبلاغة، ومقالات تتوالى في العديد من دوريات البحث العلمي يضيق بنا لطبيعة البحث أن نسردها تاريخياً أو فنياً أو موقفاً. وما لا يدرك كله لا يترك جلّه، فحسبنا الاشارة إلى:

نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر –وليد محمد مراد(١).

نظرية النظم: تاريخ وتطور – حاتم صالح الضامن(٢).

فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القرآن. – فتحي أحمد عامر(٣).

نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني–أحمد المتوكل(٤).

النظم في دلائل الاعجاز – مصطفى ناصف(٥).

نظرية عبدالقاهر في النظم–درويش الجندي(٦).

ولا ينكر عثمان موافي "القول بأن كثيراً من الأفكار التي أثارها عبدالقاهر عن قضية المعنى والنظم كانت موضع اهتمام كثير من النقاد والبلاغيين المتقدمين عليه والمعاصرين له، وبنوع خاص أصحاب دراسات الاعجاز القرآني... ولكنّ كثيراً منهم لم يتعمقوا في دراستها تعمقه، ولم ينهجوا نهجه، فقد انحصرت دراساتهم في بعض الملاحظات والاشارات العابرة التي تتعلق بأهمية المعنى وصلته باللفظ والمفاضلة بينهما أحيانا. بينما يلاحظ تجاوز ناقدنا هذه الناحية في دراسته للمعنى

---

(١) منشورات دار الفكر – دمشق، ط١، ١٩٨٣م.

(٢) منشورات وزارة الثقافة – بغداد (الموسوعة الصغيرة، ٤٧)، ١٩٧٩م.

(٣) منشورات المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية – القاهرة، ١٩٧٥م.

(٤) منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية – الرباط، ١٩٧٦م. (سلسلة لسانيات وسيمائيات).

(٥) فصلة من حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، العدد ٣، يناير ١٩٥٥.

(٦) منشورات مكتبة نهضة مصر – القاهرة، ١٩٦٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى تحديد مفهوم هذا المصطلح النقدي وإبراز خصائصه، وصلته بالتعبير اللغوي أو الصياغة، متخذاً من الاستدلال العقلي واستقراء النصوص وتحليلها وسيلته إلى ذلك... ويمكننا القول بأن تأثر عبدالقاهر بفكر بعض أعلام تراثنا النقدي والبلاغي مثل الجاحظ وعبدالجبار كان تأثرا سلبيا اكثر منه إيجابياً. إذ تمثل غالباً، في اتخاذ موقف معارض من فكر كل منهما. أمّا عن تأثره بالفكر الأجنبي، والارسطي بنوع خاص، فيبدو أنه تأثر غير مباشر، أي عن طريق الفكر النقدي العربي، الذي حمل منذ نشأته بذوراً من هذا الفكر الأجنبي... واتضح لنا أن تأثر الفكر النقدي العربي بالفكر الأجنبي، كان في المنهج، أكثر منه في الأداة والمضمون، وأنه بقدر ما تأثر به، فقد أثّر فيه بعد ذلك..."(١).

ويرى عبدالقادر المهيري أن "الجدال الذي قام حول الاعجاز في القرن الرابع قد أعاد الحياة من جديد إلى التفكير البلاغي بمقابلته بين (بلاغة العبارة) و(بلاغة النظم) وكان سبباً في ظهور طريقتين في البحث البلاغي: طريقة يمكن أن نقول إنها تتمثل في تفكيك النص لعزل الأساليب التي تعتبر وحدها حاملة للبلاغة، وطريقة تعتمد وحدة النص والالتحام الموجود بين أجزائه... ويمكن أن نعتبر أن هذا الجدال قد مهّد السبيل لعبدالقاهر الجرجاني، ومكّنهُ من بلورة مفهوم النظم وإرسائه على أسس مضبوطة ملموسة، فالجرجاني يعتبر أن النظم سبب للاعجاز، وأساس لكل بلاغة... لقد رأينا في تقديمنا لآراء الجرجاني في اللغة والكلام أن النظم هو (توخي معاني النحو في معاني الكلم) ويمكن أن نقول من الناحية البلاغية إن النظم هو (الصورة التي يخرج فيها المعنى) وهذه الصورة وليدة ثلاثة عناصر: اللفظ والمعنى والنحو، ولكن العنصر الذي يتميز منها ويعطي للصورة ملامحها الحقيقية هو العنصر النحوي...". فهذه الصورة هي المترجمة عن قصده... والموازنة بين الكلام من ناحية والنقش والتصوير وغيرهما من ناحية أخرى نتيجة لاعتبار الجرجاني النظم صورة للمعنى، فالمتكلم البليغ في وضع من يرسم صورة أرضيتها

---

(١) عثمان موافي، موقف عبدالقاهر الجرجاني من قضية المعنى، مجلة الدارة، الرياض، العدد الثالث، السنة ١٣، تشرين الثاني، ١٩٨٧م، ص.ص(٢٠) وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعاني العامة وخطوطها الكلمات وشكلها المحدّد لها العلاقات النحوية، وهذه العناصر تنتظم فيما بينها وتتماسك، فتتجلى للسامع كلاماً بليغاً يروق ويؤثر... وحاول أن يبحث في أنواع النظم، وبصفة أعم في طرق التعبير عن أسباب تأثيرها، وتمكن أثناء تحليله لنماذج من الشعر والكلام البليغ من ذكر بعض هذه الأسباب، فمنها: أن يرد في الكلام ما لا ينتظره السامع فالسياق يجعله يترقب كلمة أو حرفا، وإذا بذلك لا يحدث، وهذا يقع خاصة في الجناس غير التام... ومنها الجمع بين المتباين والتأليف للمختلف مما يجلب الانتباه ويثير الاعجاب... إلا أن الجرجاني يعلم ما قد ينجر عن قاعدة مثل هذه من مبالغة وفساد في الكلام، ولذا يقيّد ذلك بشرط الاصابة في التنسيق رغم الاختلاف... ومنها تضمين الكلام ما يدعو إلى التفكير وإعمال الرأي... إلا أن هذا المبدأ قد يؤول إلى تمجيد التعقيد والايغال في التكلف والتعمية، ولذا يحتاط الجرجاني، ويخرج الكلام المعقد من مجال ما يكتشف معناه بالروية... ومن أسباب تاثير الكلام البليغ تقريبه المفاهيم إلى الأذهان، وإظهار الخفي في مظهر البارز الجلي... رأى الجرجاني في النظم اساس الاعجاز ومحطّ البلاغة، ورفض أن يكون مجرد ترديد هذا المصطلح كافياً للاقناع به، أخذ كلمة النظم عن سلفه، وضمّنها مفهوماً يمد الدارس بوسائل عملية للبحث والتقويم"(١).

ويرى عبدالقادر حسين أنه "لا يحق لنا الادعاء بأن عبدالقاهر قد تأثر بالجاحظ أو الآمدي أو (القاضي) الجرجاني في نظرية النظم، لأنه أشار إليهم في غير موضع من كتابه، .... أما إذا كان المراد بأن عبدالقاهر قد تأثر بهم تأثراً واضحاً، فهذا لا يمكن قبوله بمجرد أننا ألفينا اشياء متماثلة بين عبدالقاهر وبينهم...."(٢).

---

(١) عبدالقادر المهيري، مساهمة في التعريف بآراء عبدالقاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة: حوليات الجامعة التونسية، العدد ١١ لسنة ١٩٧٤م، ص.ص(٨٣) وما بعدها.

(٢) عبدالقادر حسين، أثر النحاة في النحت البلاغي: ٣٦٦-٣٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند كمال أبو ديب: "تمثل نظرية الجرجاني في النظم ذروة ما وصلت إليه الثقافة العربية خلال أربعة قرون من التساؤل الكثيف والمركز، حول طبيعة القدرة التعبيرية والبلاغة وسمو الانشاء الأدبي"(١).

وفي موضع آخر يقول: "أدرك الذين جاءوا بعد الجرجاني مباشرة أهمية نظريته في النظم وتفرده فيها، رغم أننا لا نملك أي دليل يرتبط بتأثير هذه النظرية على الدراسات البيانية في عصره.... لأن العصر كان عصر اهتمام بالشكليات وعصر تعقيد منطقي. لقد أصبحت نظريته الأساس المتين لما عرف فيما بعد باسم علم المعاني، الذي استمر يدرس باعتباره فناً مستقلاً من فروع علم البلاغة حتى وقتنا الحاضر.... واستطاع الباحثون العرب المعاصرون ان يدركوا -بذكاء- الأهمية ذات الطابع الثوري لعمل الجرجاني، وحاولوا احياء روح تحليله وأدواته التي استخدمها في تحليل العمل الأدبي"(٢) .

وبعد أن يحلل كمال أبو ديب أبعاد نظرية الجرجاني في النظم، ينوّه بأن الجرجاني قد انتهى إلى "نتائج مماثلة لتلك التي توصل إليها بعض علماء النفس المعاصرين ممن تحققوا من نتائج بحثهم تجريبياً مثل جيه بي كارول"(٣) ..... إلى أن يقول: "من التعاسة الشديدة -كما نرى- أن يتجاهل الكتاب الاوروبيون انجازات الثقافات الأخرى في مناطق عديدة من العالم، ويجدوا في أنفسهم انهم يكتشفون مبادئ ويطورون مناظرات لدعمها، مع أنه سبق لهذه المبادئ أن اكتشفت وطورت إلى درجة مذهلة من التمكن والقدرة على الجدل في تلك الثقافات المتجاهلة"(٤).

النمط:

ويطلق على الأسلوب والضرب والطريقة والفن والمذهب والنوع. وقد وردت هذه المفردات في غير موضع من مؤلفات عبدالقاهر، ومن أمثلتها قوله: "وفي ثبوت هذا الأصل ما تعلم به أن المعنى الذي كانت له هذه الكلم بيتَ شعر أو

---

(١) كمال أبو ديب، نظرية الجرجاني...، ترجمة: فخري صالح، الدستور، الجمعة ١٩٩٠/٦/٢٩، ص١٠.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه: عدد الجمعة ١٩٩٠/١٠/٥، ص٩.

(٤) نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصلَ خطاب هو ترتيبها على (طريقة) معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة"(١). وقوله: "وأمّا رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه وكونه من أسبابه ودواعيه، فلا يكاد يعد و(نمطاً) واحداً..."(٢). وقوله: "فإن أردت أن تعرف مثالاً فيما ذكرتُ لك من أن العارفين بجواهر الكلام لا يعرّجون على هذا (الفن) إلا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته"(٣). وقوله عن السجع ومجيئه في الكلام: "ولست تجد هذا (الضرب) يكثر في شيء ويستمر كثرته واستمراره في كلام القدماء..."(٤). وقوله كذلك: "ويشهد لما قلنا من أن تقديم المحدث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له أنا إذا تأملنا وجدنا هذا (الضرب) من الكلام يجيء فيما سبق فيه إنكار من منكر..."(٥). وقوله: "فالذي يجب عليه الاعتماد في هذا (الفن) أن التوهم على (ضربين): (ضرب) يستحكم حتى يبلغ أن يصير اعتقاداً و(ضرب) لا يبلغ ذلك المبلغ، ولكنه شيء يجري في الخاطر..."(٦). وقوله عن الاستعارة: "ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل"(٧). وقوله: "وربّ وِفاقٍ من موافق قد بقيت عليه زيادات أغفل النظر فيها، و(ضروب) من التلخيص والتهذيب لم يبحث عن أوائلها وثوانيها، و(طريقة) في العبارة عن المغزى في تلك الموافقة لم يمهّدها..."(٨). وقوله: "وعلى هذه (الطريقة) جرى تمثيلهم النحو بالملح في قولهم: (النحو في الكلام كالملح في الطعام)، إذْ المعنى أن الكلام لا يستقيم ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الاعراب والترتيب

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٤.

(٢) نفسه: ٤.

(٣) نفسه: ٤.

(٤) نفسه: ٩.

(٥) نفسه، دلائل الاعجاز: ٩٧.

(٦) نفسه، أسرار البلاغة: ١٩.

(٧) نفسه: ٢٠.

(٨) نفسه: ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاص..."(١). وقوله: "هذا هو ظاهر (المذهب) في الأمر والحكم إذا أُطلق القول، فأمّا إذ قيّد..."(٢). وقوله: "وما جرى في هذا (الأسلوب) من وجوه الاغراق والمبالغة، فإن في (الطريقة) الأولى خلابة وشيئاً من السحر..."(٣). وقوله: (لا ترى (نوعا) من أنواع العلوم إلا وإذا تأملت كلام الأولين الذين علموا الناس وجدت العبارة فيه أكثر من الاشارة"(٤). وقوله: "واعلم أن القول الفاسد والرأي المدخول إذا كان صدوره عن قوم لهم نباهة وصيت وعلو منزلة في (أنواع) من العلوم غير العلم الذي قالوا ذلك القول فيه، ثم وقع في الألسن فتداولته ونشرته وفشا وظهر وكثر الناقلون له والمشيدون بذكره، صار ترك النظر فيه سنة والتقليد ديناً"(٥). ومنه قوله: "فصعوبة ما صعب من السجع هي صعوبة عرضت في المعاني من أجل الألفاظ، وذاك أنه صعب عليك أن توفق بين معاني تلك الألفاظ المسّجعة وبين معاني الفصول التي جعلت أردافاً لها، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدلت عن (أسلوب) إلى (أسلوب) أو دخلت في (ضرب) من المجاز أو أخذت في (نوْع) من الاتّساع"(٦). وقوله: "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض (أسلوباً)، و(الاسلوب): (الضرب) من النظم و(الطريقة) فيه، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك (الأسلوب) فيجيء به في شعره"(٧).

وترددت هذه المفردات كثيراً عند عبدالقاهر، ولعل فيما تقدم الكفاية.

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٦٥.

(٢) نفسه: ٧١.

(٣) نفسه: ٢٠٥-٢٠٦.

(٤) نفسه، دلائل الاعجاز: ٢٨٧.

(٥) نفسه: ٢٩٣.

(٦) نفسه: ٥٥.

(٧) نفسه: ٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النوع:

ينظر: النمط.

الوزن:

ناقش عبدالقاهر مسألة "الوزن" في الشعر، في معرض دفاعه عن الشعر والردّ على من ذمّ الشعر، فكان مما قاله: "وإنْ زعَم أنّه ذمَّ الشعر من حيث هو موزونٌ مقفًّى، حتى كان الوزن عيباً، وحتى كان الكلام إذا نظم نظم الشعر اتّضح في نفسه وتغيرت حاله، فقد أبعد، وقال قولاً لا يُعرف له معنىً... فإن زعم أنه إنّما كره الوزن لأنه سببٌ لأن يغنى في الشعر ويُتلهى به، فإنا إذا كنا لم ندْعُهُ إلى الشعر من أجل ذلك، وإنما دعوناه إلى اللفظ الجزل... فليقل في الوزن ما شاء، وليضعْه حيث أراد، فليس يعنينا أمره... وذلك أنه لو كان الكلام إذا وُزِنَ حطَّ ذلك من قدره، وأزرى به، وجلبَ على المُفرِغ له في ذلك القالب إثماً، وكسبه ذمّاً، لكان من حق العيب فيه أن يكون على واضع الشعر أو من يريده لمكان الوزن خصوصاً دون من يريده لأمر خارج عنه... هذا، وإذا نحن رجعنا إلى ما قدّمناه من الأخبار، وما صح من الآثار، وجدنا الأمر على خلاف ما ظنّ هذا السائل، ورأينا السبيل في منع النبي صلى الله عليه وسلم الوزنَ، وأن ينطق لسانه بالكلام الموزون، غير ما ذهبوا إليه، وذاك أنّه لو كان منع تنزيهٍ وكراهة، لكان ينبغي أن يُكره له سماعُ الكلام موزوناً، وأن ينزّه سمعُه عنه كما نُزّه لسانه، ولكان صلى الله عليه وسلم لا يأمر به ولا يحث عليه، وكان الشاعر لا يُعان على وزن الكلام وصياغته شعراً، ولا يؤيد فيه بروح القدس. وإذا كان هذا كذلك، فينبغي أن يُعلَم أنْ ليس المنع في ذلك منع تنزيه وكراهة، بل سبيلُ الوزن في منعه عليه السلام إياه سبيلُ الخط، حين جُعل عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب، في أنْ لم يكن المنع من أجل كراهة كانت في الخط، بل لأن تكون الحجة أبهر وأقهر، والدلالة أقوى وأظهر..."[1]. وليس غريباً أن يرى

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٣٤-٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبدالقاهر في الشعر الصورة الكاملة للبلاغة العربية[١] فقد أكثر من شواهد الشعر في مؤلفاته، وعني بإبراز ما صيغ صياغة منه. بل إن لعبدالقاهر شعر وصل إلينا بعضه، واشتهر منه بيتان قالهما في الميل إلى الجهل ميل هائم، ونظم فكرته في الاعجاز شعراً[٢].

ويقول عبدالقاهر فيمن عدم الذوق: "فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة مَنْ عدم الاحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره ومزاحفه من سالمه، وما خرج من البحر مما لم يخرج منه، في أنك لا تتصدى له، ولا تتكلف تعريفه، لعلمك أنه قد عدم الأداة التي معها تعرف، والحاسة التي بها تجد، فليكن قدحك في زند وارٍ، والحكّ في عودٍ أنت تطمع منه في نار"[٣].

---

(١) أحمد أحمد بدوي، عبدالقاهر الجرجاني: ٦٢-٦٥.

(٢) نفسه: ٧١ وما بعدها.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـفـصـل الـرابــع

الموازنة بين المصطلحات البلاغية والنقدية

لدى كلٍّ من: ابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني

ملاحظة:

المصطلح المعتمد في الدراسة وضع إلى يساره رقم، أمّا المصطلحات المترادفة أو التي لها عنوان آخر فلم يوضع رقم إلى جانبها، لأننا أخذنا بالتسمية المعتمدة عند كلٍ من ابن سنان والخفاجي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلحات عند ابن سنان

مصطلحات نقدية	مصطلحات بلاغية	تتمة البلاغية	مصطحات بلاغية ونقدية (مشتركة)
١. الابتذال ٢. الأديب/ مؤلف الكلام ٣. الإغرام/ المجاز ٤. الاقواء ٥. الإلغاز/كمال المعنى/ المبالغة في المعنى/المعنى. ٦. الانشاد. ٧. الايطاء. ٨. التصريح بعد الابهام/ التفسير. ٩. الجرس. ١٠. الذوق/ الشعر. ١١. السناد. الشعر. ١٢. صحة الأقسام. ١٣. القافية وعيوبها. ١٤. القديم والحديث. ١٥. الكلام. كمال المعنى. ١٦. اللغة. ١٧. اللفظ. المبالغة في المعنى. ١٨. المعاظلة. المعنى. مؤلف الكلام. ١٩. النثر. ٢٠. الوزن. ٢١. الوصف.	١. الاحتراز/الاحتراس/ التحرز. الاحتراس. ٢. الاخلال/ التذييل/ الاطناب بالتذييل. الإرداف والتتبيع/ الكناية. ٣. الإرصاد/التسهيم/ التوشيح. ٤. الازدواج/التسجيع/ السجع/الفواصل. ٥. الاستدلال بالتعليل/ الاستدلال بالتمثيل/حسن التعليل/المذهب الكلامي. ٦. الاستعارة. ٧. الاسهاب/التطويل. ٨. الاشارة/الإيجاز/ الايماء. ٩. الاطناب/التذييل. ١٠. الاعجاز. ١١. الايجاب والسلب. الايجاز. ١٢. البلاغة. ١٣. البيان. التبديل. ١٤. تجنيس التركيب/المجانس المجانس المماثل. تجنيس التصحيف التحرّز ١٥. التدبيج/ التضاد/ الطباق المخالف.	١٦. التذييل/التطويل/ الحشو. ١٧. الترصيع التسجيع ١٨. التشبيه ١٩. التصريع ٢٠. التضاد/التطبيق/ التكافؤ/الطباق/المخالف المطابق/المطابقة/المقابلة التطبيق التطويل ٢١. التقديم والتأخير/التناسب/ حمل اللفظ على اللفظ. التكافؤ ٢٢. التمثيل التناسب/المجانس التوشيح ٢٣. الجائز والممتنع الحشو حمل اللفظ على اللفظ السجع ٢٤. صحة التشبيه ٢٥. صحة المقابلة الطباق المخالف ٢٦.الطي والنشر/اللف والنشر ٢٧. الغلو ٢٨. الفصاحة الفواصل/تساوي الفصول. ٢٩. الكناية/الارداف والتتبيع. اللف والنشر ٣٠. المبالغة المجانس المخالف ٣١. المساواة المطابق المطابقة المماثل	١. الاستحالة والتناقض/ التناقض/المستحيل والممتنع. ٢. الاشارة/الايماء. ٣. الاعنات/لزوم مالا يلزم/ اللزوميات ٤. الإلغاز/غموض المعنى. الايماء. ٥. التجميع. ٦. التضمين. ٧. التكرار. التناقض. ٨. الحقيقة والمجاز. ٩. صحة الأوصاف. ١٠. صحة التفسير. ١١. صحة النسق. ١٢. الغرابة/الوحشي. ١٣. الغموض والوضوح/ الوضوح والغموض. لزوم ما لا يلزم المستحيل والممتنع الوحشي الوضوح والغموض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلحات عند عبدالقاهر

مصطلحات نقدية	مصطلحات بلاغية	مصطلحات نقدية وبلاغية (مشتركة)	
١. الابتذال	١. الاستئناف/الفصل والوصل	١.. الاحتذاء..	السجع
٢. الاستغراق	٢. الاستخبار/الاستفهام.	٢. الأخذ/ الحذو/	السرقة
٣. الأسلوب/الضرب/	٣. الاستعارة/البديع/	السرقة/السلخ.	السلخ
الطريقة/الفن/	المجاز	٣. الاستقصاء/فرط الاستقصاء	فرط الاستقصاء
المذهب/النمط/	الاستفهام	٤. أسلوب الحكيم/الايهام/	الفصاحة
النوع.	٤. الاعجاز	التخييل/التعليل/	١٥. اللفظ والمعنى
٤. الإغماض/الغموض.	٥. الايجاز	التوجيه/حسن التعليل/	١٦. المعاني
٥. التحليل	البديع	المغالطة.	١٧. المعقد والملخص
٦. التصوير/الصورة.	٦. تتابع الاضافات	٥. الاسناد	المعنى واللفظ
٧. الذوق	٧. التجريد	٦. الاشارة	١٨. معنى المعنى.
٨. الصدق والكذب	٨. التجنيس/الجناس.	٧. الايماء	المغالطة
الصورة	٩. التزاوج	٨. البراعة/ البلاغة/	١٩. المفاضلة/المقابلة
الضرب	١٠. التضاد/التطبيق.	البيان/الفصاحة/	الموازنة.
الطريقة	التطبيق	التخييل	المقابلة
الفن	١١. التعريض/الكناية.	٩. التسجيع/السجع	٢٠. الملخص والمعقد
المذهب	١٢. التقديم والتأخير	١٠. التشبيه	٢١. المماثلة
٩. الملاحن	١٣. التمثيل	التعليل	الموازنة
النمط	الجناس	التوجيه	٢٢. النظم
النوع	١٤. الحصر والقصر	١١. الحذف	
١٠. الوزن	١٥. الخطاب بالجملة	الحذو	
	الفعلية	حسن التعليل	
	الفصل والوصل	١٢. الحشو	
	القصر	١٣. الحقيقة/المجاز.	
	الكناية	١٤. الرمز	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملاحظات أوّليّة:

من خلال النظر إلى الجدولين السابقين، وإمعان النظر في المصطلحات التي أوردها كل من العالمين: ابن سنان وعبد القاهر نستنتج ما يلي:

١. المصطلحات النقدية عند ابن سنان ضعف المصطلحات النقدية عند عبد القاهر، والزيادة عند ابن سنان مبعثها مصطلحات العروض والقوافي، ولم يتطرق عبد القاهر إلى الحديث عنها.

٢. المصطلحات البلاغية التي وردت عند ابن سنان تفوق تلك التي أوردها عبد القاهر، بل إن السمة الغالبة على المصطلحات عند ابن سنان هي ذات الطابع البلاغي.

٣. المصطلحات التي ترد مشتركة في البلاغة والنقد عند عبد القاهر، تفوق ما أورده منها ابن سنان بما يقرب من الضّعف. فالمصطلحات المشتركة أظهر عند عبد القاهر منها عند ابن سنان.

٤. كان عبد القاهر –فيما عرضه من قضايا– ناقداً أظهر منه بلاغياً، وكان ابن سنان بلاغياً أظهر منه ناقداً، ويبدو من هذا أن ابن سنان كان من أصحاب المدرسة الأدبية الذوقية، أمّا عبد القاهر فمن أصحاب المدرسة الكلامية اللغوية. وسيتبيّن فيما سيأتي الفروقات في المصطلح الواحد بينهما، وعند قراءة ما مضى من مصطلحات عرضنا لها عند العالمين، ألفينا عبد القاهر يحاجج ويسهب في تناول المصطلح لينتصر لرأيه، بينما ابن سنان لم يحاجج إلا في مواطن قليلة، كأن حججه جاءت عرضاً ولم يقصد بها أن تكون منهجه في جميع ما عرض له من مصطلحات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. الفصاحة:

تناولها ابن سنان في صورة مفصّلة، وعرض لشروط تحققها في المفردات غير المنظومة، والمفردات التي تؤلّف الكلام نظماً ونثراً، فأسهب وأفاض. بينما رأينا عبد القاهر يجمل القول فيها ويضمّ إليها -مفهوماً ودلالة- البلاغة والبراعة والبيان وما شابهها، غير أن عبد القاهر كان يشكو من الفصاحة علماً، فهو يقول: "اعلم أن البلاء والداء العياء أن ليس علمُ الفصاحة وتمييز بعض الكلام من بعض بالذي تستطيع أن تُفهمه مَنْ شئت ومتى شئت..."(١).

ومضى بنا أن عبد القاهر عقد فصلاً في (دلائل الاعجاز) بعنوان: "فصل في تحقيق القول على (البلاغة) و(الفصاحة) و(البيان) و(البراعة) وكل ما شاكل ذلك..."(٢)، وكان قد عرض في التمهيد لكتابه الدلائل تمهيداً للكلام في الفصاحة والبلاغة(٣). وحرّر القول في "الإعجاز والفصاحة والبلاغة"(٤) وما لبث أن جعل بعده كلاماً أعاد القول فيه "في أن الفصاحة والبلاغة للمعاني"(٥) وربط بين "الذوق وإحساس النفس في إدراك البلاغة"(٦). غير أنه لم يحفل بها مثلما فعل ابن سنان، إذ وقف كتابه عليها، عنواناً وبيان مفهوم وشروط تحققها... وقد سبق القول فيما مضى عند عرض مصطلح الفصاحة عند ابن سنان. فهو لم يأخذ بتعريفات القدماء وعدّها صفات لا تعريفات، ولم يخصّ بها اللفظ المفرد، إذ عرّفها فيما بعد بأنها "حسن التأليف في الموضوع المختار"(٧). مع أنه نصّ على أن "الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، وأن البلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني، فلا يقال عن

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، الرسالة الشافية (ضمن ثلاث رسائل): ١٥٧.

(٢) نفسه، دلائل الاعجاز: ٤٣ (شاكر).

(٣) نفسه: ٣٥ (شاكر).

(٤) نفسه: ٣٥.

(٥) نفسه: ٣٨٥.

(٦) نفسه: ٤٢١.

(٧) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها: بليغة، وإن قيل فيها: فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً"(١).

وإذا كانت الفصاحة والبلاغة عند عبد القاهر لفظتين مترادفتين، فلا يمكننا أن نزعم مثل ذلك عند ابن سنان. وإن تحدث عن فصاحة الكلمة والكلام. وكان صدى ابن سنان فيمن كتب بعده عن الفصاحة يتردد بوضوح.

البلاغة:

مضى بنا القول أن عبد القاهر قرن بين البراعة والبلاغة والبيان والفصاحة، ورأى أنه لا معنى لها غير "وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وأنق وأعجب وأحق بأن تستولي على هوى النفس..."(٢). وأنه ربّما رأى البلاغة والبيان أشمل من الفصاحة لقوله: "إن قصرْ ناصفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك وجعلناه المراد بها، لزمنا أن نخرج الفصاحة من حيز البلاغة ومن أن تكون نظيرة لها"(٣). وأنه في إفراده "فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة"(٤) لم يضع معالم واضحة للتفريق بين مدلول كل منهم، وكانت هذه الألفاظ عنده لا معنى لها إلا أن تكون وصفاً للكلام الحسن الدال على المعنى الجيّد الذي له تأثير في النفوس.

أمّا ابن سنان فالبلاغة عنده أشمل وأعم من الفصاحة، "وكلّ كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً"(٥). ولكن الرّجل لم يأخذ بما عرّف به سابقوه البلاغة،

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٥٠

(٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٤٣.

(٣) نفسه: ٥٨-٥٩.

(٤) نفسه: ٣٨٥ (شاكر) ٢٤٧ (رشيد رضا).

(٥) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واطّرح الحدود التي وضعوها لها لاعتباره إياها صفات لا تعريفات، وإذا كانت الفصاحة عنده شطر البلاغة وأحد جزأيها، فالجزء الثاني لم يصرّح به.

النظم:

كما أسهب ابن سنان القول في الفصاحة، أسهب عبد القاهر القول في نظرية النظم، صحيح أنه لم يبتدعها وسُبِق في القول فيها، لكنه وسّعها وطبّقها على كثير من فنون البيان والمعاني والبديع، حتى ليكاد يعتبر مبتكرها ليس من العدم، بل بنقلها من الإجمال إلى التفصيل. فأضحت على يده نظرية تنسب إليه، محددة المعالم واضحة المفهوم. وكما كان "سرّ الفصاحة" لابن سنان ميداناً للتطبيق على مفهوم الفصاحة، كان "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر سبيلاً إلى التطبيق على مفهوم النظم، قصده صاحبه قصداً. فربط بين النظم وعلم النحو وقال: "واعلم أنْ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو..."(١). ويقول: "وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها..."(٢). ولم يكن الدلائل الكتاب الذي خصصه عبد القاهر للنظم، ففي كتابه الأسرار ألفيناه يقول: "والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصّاً من التأليف، ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب..."(٣).

وإذا كان النظم عند عبد القاهر هو البوتقة التي تنصهر فيها المفردات فتتداخل معانيها حتى تؤلّف معنى واحداً لا عدّة معان، فإنه يمكن إجمال موقفه فيما عرض له من نظريته في النظم على النحو التالي:

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٥٥-٥٦.

(٢) نفسه: ٦٠.

(٣) نفسه: أسرار البلاغة: ٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. أنه -بحق- وضع في أيدينا المقياس الذي به ندرك سموّ بلاغة القرآن الكريم، وإلى هذا ذهب أحمد أحمد بدوي(١).

٢. لا نظم في الكلم حتى يعلق بعضها بعضاً ويبني بعضها على بعض، أي بعد إعمال الفكر في المعاني وتخيّر الألفاظ التي تلائمها وتدل عليها أكثر من غيرها. "وتترتب وفق ترتيب المعاني في النفس"(٢).

٣. ليس للّفظة المفردة أي مفاضلة حتى تلائم معاني لفظة أخرى معها "فأنت ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، وتراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع غيره"(٣).

٤. لكثرة عناية عبد القاهر بالنظم جعله في ثلاث درجات أو أنماط، هي: النمط العادي الأدنى، الذي لا يحتاج واضعه إلى فكر وروية، ويرجع حسنه إلى لفظه ومعناه. والنمط الثاني الأوسط وهو الذي يحتاج واضعه إلى فكر وروية ويرجع حسنه إلى اللفظ والنظم. والنمط العالي الذي يفوق النمطين الأولين، ويحتاج واضعه إلى فكر وروية ودقة صنع وصياغة، وقد اعتبر بلاغة النظم القرآني فوق المستوى العالي من النظم.

لقد كانت نظرة عبد القاهر في النظم ثاقبة تميز بها عن ابن سنان، فنسبت النظرية للأول، أمّا الثاني فأورد ذكر النظم عرضاً أثناء كلامه في الكلام وتأليفه، فكل صناعة من الصناعات عنده "كما لها بخمسة أشياء على ما ذكره الحكماء، هي: الموضوع، وهو الخشب في صناعة النجارة، والصانع وهو النجار، والصورة وهي كالتربيع المخصوص إن كان المصنوع كرسياً، والآلة مثل المنشار والقدّوم وما يجري مجراهما، والغرض وهو أن يقصد على هذا المثال الجلوس فوق ما

---

(١) أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية: ١١٦.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٣٨.

(٣) نفسه: ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصنعه... وإذا كان تأليف الكلام المخصوص صناعة وجب أن نعتبر فيها هذه الأقسام فنقول: إن الموضوع هو الكلام المؤلف من الأصوات... فأمّا الصانع المؤلف فهو الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض، كالشاعر والكاتب وغيرهما... وأمّا الآلة فأقرب ما قيل فيها إنها طبع هذا الناظم والعلوم التي اكتسبها بعد..."(١). ويقول: "المعاني وتأليف الألفاظ هي صناعة هذا الصانع التي أظهرها في الموضوع..."(٢).

وهكذا نجد جهد ابن سنان في النظم محدوداً دون جهد عبد القاهر بكثير. والنظم عند عبد القاهر له علقة بالقرآن الكريم المعجز بنظمه وسموّ بلاغته بينما الصّرفة عند ابن سنان هي مدار الإعجاز لا النظم. وتأليف الألفاظ عند ابن سنان غير مبني على معاني النحو صراحة، كما هو الحال عند عبد القاهر.

الإعجاز:

لم يكن رأي ابن سنان في إعجاز القرآن الكريم موافقاً لرأي عبد القاهر، وكان لكل منهما –مع أنهما أبناء عصر واحد هو القرن الخامس للهجرة –رأي في الاعجاز لا يلتقي مع رأي الآخر. فابن سنان من القائلين بأن الاعجاز القرآني عائد إلى الصَّرفة، أي "صرف العرب عن معارضته"(٣)، وأن فصاحته كانت بمقدورهم لولا أنهم "سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك، وإذا كان الأمر على هذا فنحن بمعزل عن ادعاء ما ذُهب إليه من أن بين تاليف حروف القرآن وبين غيره من كلام العرب كما بين المتنافر والمتلائم، ثم لو ذهبنا إلى أن وجه إعجاز القرآن الفصاحة، وادعينا أنه أفصح من جميع كلام العرب بدرجة ما بين المعجز والممكن، لم يُفتقر في ذلك إلى ادعاء ما قاله من مخالفة تأليف حروفه لتأليف الحروف الواقعة في الفصيح من كلام العرب، وذلك أنّه لم يكن بنفس هذا التأليف فقط فصيحاً، وإنما الفصاحة لأمور عدة تقع في الكلام، من جملتها

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٠٢-١٠٣.

(٢) نفسه: ١٠٤.

(٣) نفسه: ١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التلاؤم في الحروف وغيره، وقد بيّنا بعضها، وسنذكر الباقي. فلِمَ يُنكر على هذا أن يكون تأليف الحروف في القرآن وفصيح كلام العرب واحداً؟ ويكون القرآن في الطبقة العليا..."(١).

أمّا عبد القاهر فإعجاز القرآن الكريم عنده يتمثل في بلاغته، ولا يرى أن يكون الاعجاز في الألفاظ المجّردة، وإنما موطن الاعجاز هو النظم الذي يقتضي توخي معاني النحو، والتفاوت في الأساليب بين الجودة والقبح، ليتوصل إلى أن أسلوب القرآن الكريم ونظمه قد بلغ حدّ الإعجاز: "واعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخلّ بشيء منها"(٢). ويقول عبد القاهر: "اعلم أن الذي يقع في الظن من حديث القول بالصَّرفة، أن يكون الذي ابتدأ القول بها ابتداه على توهم أن التحدي كان إلى أن يُعبَّر عن أنفُس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه، دون أن يكون قد أطلق لهم وخُيّروا في المعاني كلّها. ذاك لأن في القول بها على غير هذا الوجه أموراً شنيعة... فإن قالوا: إنّه نُقصان حدث في فصاحتهم من غير أن يشعروا به، قيل لهم: فإن كان الأمر كذلك، فلمْ تقم عليهم حُجّة، لأنه لا فرق بين أن لا يكونوا قد عَدِموا شيئاً من الفصاحة التي كانوا يعرفونها لأنفسهم قبل التحدي بالقرآن والدعاء إلى معارضته، وبين أن يكونوا قد عَدِموا ذاك ثم لم يعلموا أنهم قد عدموه، ذاك لأن الآية بزعمهم إنما كانت في المنع من نظم ولفظ قد كان لهم ممكناً قبل أن تُحدّوا، ولا يكون منع حتى يُرام الممنوع، ولا يُتصوَّر أن يروم الانسان الشيء ولا يعلمه..."(٣). وهكذا مضى يردّ على القائلين بالصَّرفة.

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١١٠.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٥٥.

(٣) نفسه، الرسالة الشافية (ضمن ثلاث رسائل): ١٤٦-١٤٧ وينظر ما أورده محققاها في الخلاصة ص١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن عوامل اختلاف ابن سنان مع عبد القاهر في القول بوجه الاعجاز القرآني، أن ابن سنان كان معتزلياً يرى رأي الشيعة، بينما عبد القاهر كان سنيّاً شافعياً متكلّماً على مذهب الأشاعرة فقيهاً على مذهب الشافعي ويبدو أن ثقافتهما الدينية أملت على كل منهما ما ذهب إليه في وجه الإعجاز.

معنى المعنى:

كانت مشكلة المعنى -وما تزال- تمثل إحدى المشكلات الأولى في البحث اللغوي، والبلاغي، والنقدي. فالظاهرة الكلامية ميدان لحقول معرفية كثيرة، لسانية، وبلاغية، وفلسفية ونفسيّة واجتماعية، وفي هذه الحقول تحتل مشكلة المعنى موضعاً متقدماً.

وفي البلاغة والنقد حفل القدماء بالمعاني، فهي في البلاغة "علم تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليتحرز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"(١). وعند النقاد المعاني "أصل الكلام وفحواه، وما الألفاظ إلا أوعية لها"، ولكلا الفريقين آراء ومذاهب في إيثار المعنى على اللفظ، وفي تقديم اللفظ الجزل على المعنى. والقول بسهولة اللفظ وإيثار ماله من جزالة على وضوح المعنى وتمكّنه من نفس السامع. فاللفظ الجزل خلاف الركيك.

وقسم عبد القاهر المعاني قسمين: عقلي وتخييلي، وكل واحد منهما يتنوع(٢)، وعني بها أكثر مما فعل ابن سنان، فانتقل من المعاني الأول، وهي عنده "المعاني التي يوصل منها إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، أي: هي التي تفهم من ظاهر اللفظ بغير واسطة"(٣)، وجلّ كلام الناس منها. وبين المعاني الثواني، التي قال فيها عبد

---

(١) السكّاكي، مفتاح العلوم: ٧٧.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٤١.

(٣) نفسه، دلائل الاعجاز: ٢٠٢-٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاهر: "لا يوصل منها إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعُهُ في اللغة، ثم يكون لذلك المعنى دلالة ثانية يوصل بها إلى الغرض، ومدارها على الكناية والاستعارة والتمثيل..."(١). وسمّي عبد القاهر هذا الضرب. "معنى المعنى" قائلاً، "وإذا عرفت هذه الجملة فههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: المعنى، ومعنى المعنى، تعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"(٢).

ويشير عز الدين اسماعيل إلى أننا نرى الجرجاني "يأخذ الألفاظ بمثابة الكساء الذي يبرز المعنى، ثم يذهب إلى أن هذا المعنى الأول هو نفسه الكساء الذي يبرز المعنى الثاني"(٣). ويقول: "لقد رأينا الجرجاني يلح على أن إدراك المخاطب للمعنى الثاني للعبارة ليس بالأمر الميسور، وأن المخاطب مطالب ببذل جهد عقلي في الاستدلال على المعنى الذي قصد إليه المتكلّم..."(٤).

ومعنى المعنى عُرف عند عبد القاهر، ولم يرد عند ابن سنان تصريحاً ولا تلميحاً، فهو مما ينفرد به عبد القاهر، وبه يعرف.

الفصل والوصل:

وكذلك انفرد عبد القاهر في تناوله، ولم يورد ابن سنان في كتابه شيئاً عنه. فقد مضى بنا الاستئناف عند عبد القاهر، وتبيّن لنا منه أن عبد القاهر أفرد فصلاً عنوانه "القول في الفصل والوصل"(٥)، تحدث فيه من منظور النظم، وربطه بباب

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) نفسه: ٢٠٣.

(٣) عز الدين اسماعيل، قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصول: مج ٧ ع ٣،٤ ص٤٠.

(٤) نفسه: ص٤٢.

(٥) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٢٢ (شاكر).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العطف، وتناول فصل الجمل ووصلها، وتناول في بحثه الوصل بالواو دون غيرها من حروف العطف، وبيّن موقع الفصل والوصل في تراكيب الجمل(١).

الفروق في الخبر:

وهي كذلك مما انفرد عبد القاهر بالبحث فيه(٢)، حيث أوضح ما في الخبر الاسمي والفعلي(٣) من فرق في التعبير، وما بين تعريف الخبر وتنكيره(٤)، مما لا نجد له ذكراً عند ابن سنان.

التقديم والتأخير:

تكلم فيهما ابن سنان وعبد القاهر، فجاء كلام ابن سنان مبتسراً غير وافٍ بالغرض، بينما أوسع عبد القاهر البحث في التقديم والتأخير، إذ تناوله بين الاسم والفعل في الاستفهام والنفي والخبر المثبت والخبر المنفي، وفي تقديم المفعول والجار والمجرور وتقديم مثل وغير ومتى يفيد تقديم الاسم على الفعل التخصيص ومتى يفيد التقوية. والتقديم عند عبد القاهر على وجهين، أحدهما: تقديم على نية التأخير، كخبر المبتدأ إذا قُدّم عليه، والمفعول على الفاعل. والثاني: تقديم لا على نية التأخير ولكن على أن ينقل الحُكم إلى حكم غيره، كأن تجيء إلى اسمين يحتمل أن يكون كل منهما مبتدأ والآخر خبراً له، فتقدم مرة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا. فتغيّر المعنى إلى جانب تغيير حكم الاعراب. فهو لم يحفل بتغيير الاعراب وحسب ولكنه أدرك اختلاف المعنى باختلاف صورة التركيب(٥). وأورد أمثلة على كل حالة، كإفادة التخصيص عند تقديم الاسم على الفعل كقولهم في المثل: "أتُعلِمُني

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٢٢٢ (شاكر).

(٢) نفسه ١٧٣.

(٣) نفسه: ١٧٤-١٧٦.

(٤) نفسه: ١٧٨-١٧٩.

(٥) نفسه: ٧٣ (شاكر).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بضبٍّ أنا حرشْتُه؟(١) "يضربه العالم بالشيء مثلاً لمن يريد تعليمه إياه. ومثّل للتقديم الذي يفيد التأكيد والتقوية كقوله تعالى: "فإنها لا تعمى الأبصار" الحج/٤٦ وهو ما لا نجده في قولنا: فإن الأبصار لا تعمى(٢). وهكذا في سائر الأقسام.

أمّا ابن سنان فذكر التقديم والتأخير ضمن الشروط الخاصة بالتأليف، فأدخل شرط وضع الألفاظ في موضعها حقيقة أو مجازاً لا ينكره الاستعمال ولا يبعد فهمه، ومن وضع الألفاظ في موضعها ألا يكون في الكلام تقديم وتأخير(٣) يؤدي غلى فساد في المعنى او الاعراب أو الاضطرار إلى الفصل بين الأشياء التي ينبغي أن يتصل بعضها ببعض، كالمعطوف والمعطوف عليه أو الفعل والفاعل أو الصلة والموصول... وأورد أمثلة على كل حالة تنافى فيها التقديم والتأخير مع مراعاة صحة تأليف الكلام. وكذلك في كلام ابن سنان على حمل اللفظ على اللفظ عرض للتقديم والتأخير قائلاً: "ومن التناسب أيضاً حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب ليكون ما يرجع إلى المقدم مقدماً وإلى المؤخر مؤخراً...(٤).

فابن سنان لم يحفل بالمسائل النحوية بالمقدار الذي عند عبد القاهر، فعبد القاهر كان يطبق نظرية النظم تطبيقاً عملياً، بينما ابن سنان كان يتناول شروط صحة تأليف الكلام لتحقيق الفصاحة فيه، والتحرّز من الخطأ والفساد في التأليف.

التشبيه:

مع أن ابن سنان وعبد القاهر تكلّما في التشبيه، فإننا نجد تناول عبد القاهر كان أوسع من تناول ابن سنان لمسائله. ويرى الناظر في جدول المصطلحات المقارن، أن التشبيه عند عبد القاهر بحث مشترك بين البلاغة والنقد، بينما هو عند

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٢٨ (شاكر)، ١٥٠ (الداية).

(٢) نفسه: ١٣٢ (شاكر).

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٢٥.

(٤) نفسه: ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن سنان بحث بلاغي صرف. وذلك عائد إلى كلام عبد القاهر فيه ومحاججته في مسائله. إذ جعل التشبيه ضربين: غير تمثيلي، وتمثيلي، فغير التمثيلي عنده هو ما كان وجه الشبه فيه أمراً بيّناً في نفسه لا يحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر، لأن المشبه مشارك للمشبه به في صفته، إذا كان وجه الشبه حسياً أو عقلياً حقيقياً ثابتاً متقرراً في ذات الموصوف. فالوجه الحسي كتشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، أو من جهة اللون، أو من جهة الصورة واللون معاً، أو من جهة الهيأة. أمّا الوجه العقلي فكما في التشبيه من جهة الغريزة والطباع والأخلاق نحو السخاء واللؤم والسماحة. والشبه فيه بيّن لا يجري فيه التأوّل. أمّا الضرب الثاني أي التشبيه التمثيلي، فهو ما لا يكون وجهه أمراً بيّناً بنفسه، بل يحتاج تحصيله إلى ضرب من التأوّل، وصرف عن الظاهر، لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية. ويتحقق هذا الضرب فيما إذا لم يكن الوجه حسيّاً، ولا من الغرائز والطباع والأخلاق، ولكنه يكون عقلياً غير حقيقي، مفرداً كان أم مركبا، كقولك: "حجة كالشمس في الظهور" فذلك لا يتم إلا بتأوّل.

أمّا ابن سنان فلم يبسط القول في التشبيه بالقدر الذي بسط فيه عبد القاهر، ولم يقسمه قسمة عبد القاهر له، فهو يعتبر صحة التشبيه من صحة المعاني، وتعريفه عنده هو: أن يكون أحد الشيئين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات، ولا يجوز أن يكون أحد الشيئين مثل الآخر من جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تغاير البتة. والتشبيه عنده: حسن يكون أحد الشيئين فيه يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه. ورديء يكون أحد الشيئين فيه يشبه الآخر في أقل صفاته ومعانيه. ويتأتى حسن التشبيه عنده من تحقق أمرين؛ أولهما: أن يمثّل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، والثاني: أن يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه.

وكثير من الأمثلة التي ساقها ابن سنان للتشبيه ذكرها عبد القاهر كذلك، غير أن ابن سنان لم يتوسع في شرحها كما فعل عبد القاهر الذي قسم التشبيه إلى مفرد ومركّب ومتعدّد. وأفرد فصلاً في أسرار البلاغة بيّن فيه الفرق بين التشبيه المركب والتشبيه المتعدد، وهو ما لم يفعله ابن سنان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك فرّق عبد القاهر بين التشبيه القريب المبتذل والتشبيه الغريب النادر فعقد فصلاً في الأسرار لبيانه.

التمثيل:

لا يبدو من كلام ابن سنان فرق بين التشبيه والتمثيل يراه واضحاً، مع أنه ذكر التمثيل مرتين، إحداهما في نعوت الفصاحة والبلاغة "أن يراد معنى فيوضح بألفاظ تدل على معنى آخر، وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود. وسبب حسن هذا مع ما يكون فيه من الايجاز أن تمثيل المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحس والمشاهدة، وهذه فائدة التمثيل في جميع العلوم، لأن المثال لا بد من أن يكون أظهر من الممثل، فالغرض بإيراده إيضاح المعنى وبيانه..."(١).

وذكر التمثيل في المرة الثانية فيما أسماه الاستدلال بالتمثيل وهو عنده "أن يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له..."(٢) وتحدث فيه ممثلاً للتمثيل الجيد والتمثيل الرديء، من خلال صحة المعاني وشروط تحققها. وفي المرة الأولى تحدث عما يعرف بالتمثيل كما اصطلح عليه عند غيره، وهو الاستعارة المركبة، أمّا في المرة الثانية فأراد الاستعارة بالتمثيل، وقد جمع بين التمثيل والمذهب الكلامي، فجاء في كلامه ما لا يدخل فيه.

غير ان عبد القاهر فرّق بين التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي، ووفّى كَلاً منهما ما يستحق من الشرح والأمثلة، وأوضح مزايا التمثيل وتأثيره. فقد تناول التمثيل حين يجيء في أعقاب المعاني، فيذكر فيه المشبه به بعد كلام بيّن به أحوال المشبه. وتناوله فيما يبرز المعنى فيه باختصار وينقل من صورته الأصلية، وهو التمثيل الذي يجيء على حد الاستعارة، كقولك للمتردد: "مالي أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى".

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ٢٧٣.

(٢) نفسه: ٣٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل توضيح عبد القاهر للتمثيل وما أورده من أمثلة في شرحه، كانت عوناً لمن جاء بعده لتوضيح الاستعارة التمثيلية وبيان وجوه الحسن فيها، إذ لم يبيّن عبد القاهر ما بين التمثيل والتمثيل على حد الاستعارة، وفرّق البلاغيون بعده بين التشبيه التمثيلي والتمثيل على حد الاستعارة أو ما يدعى الاستعارة التمثيلية.

وابن سنان وإن أورد أمثلة على التمثيل على حد الاستعارة أو الاستعارة التمثيلية، إلا أنه لم يعدّها في الاستعارة التي تكلم فيها، ولم يحدد معناها، بل اعتبرها تمثيلاً يوضح المعنى.

المجاز:

بلغت الدقة في تعريف عبد القاهر المجاز ما جعله أوضح مما جاء عند ابن سنان، فالمجاز عند عبد القاهر: "كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين ما تُجوّز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها"(١). ورأى أن التجوّز يكون في معنى اللفظ لا في اللفظ نفسه. أمّا ابن سنان فالمجاز عنده "نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان"(٢) أو "تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على وجهة النقل للإبانة"(٣). وهذا الأخير منقول عن الرّماني. وفي كلامه على حمل اللفظ على اللفظ أورد مثلاً قوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) الشورى/٤٠ وهذا من المجاز المرسل. كأنه أحسّ به لكنه لم يسمّه.

وعبد القاهر ذكر المجاز المرسل وعرّفه بأنه "هو نقل اللفظ عن الشيء إلى الشيء بسبب اختصاص وضرب من الملابسة بينهما"(٤). وكان تعريف عبد القاهر

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٩٨.

(٢) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٣٤.

(٣) نفسه: ١٣٤.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٤٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز وما ألحقه به من أمثلة وشواهد أشمل مما جاء به ابن سنان، ولم يتعرض ابن سنان للمجاز العقلي (الحكمي) بينما ذكره عبد القاهر بالتفصيل مشيراً به مبيّناً ما له من قيمة. "فهو كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المُفلق والكاتب البليغ في الابداع والاحسان، والاتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعاً مصنوعاً، وأن يضعه بعيد المرام قريباً من الأفهام"(١). والمجاز العقلي دعاه عبد القاهر المجاز في الإسناد أو المجاز الحكمي، ومثّل له بقوله تعالى: (فما ربحت تجارتهم) البقرة/١٦. وانحصر المجاز عنده في المجاز اللغوي ويشمل: الاستعارة والمجاز المرسل. وفي المجاز الحكمي (العقلي).

الاستعارة:

جعلها ابن سنان ضمن وضع الألفاظ في موضعها حقيقة أو مجازاً لتحقيق الفصاحة في تأليف الكلام، واورد تعريف الرّماني لها. وشرح هذا التعريف. وقسمها إلى حسنة وقبيحة، فذكر أن منها ما هو قريب مختار او بعيد مطّرح. فالحسنة ما كان من بين المستعار منه والمستعار له تناسب قوي وشبه واضح، والقبيحة ما كان المستعار له بعيداً عما استعير منه في الأصل، أو أنه استعارة مبنيّة على استعارة فتضعف. ومثّل لكل نوع. بينما لم يبيّن الاستعارة التصريحية أو المكنية، ولم يجعل التصريحية أصلية وتبعية. بينما سنجد عبد القاهر يذكر الاستعارة التصريحية ويورد أمثلة للاستعارة بالكناية مع أنه لم يصرح باسمها. وابن سنان ذكر نوعاً من الاستعارة جعله وسطاً بين المحمودة والمذمومة، هي الاستعارة المبنية على أخرى. فمرة يعدها بعيدة مطّرحة، ثم ما يلبث أن يجعلها وسطاً بين المحمودة والمذمومة. وإن كان قد حدّها حدّاً صحيحاً بنصّه على وجود مناسبة بين المستعار منه والمستعار له. ممثلاً لهذا النوع بوصف الليل لامرىء القيس: [الطويل]

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ١٩٢-١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لمّا تمطّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل...(١)

وأمّا عبد القاهر فيعرّف الاستعارة بقوله: "اعلم أن الاستعارة -في الجملة- أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً، وتدل الشواهد على أنه اختُصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية"(٢). وتعريف عبد القاهر هذا يشمل المجاز المرسل، وهو حين تكلّم في الاستعارة قال بلزوم العلاقة بين المستعار له والمستعار منه، وأوجب أن تكون العلاقة المشابهة. وقال: "على أن الاستعارة من أقسام البديع، ولن يكون النقل بديعاً حتى يكون من أجل التشبيه على المبالغة..." ويرى كذلك أن النقل من المعنى الأصلي إلى معنى آخر لإظهار الصورة بمظهر يؤثر في العاطفة ويلهب الخيال. وكما قسم ابن سنان الاستعارة قسمين، قسمها عبد القاهر ولكن إلى: مفيدة وغير مفيدة(٣)، وشرع في الحديث عن غير المفيدة التي هي عنده: لا يكون للنقل فيها فائدة، وإنما الغرض التوسع في أوضاع اللغة ومراعاة الفروق الدقيقة في المعاني المدلول عليها... أمّا المفيدة فهي التي تبنى على التشبيه. وللاستعارة عنده فائدة، إذ إنها تبرز الفكرة واضحة جليّة وتظهر الصورة في مظهر حسن تعشقه النفوس وتميل إليه القلوب... والاستعارة المفيدة عند عبد القاهر قسمان: استعارة تصريحية (تحقيقية) واستعارة مكنية (تخيّلية) وإن لم يسمّ القسم الثاني. ولكنه وصفها بحذف المشبه به منها ورمز شيء من لوازمه إليه "أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار إليه فيقال هذا هو المراد بالاسم والذي استعير له، وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائباً منابه..."(٤) ويفرّق بينهما بأنك إذا أردت التشبيه في الاستعارة التصريحة فإنه يأتيك عفواً دون معاناة كقولك: رأيت

---

(١) امرؤ القيس، ديوانه: ١٠٠.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٤٩-٥٠.

(٣) نفسه: ٣٦.

(٤) نفسه: ٥١-٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسداً. أمّا الاستعارة المكنية فإذا رمت التشبيه فيها وجدته لا يواتيك تلك المواتاة بل يحدث بعد معاناة وإعمال فكر...

وإنما أوردت ما جاء به عبد القاهر لأدلّ على عنايته بالاستعارة عناية لم نجدها عند ابن سنان مع أنه تكلم في الاستعارة مطولاً ومثّل للحسنة والقبيحة منها، وذكر نوعاً وسطاً من الاستعارات، فكانت شروحات عبد القاهر أدق وأشمل وتحدث عن تقسيمها باعتبار الطرفين ووجه الشبه وباعتبار اللفظ المستعار، وقسم قرينه الاستعارة وتحدّث في سر بلاغة الاستعارة وما تؤديه من مبالغة واختصار.

الكناية:

عرض لها ابن سنان مرتين، إحداهما: في كلامه على فصاحة الألفاظ ووضعها في موضعها، فعدّها من أصول الفصاحة ومن شروط البلاغة مع رعاية المقام(١). ومثّل للكناية الحسنة. وهي تدعى عنده أيضاً الإرداف والتتبيع، وذلك "بأن تريد الدلالة على معنى فلا تستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة. بل تأتي بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة، فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع"(٢). ويذكر أمثلة على ما يحسن منها مضت الإشارة إليها. وكانت من الأمثلة التي أوردها ما يعرف بالكناية عن موصوف مما لا نجد مثيلاً لها عند عبد القاهر الذي أورد أمثلة على الكناية عن صفة والكناية عن نسبة، وهو يعد سابقاً على ابن سنان في بحث الكناية، فهي عند عبدالقاهر: "بأن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء إليه ويجعله دليلاً عليه"(٣). وذكر من الأمثلة عليها قولهم: (طويل النجاد) و(كثير رماد القدر) و(نؤوم الضحى). وهذه كناية عن صفة. فقد أرادوا بهذا كلّه – كما ترى– معنى لم يذكره بلفظه الخاص به، ولكنهم توصّلوا إليه بذكر معنى آخر

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٩٢.

(٢) نفسه: ٢٧٠.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النّجاد؟ وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردِفَ ذلك أن تنام إلى الضحى"(١). ولا يرى عبد القاهر المزية في الكناية كونها المعنى نفسه الذي يقصد المتكلم إليه، ولكن في طريق إثبات هذا المعنى، فإذا قلنا إن الكناية أبلغ من التصريح، فليس المراد أننا عندما كنّينا عن المعنى المراد زدناه في ذاته، بل إننا زدنا في إثباته فجعلناه أبلغ وآكد وأشد. ومن كلام عبد القاهر يتبين أن اللفظ في الكناية يدل على معنى، وأن هذا المعنى يدل على المعنى الذي يراد من الكناية، فهي من دلالات المعنى على المعنى، فهو يقول: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل"(٢).

البديع:

لا ابن سنان ولا عبدالقاهر جعل كل منهما البديع علماً قائماً بذاته، فألوان البديع حتى عصرهما، القرن الخامس للهجرة، كانت داخلة في البلاغة إجمالاً، فوجدنا صور البيان كالاستعارة والتمثيل كانت معدودة عندهما في فنون البديع. وإذا كنتُ ألمحتُ إلى الاختلاف بين ابن سنان وعبدالقاهر في الانتساب إلى مدرسة البلاغة، فإني أرى أن أوضح هنا أنه رغم وجود اختلاف في المنحى أو المنهج، وفي تناول المفاهيم البلاغية والنقدية، إلاّ أن البلاغة هي البلاغة، لا نفرّق في مسائلها بين ابن سنان وعبدالقاهر، كالذي فعله أحد الباحثين(٣).

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز: ٤٤.

(٢) نفسه: ١٧١.

(٣) أ.د. رشيد الضعيف، في البلاغة وعلم البلاغة، مقالة في مجلة الفكر العربي، ع٢٦ آذار ١٩٨٢، ص١١٦-١٢٧، وهو يعدّ أعمال عبدالقاهر في علم البلاغة، وأعمال الخطيب القزويني في البلاغة، وهذا تأويل عجيب!!

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومهما يكن من أمر فابن سنان ذكر كثيراً من ألوان البديع، وعني كثيراً بالألفاظ وأصواتها وموسيقاها وجرسها، وبعد قليل سنعرض فنون البديع التي أوردها ابن سنان مقارنة بما أورده عبدالقاهر، إذْ اشتركا في الكلام على المزاوجة والعكس والتقسيم والجناس والسجع والطباق والحشو وحسن التعليل، وانفرد ابن سنان بإيراد ألوان أخرى من البديع لم يعرض لها عبدالقاهر.

أمّا عبدالقاهر، فذكر من فنون البديع المزاوجة والتقسيم والعكس فجعلها من النمط الأعلى في النظم، والنظم عنده أساس البلاغة وعنه تفرعت مسائلها. ويرى أن حسن المحسنات البديعية يكون ذاتيا ويتحقق عندما تكون تابعة للمعنى، فالجناس والسجع والطباق والحشو وحسن التعليل تقع كلها في إطار النظم "الذي يتّحد في الوضع ويدق فيه الصنع". فهو يرى أن البلاغة إجمالاً تعود إلى المعنى المصوّر والألفاظ تابعة للمعنى، لأن سبيل الكلام عنده سبيل التصوير والصياغة، واختلافها يدل على معان مختلفة، فتظهر الجودة وقوة التأثير عند الموازنة بين تلك المعاني، وهي تترتب في النطق وفق ترتيب المعاني في النفس.

وجاء كلام ابن سنان في ألوان البديع منجّماً وفق ما عرض له من نعوت الألفاظ، ونعوت المعاني، ونعوتهما معاً، فالازدواج ألحقه بشروط الفصاحة المتحققة من التناسب بين اللفظين. والتبديل من التناسب عن طريق المعنى والتقسيم من صحة المعاني.

وعرّف ابن سنان السجع ومثّل له، ولم يمثّل للازدواج، ربما لأنّه عدهما شيئا واحداً بينما عبدالقاهر يفرق بينهما، فيسمّي الازدواج المزاوجة، وهي عنده (أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء معاً).

وما دعاه عبدالقاهر في الازدواج (عكسي) ذكره ابن سنان باسم التبديل. والتقسيم عند عبدالقاهر سماه ابن سنان صحة التقسيم وجعله من الأوصاف التي ينبغي تحققها في المعاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجناس:

اتفقت نظرة ابن سنان للجناس مع نظرة عبدالقاهر له، باعتباره حسناً حيث يطلبه المعنى، فابن سنان ذكر التجنيس في شروط المناسبة بين الألفاظ عن طريق الصيغة، ورأى أن الجناس من شروط الفصاحة التي تتحقق بالتناسب بين اللفظين، ومثّل له فسمّى اللفظين المتساويين في الصفة مع اختلاف المعنى المماثل، وما توافقت فيه اللفظتان بعض الاتفاق: المجانس. وما كان مبنياً على تجانس أشكال الحروف في الخط: مجانس التصحيف وعدّه أقل طبقات المجانس.

وعند عبدالقاهر لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسنا حتىّ يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساقك نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً ولا تجد عنه حولاً. وهو ينفي أن الجمال فيه يعود إلى الموسيقا اللفظية التي تحسّ بها، ولكن يستحسن فيه تجانس اللفظتين إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما بعيداً. ويرى أن ما يحققه الجناس من فضيلة أمراً لا يتم إلا بنصرة المعنى، ولذلك ذمّ عبدالقاهر الاكثار من الجناس والولوع به. وذكر الجناس التام الذي يتفق فيه اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها، وذكر المستوفي، الذي يكون اللفظ فيه من نوعين: مثل الاسم والفعل، المتفق في الصورة. وذكر المرفوّ ومثّل له بقول الشاعر:

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أودعاني

وهذا سمّاه المتأخرون: المذيّل، لأن الزيادة فيه تأتي آخر اللفظ.

وإذا كان ابن سنان أوسع بحثا في الجناس وتتبعاً لأساليب العرب التي ورد فيها، فإن عبدالقاهر كان أعمق غوراً وأبعد نظراً في الحكم على فائدته وبيان ما يؤديه في الكلام من حسن عندما يطلبه المعنى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السجع:

أجاد ابن سنان تناول السجع مبيناً المحمود منه وكيف يحسّن الكلام ويجرى مجرى القوافي المحمودة، وتكلّم عما في القرآن الكريم من فواصل، وأن ما ورد من السجع فيه محمود دال على الفصاحة وحسن البيان لحسن موقعه في السمع وتأثيره في النفس وسهولته في الحفظ. وتفرّد ابن سنان في إيراد الأمثلة على السجع مما في القرآن الكريم، وهو ما لم يعتمده عبدالقاهر. وابن سنان يورد السجع في شروط الفصاحة ضمن المناسبة بين الألفاظ في الصيغ، ويعرّفه بأنه تماثل الحروف في مقاطع الفصول. وأشار إلى كراهة بعض العلماء للسجع واستحسان بعضهم إياه. لأنه تناسب بين الألفاظ يحسّنها، ولولا ذلك ما ورد في كلام الله تعالى وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والفصحاء من العرب، فكما أن الشعر يحسن بتساوي قوافيه كذلك النثر يحسن بتماثل الحروف في فصوله. فالأسجاع عند ابن سنان حروف متماثلة في مقاطع الفصول، وما في القرآن الكريم منه كلّه محمود. ولا يفرّق بين الفواصل التي تتماثل حروفها في المقاطع وبين السجع.

وأمّا عبدالقاهر فعدّ ما تماثلت الحروف فيه من القرآن: فواصل ولم يسمّه سجعا. وهو لا يرضى بنصرة اللفظ على المعنى ويشترط العناية بالمعنى وإبرازه كما ينبغي، وعندما يتطلب المعنى محسنات بديعية يأتي بها الكاتب ما دام في خدمة المعنى، وبخلافه يكون السجع نافراً. فهو يرد الشبهة في القول بأنه محسّن لفظي. ويتفق مع ابن سنان معاصره على أن المحمود منه ما جاء تابعاً للمعنى وسهلاً غير مقصود إليه قصداً.

الطباق:

ذكر ابن سنان ما دعاه (المطابق) في بحثه شروط الفصاحة التي يحققها التناسب بين اللفظين عندما تكون المناسبة بينهما من طريق المعنى. وساق أمثلة عليه وعلى ما عرف عند أصحاب صناعة الشعر بالمخالف من التضاد. وكذلك مثل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للطباق المحض، وسمّى المقابلة: المطابق. وكذلك فعل في الايجاب والسلب وكلها عنده تحقق التناسب بين الألفاظ من جهة المعنى.

وذهب عبدالقاهر إلى أن التقابل والتضاد ليس في الألفاظ ولكن في معانيها. وذكر في أسرار البلاغة التطبيق بقوله: "وأمّا التطبيق فأمره بيّن، وكونه معنوياً أجلى وأظهر، فهو مقابلة الشيء بضدّه. والتضاد بين الألفاظ المركبة محال، وليس لأحكام المقابلة ثم محال(١). فهو يرى أن "التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع لاشبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعاني خاصة، من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب، أو أن يكون لها في التحسين أو خلاف التحسين تصعيد وتصويب"(٢). وهو بهذا ينصر المعنى على اللفظ.

الحشو:

من حسن تأليف الكلام عند ابن سنان: وضع الألفاظ موضعها -حقيقة أو مجازاً- وضعاً لا ينكره الاستعمال ولا يبعد فهمه. وعنده أن من وضع الألفاظ في موضعها ألا تقع الكلمة حشواً. وأصل الحشو أن يقصد بالكلمة إصلاح الوزن أو تناسب القوافي وحرف الروي في الشعر وقصد السجع وتأليف الفصول في المنثور، من غير معنى تفيده أكثر من ذلك. أو أن تؤثر في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً، وهذا هو الحشو المذموم. ومن الحشو المحمود ما تفيد فيه الكلمة فائدة مختارة يزداد بها الكلام حسنا فلا تسمى حشوا. ومثّل لكل نوع من المذموم والمختار. وجعل ابن سنان (الإيغال) من الحشو المفيد ومثل له: كناطح صخرة يوماً... فقال: "وقد سمّى أصحاب صناعة الشعر هذا المعنى: الإيغال وأرادوا بذلك أن الشاعر يوغل بالقافية في الوصف إن كان واصفا، وفي التشبيه إن كان مشبها"(٣) وهذا ما عدّه البلاغيون بعد ابن سنان إطنابا لا حشوا.

---

(١) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٢٦.

(٢) نفسه: ٢٦.

(٣) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة: ١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن عبدالقاهر في ذكره الحشو مسهباً إسهاب ابن سنان، إذ أورده في أسرار البلاغة بعد كلامه في السجع والجناس، وأراد به الاعتراض، وقسمه قسمين: مفيد وغير مفيد. والمفيد إنما كان حسناً محموداً لإفادته إياك على مجيئه مجيء ما لا يعول في الافادة عليه، ولا طائل للسامع لديه، فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لم ترقبها... ويقرر أن الحشو إذا أفاد لم يكن حشواً ولم يُدْع لغواً، وهذا ملمح لم يأت به الباحثون في الإطناب بعده، ولا أفادوا بما عند عبد القاهر.

حسن التعليل:

سمّاه ابن سنان: الاستدلال بالتعليل وخلط بينه وبين ما عرف باسم المذهب الكلامي فيما أورد عليه من أمثلة. فقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) الأنبياء/٢٢ ليست من حسن التعليل.

أمّا عبد القاهر فعرض لحسن التعليل في كلامه على المعاني التخييلية التي ينفتح بها مجال القول أمام الشعراء، ولم يذكر اسم حسن التعليل وإن ذكر نوعاً آخر منه هو: أن يكون لمعنى من المعاني ولفعل من الأفعال علة مشهورة من طريقة العادات والطباع، ثم يجيء الشاعر فيمنع أن يكون لتلك العلة المشهورة واضعاً علة أخرى "ولا يكون هذا مفيداً حتى يكون في استئناف هذه العلّة المدّعاة فائدة شريفة"(١).

التوشيح:

أورده ابن سنان في تفسير المعاظلة، وقال: بعض الناس يسميه التوشيح وبعضهم يسمّيه التسهيم، ومثّل له.

أما عبدالقاهر فلم يتحدث فيه، ولكنه أشار إليه عندما عرض لكلام القاضي الجرجاني بقوله: "قال القاضي أبو الحسن في أثناء فصل ذكر الاستعارة فيه:

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(وملاك الاستعارة تقريب الشبه ومناسبة المستعار للمستعار منه). وهكذا تراهم يعدّونها في أقسام البديع حيث يذكر التجنيس والتطبيق والتوشيح ورد العجز على الصدر"(١).

هذه هي المصطلحات المشتركة بينهما في البديع: المزاوجة، والعكس، والتقسيم، والجناس، والسجع، والطباق، والحشو، وحسن التعليل.

وانفرد ابن سنان بألوان أخرى من البديع هي: التصريع، واللف والنشر، وصحة النّسق والنظم، والمبالغة في المعنى والغلوّ. وأورد أمثلة على كل لون، مما لا نجد مثيله عند عبدالقاهر.

ولا يعني انفراد ابن سنان بهذه الألوان وسبقه إليها أن عبدالقاهر مقلد أو تابع، لأنهما عاشا في حقبة زمنية واحدة ولا يتجاوز الفرق بين سنتي الوفاة لكل منهما خمس سنوات، ولعله لم يكن بينهما تلاق لتباينهما في المكان، وعدم الوقوف على خبر يؤكد أنهما التقيا معاً، وإنما جمع بينهما "توارد الخواطر في ابتكار هذا النوع واكتشافه، فعبدالقاهر هو السابق المجلي إلى (حسن التعليل)، ولم يشركه في اكتشافه أحد، على أننا لو سلمنا اطّلاعه على ما سطّره ابن سنان، ففي بحث عبدالقاهر حسن عرض وقوة بيان وعمق احكام، ودقة، وبونٌ شاسع"(٢) .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: ٣٣٧.

(٢) حفني محمد شرف، البلاغة العربية/نشأتها وتطورها: ٢٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصادر البحث ومراجعه

- إبراهيم السامرائي:

الأصل القديم للمصطلح الحضاري، مقالة نشرتها: المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد ٣٠، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص(٨٤-٩٩).

- إبراهيم محمد سالم:

المصطلح البلاغي والنقدي عند عبدالقاهر الجرجاني، رسالة ماجستير مرقونة، قدمت عام ١٩٩٢م إلى قسم اللغة العربية في جامعة اليرموك، الأردن.

- إبراهيم بن مراد:

المصطلح الأعجمي، في كتب الطب والصيدلة العربية، جزآن، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

- ابراهيم بن هرمة القرشي، (١٧٦هـ):

ديوانه، تحقيق: محمد جبار المعيبد، ١٩٦٩م، مطبعة الآداب-النجف الأشرف.

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي، (٦٣٠هـ):

الكامل في التاريخ، ج١-١٢، ١٩٦٥-١٩٦٧، دار صادر ودار بيروت-لبنان.

- .....

اللباب في تهذيب الانساب، ط٢، تحقيق مصطفى عبدالواحد، ١٩٧١، مطبعة دار التأليف-القاهرة.

- إحسان عباس:

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/١٩٧١م، دار الأمانة، ومؤسسة الرسالة، بيروت.

- أحمد أحمد بدوي:

عبدالقاهر الجرجاني، وجهوده في البلاغة العربية، الطبعة الثانية (١٩٦٢م)، مكتبة مصر-القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أحمد طاهر حسنين:

المصطلح البلاغي وتطوره حتى نهاية القرن الرابع الهجري ضمن مقالة في مجلة كلية الآداب-جامعة الامارات، العدد السادس، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص(٣٠٣-٣٣٨).

- أحمد مطلوب:

بحوث لغوية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، دار الفكر، عمّان - الأردن.

- .....

دور المجمع العلمي العراقي في وضع المصطلحات، ندوة ضمن: الموسم الثقافي التاسع، مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤١١هـ/١٩٩١م، منشورات المجمع.

- .....

عبدالقاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، بيروت، وكالة المطبوعات، الكويت.

- .....

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ج٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ج٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.

- .....

معجم النقد العربيّ القديم، ج١-٢، ١٩٨٩م، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد.

- .....

من خصائص اللغة العربية، ضمن كتاب: اللغة العربية والوعي القومي، اصدره: مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، ومعهد البحوث والدراسات العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- .....

وضع المصطلح العربي في البلاغة والنقد والعروض، ضمن: الموسم الثقافي الثاني عشر، مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص(١٤٣-١٨٦).

- ابن أحمر، عمرو بن أحمر بن العمرّد الباهلي (نحو ٦٥هـ):

شعره، جمع وتحقيق حسين عطوان، ١٩٧٠، مجمع اللغة العربية-دمشق.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن (٣٥٦هـ):

الأغاني، ج١-٢٧، عدة محققين، ١٩٥٥-١٩٦٠، دار الثقافة-بيروت.

- الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان (٤٧٦هـ):

تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، حققه وعلق عليه: زهير عبدالمحسن سلطان، ط١، ١٩٩٢م، وزارة الثقافة والاعلام - بغداد.

- الأفوه الأودي = الطرائف الأدبية للميمني.

- امرؤ القيس بن حجر الكندي (نحو ٨٢ ق.هـ):

ديوانه، حققه محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، ١٩٥٨م، دار المعارف بمصر.

وجمعه: حسن السندوبي، ط١، ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م، المطبعة الرحمانية-القاهرة.

- الأنباري. أبو البركات، كمال الدين عبدالرحمن (٥٧٧هـ):

نزهة الالبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، ١٩٦٧م، دار نهضة مصر - القاهرة.

- أوس بن حجر (نحو ٦١٥م؟):

ديوانه، نشره: محمد يوسف نجم، ١٩٦٠م، دار صادر ودار بيروت-بيروت.

- الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسن (٤٦٧هـ):

دمية القصر وعُصرة أهل العصر، جزآن، تحقيق: الدكتور سامي مكي العاني، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، مكتبة دار العروبة للنشر - الكويت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (٤٠٣هـ):
إعجاز القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، ١٩٦٤م، دار المعارف بمصر.
وحققه: محمد عبدالمنعم خفاجي، ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الجيل-بيروت.
- البحتري، أبو عبادة الوليد (٢٨٤هـ):
ديوانه، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، ج١-٥، ط١، ١٩٦٣-١٩٦٥م، دار المعارف بمصر.
- بدوي طبانة:
معجم البلاغة العربية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار المنارة: جدة، ودار الرفاعي: الرياض.
- البستي، أبو الفتح علي بن محمد (٤٠١هـ):
ديوانه، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، مجمع اللغة العربية-دمشق.
- بشار بن برد (١٦٧هـ):
ديوانه، نشره: محمد الطاهر بن عاشور، ج١-٤، ١٩٥٠-١٩٥٧م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة.
- تمام حسان:
المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة "فصول" عن قضايا المصطلح الأدبي، مج ٧ ع ٣+٤، ابريل-سبتمبر ١٩٨٧م، ص(٢١-٣٦).
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (٢٣١هـ):
ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ج١-٤، ١٩٥١-١٩٥٧م، دار المعارف بمصر.
- التهامي، أبو الحسن علي بن محمد (٤١٦هـ):
ديوانه، ط٢، ١٩٦٤م، المكتب الاسلامي - دمشق.
- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (٤٢٩هـ):
يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر، نشرها محمد محي الدين عبدالحميد، ج١-٤، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، مطبعة حجازي - القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٩١هـ):
قواعد الشعر، تحقيق رمضان عبدالتواب، ١٩٦٦م، دار المعرفة القاهرة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (٢٥٥هـ):
الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، ج١-٧، ١٩٤٠-١٩٤٧م، عيسى البابي الحلبي - القاهرة.
- جرير بن عطية الخطفي (١١٠هـ):
ديوانه، تحقيق نعمان أمين طه، ١٩٦٩م، دار المعارف بمصر.
- جميل بثينة، أبو عمرو جميل بن معمر (٨٢هـ):
ديوانه، جمع وتحقيق: حسين نصار، ط٢، ١٩٦٧م، مكتبة مصر - القاهرة.
- جميل سعيد:
دروس في البلاغة وتطوّرها، مطبوعات دار المعلمين العالية، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، مطبعة المعارف - بغداد.
- الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن المظفر البغدادي (٣٨٨هـ):
حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق: جعفر الكتاني، ج١-٢، ١٩٦٩-١٩٧٩م، وزارة الثقافة والاعلام - بغداد.
- ابن حزم، أبو محمد علي (٤٥٦هـ):
جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ١٩٧١م، دار المعارف بمصر.
- الحطيئة، جرول بن أوس (٥٩هـ):
ديوانه، تحقيق نعمان أمين طه، ١٩٥٨م، مصطفى البابي الحلبي - القاهرة.
- حفني محمد شرف:
البلاغة العربية / نشأتها وتطورها، ١٩٧٢ (المقدمة)، مكتبة الشباب-القاهرة.
- حلمي خليل:
العربية والغموض، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حمّادي صمّود:
التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، ١٩٨١، منشورات الجامعة التونسية.
- الخنساء، تماضر بنت عمرو (٢٤هـ):
ديوانها، شرح لويس شيخو: أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، ١٨٩٥م، مطبعة اليسوعيين – بيروت.
- الخوئي، أبو يعقوب يوسف بن طاهر (من علماء القرن ٦هـ):
شرح التنوير على سقط الزند،ج١-٢، ١٣٥٨هـ، مطبعة مصطفى محمد-القاهرة.
- دعبل الخزاعي، دعبل بن علي بن رزين (٢٤٦هـ):
شعره، جمعه ونشره: عبدالكريم الأشتر، ١٩٦٤م، المجمع العلمي العربي – دمشق.
- ذو الرمة، أبو الحارث غيلان بن عقبة (١١٧هـ):
ديوانه، نشره: عبدالقدوس أبو صالح، ج١-٣، ١٩٧٢-١٩٧٤م، مجمع اللغة العربية – دمشق.
- رشيد الضعيف:
في البلاغة وعلم البلاغة، مقالة في مجلة: الفكر العربي، العدد ٢٦، آذار ١٩٨٢م، (١١٦-١٢٧)، معهد الانماء العربي، بيروت.
الرمّاني، ابو الحسن علي بن عيسى (٣٨٤هـ):
النكت في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني، حققها وعلّق عليها: محمد خلف الله ودكتور محمد زغلول سلام، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، دار المعارف بمصر.
- روزنتال، فرانز:
مفهوم الحرية في الاسلام، ترجمة معن زيادة ورضوان السيد، ١٩٧٨م، معهد الانماء العربي، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ريمون طحّان ودنيز بيطار طحّان:
مصطلح الأدب الانتقادي المعاصر، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، دار الكتاب اللبناني – بيروت.
- زهير بن أبي سلمة (قبل ٦١٠م):
ديوانه، صنعة ثعلب، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م، دار الكتب المصرية – القاهرة.
- سامي الدهان:
كتاب في السياسة، تأليف الوزير الكامل أبي القاسم المغربي، ت٤١٨هـ، عني بنشره وتحقيقه وتعليق حواشيه سامي الدهان ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، المعهد الفرنسي للدراسات العربية – دمشق.
- السبكي، بهاء الدين أبو حامد أحمد (٧٧٣هـ):
طبقات الشافعية الكبرى، جـ١-٦، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٢٩م – القاهرة.
- السريّ الرفّاء، أبو الحسن بن أحمد (٣٦٢هـ):
ديوانه، تحقيق ودراسة: حبيب الحسني، ج١-٢، ١٩٨١م، دار الطليعة – بيروت.
- سعيد علوش:
أعطني اصطلاحاً أعطك منهجاً أو هبني منهجاً أهبك اصطلاحاً، مقالة نشرتها مجلة الأقلام العراقية، عدد أيلول ١٩٨٦، ص(٥٠-٦٠).
- السكاكي، سراج الدين أبو بكر يوسف (٦٢٦هـ):
مفتاح العلوم، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، مطبعة البابي الحلبي – القاهرة.
- السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين (٢٧٥هـ):
شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبدالستار احمد فراج، ١٩٦٥م، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سليم سليمان الأنصاري:
كتاب "سر الفصاحة" لابن سنان الخفاجي، تحقيق ودراسة: رسالة ماجستير قدمت إلى مجلس كلية الآداب بجامعة بغداد، وأجيزت بتقدير جيدجداً عام ١٩٧٦م، وهي مرقونة على الآلة.
- السمعاني، أبو سعد عبدالكريم (٥٦٢هـ):
الأنساب، جـ١-١٥ تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، ١٩٦٢-١٩٧٩، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن - الهند.
- السموأل، ابن غريض بن عادبا اليهودي (نحو ٦٥ ق.هـ):
ديوانه، تحقيق عيسى سابا، ١٩٥١م، مكتبة صادر بيروت.
- ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن محمد (٤٦٦هـ):
ديوانه: ١. مطبعة جريدة بيروت - لبنان، ١٣١٦هـ/١٩٨٩م، ٢. تحقيق عبدالرزاق حسين، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، المكتب الاسلامي- بيروت.
- .....
سر الفصاحة، ١. تحقيق علي فودة، ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م، مكتبة الخانجي - مصر،
٢. صححه وعلّق عليه: عبدالمتعال الصعيدي، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م، مكتبة محمد علي صبيح - مصر، وعنها نسخة مصورة أصدرتها دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٢م.
- سهيل زكّار:
إمارة حلب ١٠٠٢-١٠٩٤م، لا تاريخ على الطبعة، دار الكتاب العربي- دمشق.
- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن (٩١١هـ):
بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغاة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢ج، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤-١٩٦٥م - القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن شاكر الكتبي، محمد (٧٦٤هـ):
فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، ج١-٥، ١٩٧٣-١٩٧٤، دار الثقافة - بيروت.
- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين (٤٠٦هـ):
ديوانه، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، ج١-٢، ١٩٧٦م، وزارة الاعلام - بغداد.
- ابن شهر اشوب (٥٨٨هـ):
معالم العلماء، تتمة فهرس أبي جعفر الطوسي، نشر عباس اقبال، ١٩٥٨م، المطبعة الحيدرية - النجف.
- شوقي ضيف:
البلاغة: تطوّر وتاريخ، ١٩٦٥، دار المعارف بمصر.
- .....
النقد، سلسلة من فنون الأدب العربي، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م، دار المعارف بمصر.
- صلاح فضل:
إشكالية المصطلح الأدبي بين الوضع والنقل، مقالة نشرت في عدد خاص "ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم" مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، فاس - المغرب، ع ٤، لسنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، (ص ٦٩-٨٦).
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (٣٣٥هـ):
الأوراق، في أخبار آل عباس وأشعارهم، مصورة عن نشرة: هيورث دون، ١٩٣٦م، مطبعة الصاوي - القاهرة.
- طرفة بن العبد بن سفيان (نحو ٦٢ ق.هـ):
ديوانه، تحقيق علي الجندي، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، مطبعة الرسالة - مصر.
- طه حسين (المشرف):
تعريف القدماء بأبي العلاء، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م، إصدار وزارة المعارف بمصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- العباس بن الأحنف، أبو الفضل (١٩٨هـ):
ديوانه، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، دار الكتب المصرية – القاهرة.
- العباسي، بدرالدين أبو الفتح عبدالرحيم بن عبدالرحمن (٩٦٣هـ):
معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، حققه: محمد محي الدين عبدالحميد، ج١-٤، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة.
- عبدالإله نبهان:
الأسس الموضوعية لنشأة المصطلح، مقالة نشرتها مجلة التراث العربي، العدد ٥٩، ذي القعدة ١٤١٥هـ/ نيسان ١٩٩٥م، السنة ١٥، ص(١٧-٣٠)، يصدرها اتحاد الكتاب العرب – دمشق.
- عبدالأمير الأعسم:
المصطلح الفلسفي عند العرب: دراسة وتحقيق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٥م، مكتبة الفكر العربي، بغداد.
- عبدالرزاق أبو زيد زايد:
كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دراسة وتحليل، ١٩٧٦، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة.
- عبدالرؤوف مخلوف:
من قضايا اللغة والنقد والبلاغة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مكتبة الفلاح، الكويت.
- عبدالسلام المسدي:
المصطلح النقدي وآليات صياغته، مقالة منشورة في عدد خاص "المصطلح؛ قضاياه وإشكالاته"، في مجلة (علامات) الصادرة عن النادي الأدبي في جدة، مج ٢، ج٨ (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص(٥٣-١٠٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- .....

اللسانيات وعلم المصطلح العربي، ضمن: أشغال ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية، تونس ٢٥-٢٨ نوفمبر ١٩٨١م، سلسلة اللسانيات، ع٥، منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية - تونس، الجامعة التونسية.

- عبدالعاطي غريب علي علام:

البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين: عبدالقاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار الجيل - بيروت.

- عبدالعزيز عبدالمعطي عرفة:

قضية الاعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، عالم الكتب - بيروت.

- عبدالعزيز الميمني الراجكوتي (١٣٠٦-١٣٩٨هـ/١٨٨٨-١٩٧٨م):

الطرائف الأدبية (مجموعة شعرية)، صححه وخرجه وذيله: عبدالعزيز الميمني، ١٩٣٧م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة.

- عبدالقادر حسين:

أثر النحاة في البحث البلاغي، ١٩٧٠م (المقدمة)، دار نهضة مصر - القاهرة.

- عبدالقادر المهيري:

مساهمة في التعريف بآراء عبدالقاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، مقالة نشرت في: حوليات الجامعة التونسية، العدد ١١ لسنة ١٩٧٤م.

- عبدالقاهر الجرجاني، أبو بكر بن عبدالرحمن بن محمد (٤٧١هـ):

أسرار البلاغة، تحقيق: هلموت ريتر ١٩٥٤م، دائرة المعارف باستنبول وقورن ما جاء فيها بطبعة أخرى كتب عليها: قرأه وعلق عليه: أبو فهر، محمود محمد شاكر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، مطبعة المدني، القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- .....

"كتاب" دلائل الاعجاز، صحح أصله الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، والاستاذ الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، وعلق حواشيه: السيد محمد رشيد رضا، الطبعة السادسة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، مكتبة محمد علي صبيح – القاهرة، وتحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، مكتبة سعدالدين – دمشق.

وكذلك: قرأه وعلق عليه: أبو فهر، محمود شاكر، لا تاريخ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، وسنة الايداع: ١٩٨٤.

- .....

الرسالة الشافية في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني، حققها وعلّق عليها: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلاّم، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، دار المعارف بمصر.

- عبدالكريم الأصيل:

الشعر في بلاد الشام خلال القرن الخامس للهجرة، رسالة ماجستير مرقونة، قدمت وأجيزت في قسم اللغة العربية، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٧٤م.

- عبدالواحد لؤلؤة:

أزمة المصطلح النقدي، تجربة شخصية، مقالة في مجلة (علامات) الصادرة عن النادي الأدبي في جدة، عدد خاص "المصطلح، قضاياه وإشكالاته"، مج ٢، ج٨ (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص(١٦١-١٧٦).

- عبده عبدالعزيز قلقيلة:

معجم البلاغة العربية: نقد ونقض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، دار الفكر العربي بالقاهرة.

- عبيد بن الأبرص الأسدي (نحو ٧٧ هـ):

ديوانه، نشر: حسين نصار، ١٩٥٧م، مطبعة البابي الحلبي – القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى (٢١٠هـ):
النقائض، نشره: أنتوني بيفان، نسخة مصورة عن طبعة بريل١٩٠٥-١٩١٢م، لايدن – هولندا.
- عثمان موافي:
موقف عبدالقاهر الجرجاني من قضية المعنى، مقالة في مجلة "الدارة" العدد الثالث السنة ١٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص(٢٠-٤٢).
- عدي بن زيد العبادي (نحو ٣٥ ق.هـ):
ديوانه، جمعه ونشره: محمد جبار المعيبد، ١٩٦٥م، وزارة الثقافة والارشاد – بغداد.
- ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر (٦٦٠هـ):
زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج١-٣ تحقيق سامي الدهان، ١٩٥١-١٩٦٣ المعهد الفرنسي للدراسات العربية – دمشق.
- عز الدين إسماعيل:
أمّا قبل، افتتاحية عدد مجلة "فصول" عن قضايا المصطلح الأدبي، مج٧، ع٣+٤، ابريل – سبتمبر ١٩٨٧م.
- .....
قراءة في معنى المعنى عند عبدالقاهر الجرجاني، مجلة "فصول" تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج٧، ع٣-٤، ص(٣٧-٤٥)، ابريل – سبتمبر ١٩٨٧م، القاهرة.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (بعد ٣٩٥هـ):
الصناعتين، نشره: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ١٩٥٢م، دار احياء الكتب العربية – القاهرة.
- علي القاسمي:
مقدمة في علم المصطلح، ١٩٨٥م – الموسوعة الصغيرة، ١٦٩، وزارة الثقافة والاعلام – بغداد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- علي مهدي زيتون:
ابن سنان الخفاجي ناقداً وشاعراً، مقالة منشورة في حوليات معهد الآداب الشرقية، فرع الآداب، مج٣، لسنة ١٩٨٤-١٩٨٥م، - جامعة القديس يوسف - بيروت.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد (١٠٨٩هـ):
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١-٨، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، مكتبة القدسي - القاهرة.
- عمر بن أبي ربيعة، أبو الخطاب عمر بن عبدالله المخزومي (٩٣هـ):
ديوانه، شرح: محمد محي الدين عبدالحميد، ط٣، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، مطبعة المدني - القاهرة.
- عنترة بن شداد العبسي (نحو ٩ ق. هـ):
ديوانه، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، ١٩٧٠م، المكتب الاسلامي - بيروت.
- فتحي أحمد عامر:
نظرية العلاقات عند عبدالقاهر الجرجاني، مقالة في: مجلة الفكر العربي، العدد ٥٥، شباط ١٩٨٩م، ص(٧٠ وما بعدها).
- فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ):
نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، تحقيق وتقديم الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور محمد بركات أبو علي، ١٩٨٥م، دار الفكر للنشر، عمّان - الأردن.
- الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب (١١٤هـ):
ديوانه، عني بجمعه: عبدالله اسماعيل الصاوي، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة.
- القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبدالعزيز (٣٩٣هـ):
الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الرابعة ١٩٦٦م، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن قتيبة، أبو عبدالله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ):
الشعر والشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، ١٩٦٤م، دار المعارف بمصر.
- قدامة بن جعفر، أبو الفرج (٣٣٧هـ):
نقد الشعر، نشره: كمال مصطفى، ط٢، ١٩٦٣م، مكتبة الخانجي – القاهرة.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي (٦٤٦هـ):
إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١–٤، دار الكتب المصرية – القاهرة.
- كثير عزة، أبو صخر بن عبدالرحمن (١٠٥هـ):
ديوانه، تحقيق: احسان عباس، ١٩٧١م، دار الثقافة – بيروت.
- كلثوم بن عمرو العتابي (٢١٨هـ):
حياته وما تبقى من شعره، تأليف: ناصر حلاوي، ١٩٦٩م، دار الطباعة الحديثة – البصرة. (مستل من مجلة المربد، العدد٢–٣، جامعة البصرة).
- كمال، أبو ديب:
نظرية الجرجاني في الصورة الشعرية، صدر باللغة الانجليزية، وترجم فصولاً منه: فخري صالح، نشرها في صحيفة الدستور الأردنية:
عدد يوم الجمعة ١٩٩٠/٦/٢٩، ص ١٠، بعنوان: الجرجاني والتراث العربي الحديث.
عدد يوم الجمعة ١٩٩٠/٩/٢٨، ص٩، بعنوان: نظرية الجرجاني في النظم.
عدد يوم الجمعة ١٩٩٠/١٠/٥، ص٩، بعنوان: نظرية الجرَجاني في النظم.
- الكميت بن زيد الأسدي (١٢٦هـ):
شعره، تحقيق: داود سلوم، ج١–٣، ١٩٦٩–١٩٧٠م، مكتبة الأندلس–بغداد.
- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (٣٥٤هـ):
ديوانه، شرح العكبري: التبيان في شرح الديوان، تحقيق: السقا والابياري وشلبي، ج١–٤، ط٢، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، مطبعة البابي الحلبي – القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

المعجم الوسيط، طبعة غير مؤرخة وعليها دار إحياء التراث العربي – بيروت والمكتبة العلمية – طهران.

- محمد إسماعيل بصل:

نحو رؤية لسانية لوضع المصطلح، مقالة ضمن "مجلة البحرين الثقافية"، ع٦، اكتوبر ١٩٩٥م، ص(١٤٥-١٥١).

- محمد أنوار الحق الخطيبي:

الامام عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م) وآثاره العلمية، مقالة منشورة في مجلة "الدراسات الاسلامية"، المجلد ٢٨، العدد ٢، الصيف: شوال – ذو الحجة، ١٤١٣هـ/ ابريل-يونيو ١٩٩٣م، ص (٧٥-٩٩).

- محمد بركات حمدي أبو علي:

معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، دار الفكر، عمّان – الأردن.

- محمد جابر الفياض:

البلاغة والفصاحة: لغة واصطلاحاً، دراسات بلاغية/٢، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار المنارة – جدّة.

- محمد زغلول سلام:

تاريخ النقد العربي، ج١ إلى القرن الرابع الهجري، ج٢ من القرن الخامس إلى العاشر الهجري ١٩٦٤م، دار المعارف بمصر.

- محمد علي الشوابكة وأنور أبو سويلم:

معجم مصطلحات العروض والقافية، ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار البشير، عمّان – الأردن.

- محمد الكتاني:

الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، ج١-٢، ١٩٨٢م، دار الثقافة – الدار البيضاء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد مصطفى هدّارة:
مشكلة السرقات في النقد العربي، ١٩٥٨، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة.
- محمود السمرة:
القاضي الجرجاني الأديب الناقد، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.
- المرار بن سعيد الفقعسي الأسدي (نحو ١٣٠ هـ):
شعره، صنعة نوري حمودي القيسي، ضمن كتاب: شعراء أمويون، القسم الثاني، ١٩٧٦م، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر – الموصل.
- المرزباني، أبو عبيدة محمد بن عمران (٣٨٤هـ):
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، نشر: محمد علي البجاوي، ١٩٦٥م، دار نهضة مصر – القاهرة.
- المزرد بن ضرار الغطفاني (نحو ١٠ هـ):
ديوانه، تحقيق: خليل ابراهيم العطية، ١٩٦٢، مطبعة أسعد – بغداد.
- مسلم الزيبق:
دعوة إلى دراسة المصطلح النقدي، مقالة ضمن مجلة اتحاد الكتّاب التونسيين "المسار"، العدد ٢٤–٢٥، مزدوج، جوان (يونيو/حزيران) ١٩٩٥م.
- ابن المعتز، أبو العباس عبدالله (٢٩٦هـ):
ديوانه، دراسة وتحقيق: محمد بديع شريف، ج١–٢، ١٩٧٧–١٩٧٨م، دار المعارف بمصر.
- المعري، أبو العلاء أحمد بن عبدالله (٤٤٩هـ):
اللزوميات، لزوم ما لا يلزم، مجلد ١–٢، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، دار صادر – بيروت.
- المفضل الضبي، أبو العباس (أبو عبدالرحمن) بن محمد (١٧٨هـ):
المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هرون، ط٢، ١٩٥٢م، دار المعارف بمصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد (٧١١هـ):
لسان العرب، ج١-٦ مع ثلاثة أجزاء فهارس عامة، ١٩٨٦م، دار المعارف بمصر.
- ابن ميادة، أبو شرحبيل الرماح بن أبرد (١٤٩هـ):
شعره، جمع وتحقيق: محمد نايف الدليمي، ١٩٧٠م، مطبعة الجمهورية - الموصل.
- النابغة الجعدي، أبو ليلى حسان بن قيس (٦٥هـ):
شعره، نشر: عبدالعزيز رباح، ١٩٦٤م، المكتب الإسلامي - دمشق.
- النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (نحو ١٨ ق. هـ):
ديوانه، صنعة ابن السكيت، تحقيق: شكري فيصل، ١٩٦٨م، دار الفكر - بيروت.
- ناصر الحاني:
المصطلح في الأدب الغربي، ١٩٦٨، دار المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.
- ابن نباتة السعدي، أبو نصر عبدالعزيز بن عمر (٤٠٥هـ):
ديوانه، دراسة وتحقيق: عبدالأمير مهدي عبدالحميد الطائي، مج١-٢، ١٩٧٧م، وزارة الاعلام - بغداد.
- نصر محمد عارف:
الحضارة، الثقافة، المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم: تقديم طه جابر العلواني، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، المعهد العالمي للفكر الاسلامي - واشنطن.
- نصيب، أبو محجن بن رباح (نحو ١٠٨هـ):
شعره، تحقيق: داود سلوم، ١٩٦٨م، مطبعة الارشاد - بغداد.
- أبو نواس، الحسن بن هاني (١٩٩هـ):
ديوانه، نشر: أحمد عبدالمجيد الغزالي، ١٩٥٣م، مطبعة مصر - القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ياقوت الحموي الرّومي (٦٢٦هـ):
معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ج١-٧، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، دار الغرب الاسلامي-بيروت.

- Abu Deeb, Kamal:
Al-Jurjani's Theory of Poetic Imagery, Aris and Phillips Ltd, Warminster, Wilts. England. 1979.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The Rhetorical and Critical Terminology

of

Ibn Sinan Al-Khafaji and Abdul Qahir Al-Jurjani

A comparative Study

Submitted By

Salim Suleiman Hasan Al-Ansari

Supervised By

Dr. Mohammed Barakat Abu Ali
Professor of Rhetoric and Literary Criticism

Faculty of Graduate Studies
University of Jordan

December 1996

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

The Rhetorical and Critical Terminology *of* Ibn Sinan Al-Khafaji and Abdul Qahir Al-Jurjani *A comparative Study*

By

Salim Suleiman Hasan Al-Ansari

Supervisor

Dr. Mohammed Barakat Abu Ali

The present study examiner by way of contrast the rhetorical and critical terminology used by Ibn Sinan Al-Khafaji in his classic book Sirr Al-Fasaha (The Secret of Eloquency) and by Abdul Qahir Al-Jurjani in his well-known Dalael Al-I'jaz (The Signs of Inimitability) and Asrar Al-Balagha (The Secrets of Rhetoric).

These famous contemporaneous scholars have had the greatest impact not only on the age in which they lived (11th century), but also on the generations that followed. In fact, their works are still subject for critical, evaluative studies, and they were undoubtedly ahead of their time. Al-Khafaji was primarily interested in the eloquency of individual lexical items arguing that some words are inherently eloquent, while others not. Al-Jurjani was interested basically in the meaning of words in context. Nevertheless both men are great, if not the greatest, scholars of rhetoric and literary criticism.

This study defines, assesses, and contrasts the terminology each of these two scholars user, and high lights the similarities and dissimilarities

٤٨٠٥٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

between them, and attempts to find out whether or not their age had an impact on them, and if yes, to what extent.

The thesis adopts what can be called the complementary approach, i.e., an approach which combines the historical, inductive, statistical and contrastive approaches in order to present a vivid, clear picture of the topic.

The study consists of an introduction, four chapters, and a conclusion.

The introduction puts into relief the importance of the topic and points out the difficulties the researcher encounters in his thesis.

Chapter one introduced to the reader the two scholars and defines what's meant by "terminology". Chapter two and Chapter three deal with the terminology of Ibn Sinan and Al-Jurjani, respectively. Chapter four contrasts the terminology of both scholars.

The conclusion sums up the finding of the dissertation. These findings are:

First. There are significant differences between the two scholars with regard to the way each one of them views rhetoric and literary criticism.

Second. Al-Jurjani gave more attention to criticism terminology then Ibn Sinan did; but the latter give more attention to the terminology of rhetoric. Nevertheless, the formar's common terms which applied both to rhetoric and criticism were deeper and more comprehensive.

Third. The terminology of both rhetoric and criticism in the 11 century. This shows that that century witnessed the birth literary criticism and rhetoric.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit